تعظيم اللّه جل جلاله

تأملاتٌ وقصائد

تأليف

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية

كلية التربية - جامعة الملك سعود

مدار الوطن للنشر

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ/٢٠١٢م



هاتف: ٠٠٩٦٦٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط)
فاكس: ٠٠٩٦٦٤٧٢٣٩٤

الموقع على الإنترنت:
(www.madaralwatan.com)

البريد الإلكتروني:
(pop@madaralwatan.com)

المقدمة

الحمدُ للهِ الذي رفعَ السماءَ بقدرتِهِ وبسطَ الأرضَ بمشيئتهِ ومهَّدَها للسُّلَّاك، وسَخَّرَ الفُلكَ ومهَّدَ المُلْكَ ودبَّر الأملاك.

الحيُّ القيومُ الذي لا تأخُذُه سِنَةٌ ولا نومٌ، الذي خلقَ الموتَ والحياةَ وقدَّر النجاةَ والهلاكَ.

الذي له الخلقُ والأمرُ، وبيدهِ الإطلاقُ والإمساكُ، الذي أنشأَ اللوحَ والقلمَ، وعلَّمَ الإنسانَ ما لم يعلمْ ووهبَ له العقلَ الكاملَ والفهمَ والإدراكَ...

والصلاةُ والسلامُ على البشيرِ النذيرِ والسراجِ المنيرِ، أعظمِ الخلقِ خشيةً لربّهِ وتعظيمًا له، وتمجيدًا لجلالِهِ، وعبادةً وذكرًا وشكرًا ومحبةً وخوفًا ورجاءً ورغبًا ورهبًا.

واللهُ ﷻ هو أهلُ الثناءِ والمجدِ، وصاحبُ الجبروتِ والملكوتِ والكبرياءِ والعظمةِ...

هو عالِمُ السرِّ وأخفى، قيومُ السمواتِ والأرضِ، عالمُ الأسرارِ، مقيلُ العثار، مدبرُ الليلِ والنهارِ.

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾.

هو الأولُ فليس قبلَهُ شيءٌ، وهو الآخرُ فليس بعدَهُ شيءٌ وهو الظاهرُ فليسَ فوقَهُ شيءٌ، وهو الباطنُ فليسَ دونَهُ شيءٌ...

هو خيرُ المسؤولين، وأكرمُ المعطين، ورازقُ الناسَ أجمعين.

يعلمُ حوائجَ السائلين، وضمائرَ الصامتين، وأسرارَ صدورِ العالمين.

لا يزدادُ على كثرةِ السؤالِ إلا جودًا وكرمًا، ولا على كثرةِ الحوائجِ إلا تفضلًا وإحسانًا.

هو العليُّ الكبيرُ، الوليُّ الحميدُ، العزيزُ المجيدُ، المبدئُ المعيدُ، الفعالُ لما يريدُ، الحيُّ القيومُ، القويُّ المتينُ، العظيمُ الجليلُ، له الخلقُ والأمرُ، وبيدِهِ النفعُ والضرُّ، وله الحكمُ والتقديرُ، والملكُ والتدبيرُ، ليسَ لهُ في صفاتِهِ شبيهٌ ولا نظيرٌ، ولا له في آلهيتِهِ شريكٌ ولا ظهيرٌ، ولا له في سلطانِهِ وليٌّ ولا نصيرٌ.

سبحانه من مليكٍ ما أمنَعَه، وجوادٍ ما أوسعَهُ، ورفيعٍ ما أرفَعَه، لا رادَّ لمشيئته، ولا مبدِّل لكلماتِهِ، قولهُ حُكْمٌ، وقضاؤه حَتْمٌ، وأمْرُه رشدٌ، باهِرُ الآياتِ، فاطرُ السمواتِ، بارئُ السماتِ، مجيبُ الدعواتِ، مغيثُ اللهفاتِ، مقيلُ العثراتِ. أكبرُ من كلّ شيءٍ، وأعظمُ من كلِّ شيءٍ، وأعزُّ من كلِّ شيءٍ، وأقدرُ من كل شيءٍ، وأعلمُ من كلِّ شيءٍ، وأحكمُ من كلِّ شيءٍ.

قالَ ابنُ القيِّمِ في صفةِ عظمةِ اللهِ ﷻ:

«يدبِّرُ أمرَ الممالكِ، ويأمرُ وينهى، ويخلقُ ويرزقُ، ويميتُ ويُحْيي، ويقضي وينفِّذُ، ويُعِزُّ ويُذِلُّ، ويقلِّبُ الليلَ والنهارَ، ويُدَاوِلُ الأيامَ بينَ الناسِ، ويُقَلِّبُ الدُّوَلَ، فيذهبُ بدولةٍ، ويأتي بأخرى.

والرسلُ من الملائكةِ عليهم الصلاةُ والسلامُ بين صاعدٍ إليه بالأمرِ، ونازلٍ من عندِهِ به، وأوامرُه ومراسيمُهُ متعاقبةٌ على تعاقبِ الأوقاتِ، نافذةٌ

بحسبِ إرادتهِ ومشيئتهِ، فما شاءَ كانَ كما شاءَ في الوقتِ الذي يشاءُ على الوجهِ الذي يشاءُ، من غيرِ زيادةٍ ولا نقصانٍ، ولا تَقَدُّمٍ ولا تأخُّرٍ، وأمرُهُ وسلطانُهُ نافِذٌ في السمواتِ والأرضِ وأقطارِها، وفي الأرضِ وما عليها وما تحتها، وفي البحارِ والجوِّ، وفي سائرِ أجزاءِ العالمِ وذرَّاتِهِ، يُقَلِّبها ويُصَرِّفها، ويُحدِثُ فيها ما يشاءُ، وقد أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا، وأحصى كلَّ شيءٍ عددًا، ووسعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وحكمةً، ووسعَ سَمْعُهُ الأصوات، فلا تختلفُ عليه ولا تشتبهُ عليه، بل يسمعُ ضجيجَها باختلافِ لغاتِها على تَفَنُّنِ حاجاتِها، فلا يَشغَلُهُ سمعٌ عن سمعٍ، ولا تُغلِطُه كثرةُ المسائلِ، ولا يتبَرَّمُ بإلحاحِ الُملِحِّين ذوي الحاجات.

وأحاط بصرُه بجميعِ المرئياتِ، فيرى دبيبَ النملةِ السوداءِ على الصخرةِ الصَّمَّاءِ في الليلةِ الظلماءِ، فالغيبُ عنده شهادةٌ، والسرُّ عنده علانيةٌ، يعلمُ السرَّ وأخفى من السرِّ؛ فالسرُّ ما انطوى عليه ضمير العبدِ، وخطرَ بقلبِهِ، ولم تتحركْ به شفتاه، وأخفى منه: ما لم يخطرْ بقلبِهِ بَعْدُ، فيَعلَمُ أنه سيخطرُ بقلبِهِ كذا وكذا في وقتِ كذا وكذا.

وله الخلقُ والأمرُ، وله الملكُ وله الحمدُ، وله الدنيا والآخرةُ، وله النعمةُ، وله الفضلُ، وله الثناءُ الحسنُ، وله الملكُ كلُّه، وله الحمد كلُّهُ، وبيدِهِ الخيرُ كلُّهُ، وإليه يرجعُ الأمرُ كلُّهُ، شملت قدرتُهُ كلَّ شيءٍ، ووسعتْ رحمتُهُ كلَّ شيءٍ، ووسَعَت نعمتُهُ إلى كلِّ حيّ.

﴿ ` a b c d f g h i j ﴾ [الرحمن:٢٩]: يغفرُ ذنبًا، ويفرِّجُ همًّا، ويكشفُ كربًا، ويجبرُ كسيرًا، ويُغني فقيرًا، ويُعَلِّمُ جاهلًا،

ويهدي ضالًّا، ويُرشِدُ حيرانًا، ويغيث لَهْفَانًا، ويَفُكُّ عانيًا، ويُشبع جائِعًا، ويَكْسُو عاريًا، ويشفي مريضًا، ويُعافي مبتلى، ويقبل تائبًا، ويجزي محسنًا، وينصرُ مظلومًا، ويقصمُ جبَّارًا، ويقيل عثرَةً، ويسترُ عورةً، ويُؤَمِّن روعةً، ويرفعُ أقوامًا، ويضع آخرين.

لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينامَ، يخفضُ القسطَ ويرفعُهُ، يُرفَع إليه عملُ الليلِ قبلَ عملِ النهارِ، وعملُ النهار قبلَ عملِ الليلِ، حجابُه النورُ، لو كشفَهُ لأحرقتْ سُبُحات وجههِ ما انتهى إليه بصرُه من خلقه.

يمينُه مَلأى، لا تَغِيضُها نفقة، سحَّاءُ الليلَ والنهارَ، أرأيتم ما أنفقَ منذ خلقَ الخلقَ، فإنه لم يَغِضْ ما في يمينِهِ.

قلوبُ العبادِ ونواصيهم بيدِهِ، وأزمَّةُ الأمورِ معقودةٌ بقضائِهِ وقدرِهِ، الأرضُ جميعًا قبضتُهُ يومَ القيامةِ، والسمواتُ مطوياتٌ بيمينِهِ، يقبضُ سمواتِهِ كلَّها بيدِهِ، والأرضَ باليدِ الأخرى، ثم يَهُزُّهنَّ، ثم يقولُ: أنا الملكُ، أنا الملكُ، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تكنْ شيئًا، وأنا الذي أعيدُها كما بَدَأْتُها.

لا يتعاظمه ذنبٌ أن يغفرَهُ، ولا حاجةٌ يُسأَلُها أن يعطيَها.

لو أن أهلَ سمواتِهِ، وأهلَ أرضِهِ، وأولَ خلقِهِ وآخرَهم، وإنسَهم وجنَّهم، كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ منهم، ما زاد ذلك في ملكهِ شيئًا، ولو أنَّ أولَ خلقهِ وآخرَهم، وإنسَّهم وجِنَّهم، كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ منهم، ما نقصَ ذلك من ملكهِ شيئًا، ولو أن أهلَ سمواتِهِ، وأهل أرضِهِ، وإنسَهم وجِنَّهم، وحيَّهُم وميِّتهم، كانوا على أفجر قلبِ رجلٍ منهم، ما نقص ذلك

من ملكهِ شيئًا، ولو أن أهلَ سمواته، وأهلَ أرضه، وإنسَهم وجنَّهم، وحيَّهُم وميِّتهم، ورطَبهم ويابِسهم، قاموا في صعيدٍ واحدٍ، فسألوه فأعطى كلًّا منهم مسألتَهُ، ما نقصَ ذلك مما عندَهُ مثقالَ ذرةٍ.

ولو أنَّ أشجارَ الأرضِ كلَّها ـ من حين وُجدتْ إلى أن تنقضيَ الدنيا ـ أقلامٌ، والبحرُ وارءه سبعةُ أبحرٍ تمدُّه من بعده مِدادٌ، فكُتِبَ بتلك الأقلامِ، وذلك المدادِ، لفنيت الأقلامُ ونفدَ المدادُ، ولم تنفدْ كلماتُ الخالقِ تباركَ وتعالى.

وكيفَ تَفْنَى كلماتُه جَلَّ جلالُهُ وهي لا بدايةَ لها ولا نهاية؟! والمخلوقُ له بدايةٌ ونهايةٌ، فهو أحقُّ بالفناءِ والنَّفادِ، وكيف يُفنِي المخلوقُ غيرَ المخلوق؟!

هو الأولُ الذي ليسَ قبلهُ شيءٌ، والآخرُ الذي ليسَ بعده شيءٌ، والظاهرُ الذي ليس فوقه شيءٌ، والباطنُ الذي ليس دونه شيءٌ.

تباركَ وتعالى، أحقُّ من ذُكِر، وأحقُّ من عُبد، وأحقُّ من حُمِد، وأولى من شُكِر، وأنصَرُ من ابتُغِي، وأرأفُ من مَلَك، وأجودُ من سُئِل، وأعفَى من قَدِر، وأكرم من قُصِد، وأعدل من انتَقَم.

حكمُه بعد علمهِ، وعفوهُ بعد قدرتهِ، ومغفرتُه عن عِزَّتهِ، ومَنْعُه عن حكمتهِ، وموالاتُه عن إحسانهِ ورحمتهِ.

مـا لِلْعِبَـادِ عَلَيْـهِ حَـقٌّ واجـبٌ ... كَـلَّا ولا سَـعْيٌ لَدَيْـهِ ضَـائِعُ

إن عُـذِّبُوا فَبِعَدْلِـهِ، أو نُعِّمُـوا ... فَبِفَضْلِهِ، وهـو الكـريمُ الواسِـعُ

هو الملكُ الذي لا شريكَ له، والفردُ فلا ندَّ له، والغنيُّ فلا ظهيرَ له، والصمدُ فلا ولدَ له، ولا صاحبةَ له، والعليُّ فلا شبيهَ له، ولا سَمِيَّ له، كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهَهُ، وكلُّ مُلكٍ زائلٌ إلا ملكهُ، وكلُّ ظلٍّ قَالِصٌ إلا ظِلُّهُ، وكلُّ فضلٍ منقطعٌ إلا فضله.

لن يُطاعَ إلا بفضلهِ ورحمتهِ، ولن يُعصى إلا بعلمهِ وحكمتهِ، يُطاعُ فيَشكرُ، ويُعصَى فيتجاوزُ ويَغْفِرُ، كلُّ نقمةٍ منه عدلٌ، وكلُّ نعمةٍ منه فضلٌ، أقربُ شهيدٍ، وأدنى حفيظٍ، حالَ دون النفوسِ، وأخذَ بالنواصي، ونسَخَ الآثار، وكتبَ الآجالَ، فالقلوبُ له مُفْضِيَةٌ، والسرُّ عنده علانيةٌ، والغيبُ عندَهُ شهادةٌ، عطاؤه كلامٌ، وعذابهُ كلامٌ، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]»[١].

أما بعد:

فإنَّ هذا الكتابَ يهدفُ إلى ترسيخِ أعظمِ قيمةٍ في حياةِ المسلمِ وهي العبوديةُ للهِ ﷻ: ﴿ H G F E D C ﴾.

والعبوديةُ هي: الذلُّ والخضوعُ والانقيادُ للهِ ﷻ والافتقارُ التامُّ إليه سبحانهُ، وتحقيقُ أنه لا معبودَ بحقّ إلا اللهُ، وهذا لا يكونُ إلا بتعظيمِ اللهِ ﷻ المتضمنِ للخوفِ والرجاءِ والمحبةِ له تعالى وقد ذمَّ اللهُ ﷻ من لا يعظمُهُ فقال: ﴿0 1 2 3 4 5﴾.

وقال: ﴿ ! " # $ % ﴾.

(١) انظر: الوابل الصيب؛ لابن القيم (ص:١٥، وما بعدها).

فشأنُ اللهِ أعظمُ من كلِّ شيءٍ، وعظمةُ اللهِ ﷻ فوقَ كلِّ تصدرٍ وتقديرٍ.

وقد جعلتُ هذا الكتابَ ـ تعظيمُ اللهِ ـ الأولَ في مكتبةِ اسعد مجتمعك ليترسخَ في الناسِ أنَّ تعظيمَ اللهِ ﷻ هو أعظمُ وسيلةٍ توصلُ إلى سعادةِ الفردِ والأسرةِ والمجتمعِ بل إلى سعادةِ البشريةِ كلِّها خصوصًا في زمنِ العولمةِ وحيث صار العالمُ قريةً واحدةً ضعفَ منه أثر الوسائلِ الخارجيةِ لحمايةِ ووقايةِ المجتمعِ من منعٍ ومراقبةٍ فصار لزامًا الاهتمامُ والتركيزُ التامُّ على تقويةِ تعظيمِ اللهِ في النفسِ بتقويةِ الوازعِ الدينيِّ ومراقبةِ اللهِ في السرِّ والعلنِ.

إنَّ المعظمَ للهِ ﷻ متوازنٌ من جميعِ الجوانبِ يحملُ همَّ الآخرةِ ولا ينسى نصيبهُ من الدنيا، معظِّمٌ لأمرِ اللهِ ونهيه في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، محققٌ لتوحيدِ اللهِ على أكملِ وجهٍ سالمٌ من الشركِ بجميعِ صورِه، مؤدٍ واجباتِه الدينيةِ على أكملِ وجهٍ، من صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وغيرِها من الفرائضِ والواجباتِ.

وهو كذلك من أعظمِ الناسِ تأديةً للحقوقِ وأعظمِها: حقُّ الوالدين، والأبناءِ والزوجةِ والأرحامِ والجيرانِ والأصدقاءِ والأطفالِ والفقيرِ وغيرِهم.

وكذلك فإنه يجتنبُ المحرماتِ التي نهى اللهُ عنها من مسكراتٍ ومخدراتٍ وانحرافاتٍ جنسيةٍ، واعتداءاتٍ على الأنفسِ والأموالِ بالسرقةِ والرشوةِ وغيرِها.

والمعظمُ للهِ ﷻ مجتنبٌ لهذه المحرماتِ عبوديةً للهِ ﷻ خوفًا ورجاءً ومحبة للهِ، ولذلك فإنه يجتنبُ المحرَّماتِ في سائرِ الأماكنِ داخل وطنه وخارجه، إذا

رآه الناسُ وإذا لم يَرَوْه، لأنه لا يراقبُ إلا اللهَ ﷻ، فسلِمَ بذلك من التناقضِ والازدواجيةِ التي سيطرتْ على كثيرٍ من الناسِ.

وكذلك فإنَّ المعظمَ للهِ ﷻ لا يقتصرُ على تركِ المحرماتِ الظاهرةِ فقط، بل يهتمُّ بتطهيرِ قلبِهِ من المحرماتِ الباطنةِ كالكبرِ والغلِّ والحسدِ والبغضاءِ والرياءِ والسمعةِ والغرورِ وغيرِ ذلك.

وكذلك فإنه يهتمُّ بتحليةِ قلبِهِ بالقيمِ والعباداتِ القلبيةِ كالصدقِ والإخلاصِ والمحبةِ والصبرِ والتوكلِ والإنابةِ وغيرِها.

والمعظمُ للهِ ﷻ همُّه إقامةُ العبوديةِ للهِ تعالى في نفسِهِ أولًا، وإسعادُ الآخرين بدخولِهم فيها.

والمعظمُ للهِ ﷻ معظمٌ لجنابِ النبيِّ ﷺ مدافعٌ عنه محبٌّ له، يشرفُ بالتأسي به والانضواءِ تحت لوائِهِ ولذلك فإنه يقتدي به في كلِّ الأمورِ، ويدعو إلى سنتهِ، ويبينُ فضائِلَهُ ومحاسِنَهُ وكمالَ أخلاقهِ وآدابِهِ ﷺ، وهو لا يُقَدِّمُ على الكتابِ والسنةِ شيئًا من الآراءِ والأهواءِ والأقوالِ والعاداتِ.

كما أنه ملتزمٌ بمنهجِ الوسطيةِ في عباداتِهِ وتعاملاتِهِ كلِّها سالمٌ من التطرفِ والغلوِّ والإرهابِ والبدعِ والضلالات.

والمعظمُ للهِ هو الساعي الحقيقيُّ لإعمارِ الوطنِ وتنميتِهِ عبادةً للهِ في سائرِ المجالاتِ الاقتصاديةِ والإداريةِ والاجتماعيةِ والسياسيةِ والصحيةِ والتعليميةِ والأمنيةِ وفقَ الكتابِ والسنةِ، حيث يجعلُ من هذه الحياةِ مزرعةً للآخرةِ وممرًّا إليها.

ولذلك فإنه من أكثر الناسِ إتقانًا لعملِهِ وإحسانًا له. كما أنه لا يبخلُ بالخيرِ على الناسِ، بل يدلُّ الناسَ على كلِّ خيرٍ طلبًا لمرضاتِ اللهِ، ويغلقُ كلَّ بابٍ من أبوابِ الضررِ والفسادِ والإيذاءِ وذلك؛ لأنه من أصدقِ الناسِ نصحًا لمجتمعه ووطنه.

المعظمُ للهِ يتفاعلُ مع مجتمعِهِ بأمرِهِ بالمعروفِ ونهيِهِ عن المنكرِ واصلٌ لرحمِهِ، راعٍ لجارِهِ، مساعدٌ للمحتاجِ، زائرٌ للمريضِ، مصلحٌ بين المتخاصمين، مشاركٌ في أفراحِ مجتمعِهِ.

والمعظمُ للهِ يعملُ بشموليةِ الإسلامِ الواسعةِ، ويرسخُ مبادِئَهُ في كلِّ الأمورِ، ويدخلُ في السِّلم كافة، ولا يختزلُ الدينَ في قضايا يحددُها لنفسِهِ، أو يحدُدها له غيرُهُ، وإنما يعظمُ ما عظمَهُ اللهُ ورسولُهُ، لا ما عظمتْهُ الأهواءُ والعاداتُ والتقاليدُ والمجتمعُ والبيئةُ، وما تفرضُهُ العولمةُ في واقعِنا المعاصرِ. وهو من خلال ذلك يقدمُ مصلحةَ الأمةِ والمجتمعِ على مصالحِهِ الشخصيةِ الفرديةِ المحدودةِ.

إنَّ ترسيخَ قيمةِ تعظيمِ اللهِ ﷻ يعالجُ كثيرًا من مشاكلِ المجتمعِ الأمنيةِ والاقتصاديةِ والإداريةِ بأيسرِ السبلِ وأقلِّ التكاليفِ والأعباءِ على الدولةِ.

وكذلك فإنَّ ترسيخَ قيمةِ تعظيمِ اللهِ في النفوسِ تعالجُ كثيرًا من المشكلاتِ الاجتماعيةِ كعقوقِ الوالدينِ وقطيعةِ الرحمِ وظلمِ المرأةِ والعنفِ الأسريِّ وانتهاكِ الأعراضِ وغيرِ ذلك من الاعتداءِ على الأنفسِ والأموالِ الخاصةِ والعامةِ وغيرِ ذلك من المشكلاتِ، حيث لا توجدُ مشكلةٌ إلا ومن أعظمِ أسبابِها ضعفُ تعظيمِ اللهِ ﷻ في النفوسِ، وقد رأينا أنَّ هذه القيمةَ لما

ترسَّختْ في نفوسِ الجيلِ الأولِ في عصرِ النبوةِ وعصرِ الخلافةِ الراشدةِ ومنْ بعدَهم أنتجتْ أمةً ضربتْ أروعَ الأمثلةِ في الطهارةِ والاستقامةِ والأمانةِ وأداءِ الواجباتِ والابتعادِ عن المحرماتِ والوصولِ إلى أعظمِ مظاهرِ المدنيةِ والحضارةِ.

وهذا الكتابُ هو تأملاتٌ في تعظيمِ اللهِ ﷻ من خلالِ تدبرِ الآياتِ القرآنيةِ والأحاديثِ النبويةِ في اللهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ، وما سطَّرَهُ العلماءُ الربانيون في بيانِ عظمةِ اللهِ وغناه المطلقِ.

وكذلك ما كتبَهُ الشعراءُ في قصائدَ في تعظيمِ اللهِ ﷻ، وقد جمعتُ ما تيسَّرَ منها في هذا الكتابِ وهذا العملُ هو جزء من مشروع أسعد مجتمعك.

ويحدوني الأملُ أن نشتركَ جميعًا دعاةٌ وخطباءُ ومفكرون وكتابٌ وإعلاميون ورجالُ أعمالٍ في ترسيخِ قيمةِ تعظيمِ اللهِ بكلِّ الوسائلِ المتاحةِ المقروءةِ والمسموعةِ والمرئيةِ ومثلِ ذلك أن نطبِقَها في سائرِ مجالاتِ حياتِنا ليقتدوا بنا.

أسألُ اللهَ أنْ يباركَ في الجهودِ وأنْ يسعدَ الجميعَ دنيا وآخرة.

د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية المشارك

كلية التربية - جامعة الملك سعود

aalmazyad@ksu.edu.sa

عبادةُ التعظيمِ

إن تعظيمَ اللهِ ﷻ من أعظمِ العباداتِ التي غفلَ عنها كثيرٌ من الناسِ، فساءتْ أحوالُهم، وانقلبتْ موازينُهم، وتلاعبتْ بهم الشياطينُ والأهواءُ والأنفسُ الأمارةُ بالسوءِ.

فالتوحيدُ الذي هو رأسُ الأمرِ هو الأصلُ في تعظيمِ اللهِ ﷻ فاللهُ ﷻ أعظمُ من أن يُعْبَدَ معَهُ غيرُه قال تعالى في الحديثِ القُدْسِيِّ: «**أنا أغنى الشركاءِ عن الشِّركِ، من عملَ عملًا أشركَ فيه معي غَيْرِي تركتُه وشِرْكَهُ**» [مسلم].

ولَمَّا عبدَ قومُ نوحٍ الأصنامَ أنكرَ عليهم نوحٌ عليه السلام وقال لهم: ﴿0 1 2 3 4 5﴾ [نوح:١٣]. قال ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ: أي ما لكم لا ترجونَ للهِ عظمةً، وقال سعيدٌ بنُ جبيرٍ: ما لكم لا تُعَظِّمُونَ اللهَ حقَّ عظمتِه، وقال الكلبيُّ: لا تخافونَ للهِ عظمةً[1].

وهدهدُ سليمانَ عليه السلام لَمّا كان معظمًا للهِ ﷻ استنكرَ أن يعبدَ قومٌ الشمسَ من دونِ الله تعالى: ﴿! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U﴾ [النمل:٢٣-٢٦].

حتى الجماداتِ فإنها تستبشعُ افتراءَ الكذبِ على اللهِ وادعاءَ أن له ولدًا

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٩٥).

تعظيمًا لله ﷻ وإجلالًا له: ﴿ ~ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ © ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ´ µ ¶ ¸ ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ [مريم:٨٨-٩٢].

قال الضحاكُ بنُ مزاحمٍ في قولِه تعالى: ﴿ © ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾ أي: يَتَشَقَّقْنَ من عظمةِ اللهِ ﷻ[1].

فعظمةُ اللهِ تعالى متقرِّرَةٌ لدى هذه الأجرامِ العظيمةِ، ولذلك فإنها لا تطيقُ هولَ تلك الكلمةِ الشنيعةِ وهي نسبةُ الولدِ إلى اللهِ تعالى، ولولا حلمُ اللهِ تعالى لخرَّ العالمُ وتبددْت قوائِمُه غضبًا على من تفوَّه بها.

قال محمدُ بنُ كعبٍ: كادَ أعداءُ اللهِ أن يُقيموا علينا الساعةَ.

وقدْ ذكرَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه الله علاقةَ التعظيمِ بالوحدانيةِ فقالَ: «فمن اعتقدَ الوحدانيةَ في الألوهيةِ للهِ سبحانه وتعالى والرسالةَ لعبدِه ورسولِه، ثم لم يُتْبِعْ هذا الاعتقادَ موجَبَهُ من الإجلالِ والإكرامِ، الذي هو حالٌ في القلبِ يظهرُ أثرُه على الجوارحِ، بل قارنَه الاستخفافُ والتسفيهُ والازدراءُ بالقولِ أو بالفعلِ كانَ وجودُ ذلك الاعتقادِ كعدمِهِ، وكانَ ذلك موجِبًا لفسادِ ذلك الاعتقادِ ومزيلًا لما فيه من المنفعةِ والصلاحِ، إذ الاعتقاداتُ الإيمانيةُ تُزكِّي النفوسَ وتصلِحُها، فمتى لم توجبْ زكاةَ النفسِ ولا صلاحَها، فما ذاك إلا لأنها لم ترسَخْ في القلبِ»[2].

---

(١) الدر المنثور (٥/ ٥٤٤).

(٢) الصارم المسلول (١/ ٣٧٥).

ومن دلائلِ تعظيمِ اللهِ ﷻ عبوديةُ الكائناتِ لله تعالى وسجودُها لعظمتِه سبحانه كما قال تعالى: ﴿C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W﴾ [الحج:١٨].

وتعظيمُ اللهِ ﷻ هو الذي يعطي العبادةَ روحَها وجلالَها، وهو الذي يجعلُها عبادةً مقبولةً خالصةً صحيحةً تامَّةَ الشروطِ والأركانِ، أمَّا عبادةٌ بلا تعظيمٍ فإنها كالجسدِ بلا روحٍ ولذلك قال ابنُ القيمِ رحمه الله: «وروحُ العبادةِ هو الإجلالُ والمحبةُ، فإذا تخلَّى أحدُهما عن الآخرِ فسدَتْ، فإذا اقترنَ بهذين الثناءُ على المحبوبِ المعظَّمِ فذلك حقيقةُ الحمدِ»[1].

والنبيُّ ﷺ لما سألَهُ جبريلُ عن الإحسانِ قال: «**أن تعبدَ اللهَ كأنَّك تراهُ، فإن لم تكن تراهُ فإنه يراك**»[2]، وهذه المراقبةُ في العبادةِ هي طريقُ التعظيمِ والإجلالِ للهِ تعالى قال ابنُ رجبٍ: «فقولُه ﷺ في تفسيرِ الإحسانِ: «**أن تعبدَ اللهَ كأنك تراهُ**» إلخ، يشيرُ إلى أنَّ العبدَ يعبدُ اللهَ على هذه الصفةِ، وهي استحضارُ قربِهِ، وأنه بين يديْهِ كأنَّه يراه، وذلك يوجبُ الخشيةَ والخوفَ والهيبةَ والتعظيمَ»[3].

* * *

(١) مدارج السالكين (٢/٤٩٥).
(٢) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٩).
(٣) جامع العلوم والحكم (١/١٢٦).

تعظيم الله في أمهات العبادة

والنبيُّ ﷺ أرشدَ إلى تعظيمِ اللهِ ﷻ في أمَّهاتِ العبادةِ **فالصلاةُ وهي أعظمُ الشعائرِ التعبديةِ بعد الشهادتينِ كلُّها قائمةٌ على التعظيمِ للهِ ﷻ**، وكان ﷺ يستفتحُ الصلاةَ بعباراتِ التعظيمِ والتمجيدِ والإجلالِ للهِ ﷻ. ففي السننِ عن عائشةَ وأبي سعيدٍ أن النبيَّ ﷺ كانَ إذا استفتحَ الصلاةَ قال: «**سبحانك اللهمَّ وبحمدِك وتبارَكَ اسمُكَ، وتعالى جدُّك ولا إله غيرُك**»[1].

وفي صحيح مسلمٍ عن عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه قالَ: كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا قامَ إلى الصلاةِ قال: «**وجَّهْتُ وجهِيَ للذي فطرَ السمواتِ والأرضَ حنيفًا وما أنا من المشركينَ إنَّ صَلاتي ونسُكي ومحيايَ ومماتي للهِ ربِّ العالمينَ، لا شريكَ له وبذلكَ أمرتُ وأنا من المسلمينَ، اللَّهُمَّ أنت الملِكُ لا إله إلَّا أنت، أنت ربي وأنا عبدُك، ظلمتُ نفسي، واعترفتُ بذنبي فاغفِرْ لي ذنوبِي جميعًا إنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلَّا أنتَ، واهدني لأحسنِ الأخلاقِ لا يهدي لأحسَنِهَا إلَّا أنتَ، واصرِفْ عني سيئَهَا لا يصرفُ عني سيِّئَهَا إلا أنتَ، لبيك وسعدَيْك، والخيرُ كلُّه في يديْك، والشرُّ ليس إليك، أنا بك وإليك تباركْتَ وتعالَيْتَ، أستغفِرُك وأتوبُ إليك**»[2].

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة في جوف الليل قال: «**اللهم لك الحمد أنت نور السموات**

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٥)، والنسائي (٨٨٩).

(٢) رواه مسلم (١٢٩٠)، والترمذي (٣٣٤٤).

والأرضِ ومَن فيهن ولكَ الحمدُ، أنت قَيَّامُ السمواتِ والأرضِ ومَنْ فيهن، ولكَ الحمدُ، أنت ربُّ السموات والأرض ومن فيهن، أنت الحقُّ، ووَعدُك الحقُّ، وقولُك الحقُّ، ولقاؤُك حَقٌّ، والجنةُ حَقٌّ، والنارُ حَقٌّ، والنبيون حَقٌّ، ومحمد ﷺ حَقٌّ، والسَّاعة حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أسْلمتُ، وبك آمنتُ، وعليكَ توكلتُ، وإليكَ أنبتُ، وبكَ خاصمتُ، وإليكَ حاكمتُ، فاغفر لي ما قدَّمتُ وما أخرّتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، أنت إلهي لا إله إلَّا أنت»[١].

فهو ﷺ أعظمُ الناسِ تعظيمًا لربِّه تعالى، وأحسنُهم ثناءً عليه وافتقارًا إليه ورغبةً في فضْلِه ورهبةً من عذابِه. وفاتحةُ الكتابِ كذلكَ من أعظمِ ما عُظِّمَ به اللهُ تبارك وتعالى، ولذلكَ جاءَ في الحديثِ القُدْسِيِّ: «**قسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفينِ، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبدُ: ﴿ & ') (﴾ قال الله تعالى: حَمِدني عبدي، وإذا قال: ﴿ + , ﴾ قال الله تعالى: أثنَى عليَّ عبدي، وإذا قال: ﴿ . / 0 ﴾ قال: مَجَّدني عبدي ـ وقال مرةً فَوَّضَ إليَّ عبدي ـ فإذا قال: ﴿ 2 3 4 5 ﴾ قال: هذا بيني وبينَ عبدي ولعبدِي ما سأل، فإذا قال: ﴿ 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C ﴾ قال: هذا لعبدِي ولعبدِي ما سألَ**»[٢].

---

(١) رواه البخاري (١٠٥٣)، ومسلم (١٢٨٨).

(٢) صحيح مسلم (ح٥٩٨) كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وسنن الترمذي (٢٨٧٧)، وسنن النسائي (٩٠٠)، وأبي داود (٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧٤)، وأحمد (٩٥٥٢).

والركوعُ كذلكَ من مواضِعِ تعظيمِ اللهِ ﷻ في الصلاةِ لقولِه ﷺ: «**أما الركوعُ فعظِّمُوا فيه الربَّ**»(١). وفي السننِ عن حذيفةَ رضي الله عنه أنه سَمِعَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ إذا ركعَ: «**سبحانَ ربي العظيمِ**» ثلاث مراتٍ، وإذا سجَدَ قال: «**سبحانَ ربي الأعلى**» ثلاثَ مراتٍ(٢).

وهذا يدلُّ على أن التعظيمَ يكونُ في الركوعِ والسجودِ إلَّا أنَّه في الركوعِ يكونُ الثناءُ والتعظيمُ أكثرُ أما السجودُ فيكونُ فيه التسبيحُ الذي هو تعظيمٌ للهِ ﷻ ويكونُ فيه الدعاءُ والمسألةُ قال ﷺ: «**أما الركوعُ فعظِّمُوا فيه الربَّ وأما السجودُ فاجتهدُوا في الدعاءِ فَقَمِنٌ أنْ يُستجَابَ لكم**»(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسولُ الله ﷺ يُكثِرُ أن يَقُولَ في ركوعِه وسجودِه: «**سبحانَكَ اللهمَّ ربَّنا وبحمدِكَ اللهمَّ اغفرْ لي**»(٤). وعنها رضي الله عنها قالت: كان رسولُ الله ﷺ يقولُ في ركوعِه وسجودِه: «**سُبوحٌ قُدوسٌ، ربُّ الملائكةِ والروحِ**»(٥).

وكذلك جعلَ النبيُّ ﷺ ذِكْرَ ما بعد الرفعِ من الركوعِ منصبًّا على تعظيمِ اللهِ جلَّ وعلا، فعن أبي سعيدٍ رضي الله عنه قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا رفَعَ رأسَه من الركوعِ قال: «**اللهم ربَّنا لك الحمدُ ملْءَ السمواتِ ومِلْءَ الأرضِ، ومِلْءَ ما بينهما، وملءَ ما شئتَ من شيءٍ بعدُ، أهلَ الثناءِ والمجدِ، أحقُّ ما قال**

(١) مسند أحمد (١٨٠١)، ومسلم (٤٧٩)، وأبو داود (٧٤٢)، والنسائي (١٠٤٥).
(٢) الترمذي (٢٦١)، وابن ماجه (٨٨).
(٣) مسلم (٤٧٩)، النسائي (١٠٤٥)، أحمد (١٨٠١).
(٤) البخاري (٧٦١)، مسلم (٤٨٤).
(٥) مسلم (٤٨٧)، النسائي (١١٣٤)، أبو داود (٨٧٢).

العبدُ وكلُّنَا لك عبدٌ، اللهمَّ لا مانعَ لما أعطيتَ، ولا معطيَ لما منعتَ، ولا ينفعُ ذا الجدِّ منك الجدُّ»[١].

أما الحجُّ فإنه كذلك من العباداتِ التي يَتَجَلَّى فيها تعظيمُ الربِّ جلَّ جلالُه في كلِّ منسكٍ من مناسكِهِ فإن هناك كثيرًا من أفعالِ الحجِّ غيرُ معقولةِ المعنى، غير أنَّ المعنى الذي يجمَعُها جميعًا هو الطاعةُ المطلقةُ والتعظيمُ المطلقُ للهِ تعالى، فالطوافُ يكونُ حولَ البيتِ الذي هو من الحجارةِ، والحجرُ الأسودُ يُقَبَّلُ مع كونِه حجرًا، ورَمْيُ الجِمارِ إنما هو حَجَرٌ يُرمى به حَجَرٌ، فما الذي جعلَ هذا الحجَرَ يُرْمَى وهذا الحَجَرَ يُقَبَّلُ وهذا الحَجَرُ يُطافُ حولَه سِوَى العبوديةِ المحضةِ والتعظيمِ الخالصِ للهِ تعالى!

وفي التلبيةِ التي هي شعارُ الحجِّ أعظمُ عباراتِ الثناءِ والتعظيمِ للهِ ﷻ: **«لبيك اللهُمَّ لبيك، لبيك لا شريكَ لك لبيك، إن الحمدَ والنعمةَ لكَ والملكُ، لا شريكَ لك»**.

ذكر ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ في معنى التلبيةِ كلامًا جميلًا نذكرُ منهُ ما يدلُّ على تعظيمِ الربِّ تعالى حيثُ ذكرَ من مَعَانيها: إجابةً لك بعدَ إجابةٍ، أو انقيادًا لك بعد انقيادٍ، أي انقدتُ لك، وَسَعَتْ نفسِي خاضعةً ذليلةً، أو حبًّا لك بعد حبٍّ، أو أخلَصْتُ لُبِّي وقَلْبِي لك، فهي شعارُ التوحيدِ ملةِ إبراهيمَ الذي هو روحُ الحجِّ ومقصدُه، بلْ روحُ العباداتِ كلِّها والمقصودُ منها، ولهذا كانت التلبيةُ مفتاحَ هذه العبادةِ التي يُدْخَلُ فيها بها.

(١) البخاري (١٥٤٩)، مسلم (١١٨٤)، أبو داود (١٧٤٧).

وكذلك فإنها مشتملةٌ على الاعترافِ للهِ بالنعمةِ كلِّها ولهذا عَرَّفَها باللامِ المفيدةِ للاستغراقِ أي النعمُ كلُّها لك وأنت مُوليها والمنعمُ بها.

ومشتملةٌ كذلك على الاعترافِ بأن المُلْكَ كلَّه للهِ وحده، فلا مُلْكَ على الحقيقةِ لغيرِه.

واللهُ سبحانه يفرِّقُ في صفاتِه بين الملكِ والحمدِ، وسَوَّغَ هذا المعنى أنَّ اقترانَ أحدُهُما بالآخرِ من أعظمِ الكمالِ والملكِ. والملكُ وحدَه كمالٌ، والحمدُ كمالٌ، واقترانُ أحدِهما بالآخرِ كمالٌ، فإذا اجْتمعَ الملكُ المتضمِّنُ للقدرةِ، مع النعمةِ المتضمِّنةِ لغايةِ النفعِ والإحسانِ والرحمةِ، مع الحمدِ المتضمِّنِ لعامةِ الجلالِ والإكرامِ ا لداعِي إلى محبَّتِه، كان في ذلك من العظمةِ والكمالِ والجلالِ ما هو أولى به وهو أهلُه»[1].

* * *

---

(١) تهذيب سنن أبي داود (١/ ٢٢٤-٢٢٩) باختصار.

حقيقةُ تعظيمِ اللّهِ تعالى

ذكرَ الهرويُّ رحمهُ الله في (منازلِ السائرينَ) حقيقةَ تعظيمِ اللهِ تعالى فقال: «تعظيمُ الحقِّ سبحانه هو ألا يجعلَ دونَه سببًا، ولا يَرَى عليه حقًّا، أو ينازَع له اختيارًا».

وهذا من دُرَر كلامِه رحمه الله، وقد شَرَحه الإمامُ ابنُ القيمِ فقال: «هذه الدرجةُ تتضمنُ تعظيمَ الحاكمِ سبحانه صاحبَ الخلقِ والأمرِ... وذكر من تعظيمِه ثلاثةَ أشياءَ:

إحداها: أن لا تجعلَ دونَه سببًا، أي لا تجعَلْ للوصْلةِ إليه سببًا غيرَه، بل هو الذي يوصِلُ عبدَه إليه، فلا يوصِلُ إلى اللهِ إلا اللهُ، ولا يقرِّبُ إليه سِوَاه، ولا يُدِني إليه غيرُه، ولا يُتَوصلُ إلى رضاهُ إلا به، فما دلَّ على اللهِ إلا اللهُ، ولا هَدَى إليه سِواه، ولا أَدْنَى إليه غيرُه، فإنه سبحانَه هو الذي جعلَ السببَ سببًا، فالسببُ وسببيتُه وإيصالُه كلُّه خلقُه وفعلُه.

الثاني: أن لا يَرى عليه حقًّا، أي لا تَرى لأحدٍ من الخلقِ لا لك ولا لغيرِك حقًّا على اللهِ، بل الحقُّ للهِ على خلقِه وفي أثرٍ إسرائيلي: أن داودَ عليه السلامُ قال: يا ربّ بحقِّ آبائي عليك. فأوْحَى اللهُ إليه: يا داودُ! أيُّ حقٍّ لآبائِك عليَّ؟ ألستُ أنا الذي هديتُهم ومننْتُ عليهم واصطفيتُهم ولِيَ الحقُّ عليهم.

وأما حقوقُ العبيدِ على اللهِ تعالى؛ من إثابةٍ لمطيعِهم، وتوبتِه على تائِبِهم، وإجابَتِه لسائِلِهم، فتلك حقوقٌ أحقَّها اللهُ سبحانه على نفسِه بحكمِ وعدِهِ وإحسانِه، لا أنَّها حقوقٌ أحقُّوها هم عليه، فالحقُّ في الحقيقةِ للهِ على عبدِه.

وحقُّ العبدِ عليه هو ما اقتَضَاه جودُه وبرُّه وإحسانُه إليه بمحضِ جودِه وكرمِه، هذا قولُ أهلِ التوفيقِ والبصائرِ.

الثالث: وأما قولُه: ولا ينازِعُ لهُ اختيارًا، أي إذا رأيتَ اللهَ ﷻ قد اختارَ لك، أو لغيرِك شيئًا؛ إما بأمرِه ودينِه، وإما بقضائِهِ وقدرِه، فلا تنازع اختيارَه، بل ارضَ باختيارِ ما اختارَه لك فإن ذلك من تعظيمِه سبحانه. ولا يَرِدُ عليه قَدَرُه عليه من المعاصي، فإنه سبحانه وإن قَدَّرَها لكنه لم يختَرْها له، فمنازَعتُها غيرُ اختيارِه من عبدِه، وذلك من تمامِ تعظيمِ العبدِ له سبحانه»[١].

والمؤمنُ ـ من تعظيمِ ربّه تبارك وتعالى ـ يرى الخيرَ في كلِّ ما يأتي به اللهُ ، ويعلَم أنَّ الله تعالى يريدُ به الخيرَ واليسرَ والفلاحَ الذي قد يأتي في ثَوبِ البلاءِ والشدةِ والضيقِ، ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**عجبًا لأمرِ المؤمنِ إن أمرَه كلَّه خيرٌ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمنِ، إن أصابتْه سراءُ شَكَرَ فكان خيرًا له، وإن أصابَتْه ضَرَاءُ صَبَرَ فكانَ خيرًا له**»[٢].

إن غيرَ المؤمنِ لا يصيبُه من هذا الخيرِ شيءٌ لأنه لا يعظمُ اللهَ تعالى ولا يرضَى بقضائِه، ويرى لنفسِه الحقَّ على اللهِ تعالى، كما قالَ صاحبُ الجنتينِ: ﴿ 2 3 45 6 7 8 9 ﴾ [الكهف:٣٦].

أما المؤمنُ المعظِّمُ لربِّه ـ تبارك وتعالى ـ فإنَّه يرضى بما قدَّرَهُ الله عليه، ويصبِرُ على البلاءِ، ويسألُ ربَّه أن يرفَعَ عنه هذا البلاءَ وأن يثبِّتَه على الحقِّ،

---

(١) مدارج السالكين (٢/٥٠١).
(٢) أخرجه مسلم (٥٣١٨).

كما أنه يعودُ باللائمةِ في نزولِ هذا البلاءِ على نفسِه، ويعلمُ أنه مستحقٌّ له وأن اللهَ ﷻ لم يظلمْهُ وإنما ابتلاهُ بذنوبِه تنبيهًا وإيقاظًا حتى يتدارَكَ أمرَهُ، ويصلحَ شأنَهُ، كلُّ ذلك لأنه لا يرى لنفسِه حقًّا على الله تعالى كما قال الناظمُ وأحسن:

ما للعبادِ عليه حقٌّ واجبُ … كلَّا ولا سعيٌ لديه ضائعُ

إن عُذِّبُوا فبعدلِه أو نُعِّموا … فبفَضْلِهِ وهو الكريمُ الواسعُ

* * *

من معاني اسم الله (العظيم)

من أسمائِه تعالى: (العظيم) قال تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا à بِٱللَّهِ â ﴾ [الحاقة:٣٣].

قالَ الزجاجُ: العظيمُ: المعظَّمُ في صفةِ اللهِ تعالى يفيدُ عِظَمَ الشأنِ والسلطانِ، وليس المرادُ به وصفَه بعظمِ الأجزاءِ لأن ذلك من صفاتِ المخلوقينَ تعالى الله عن ذلك علوًّا[1].

قال الشيخُ السعديُّ رحمه الله تعالى: «العظيمُ الجامعُ لجميعِ صفاتِ العظمةِ والكبرياءِ، والمجدِ والبهاءِ الذي تحبُّه القلوبُ، وتعظِّمُه الأرواحُ، ويعرفُ العارفونَ أنَّ عظمةَ كلِّ شيءٍ، وإن جَلّتْ في الصفةِ، فإنها مُضْمَحِلةٌ في جانبِ عظمةِ العليِّ العظيمِ.

واللهُ تعالى عظيمٌ له كلُّ وصفٍ ومعنىً يوجبُ التعظيمَ، فلا يقدرُ مخلوقٌ أنْ يُثْنِيَ عليه كما ينبغي له، ولا يُحصِي ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسِه، وفوقَ ما يُثْنِي عليه عبادُه.

واعلمْ أن مَعَانِي التعظيمِ الثابتةِ للهِ وحدَه نوعانِ:

أحدُهما: أنه موصوفٌ بكلِّ صفةِ كمالٍ، وله من ذلك الكمالِ أكملُه، وأعظمُه وأوسعُه، فلهُ العلمُ المحيطُ، والقدرةُ النافذةُ والكبرياءُ والعظمةُ، ومن عظمتِه أنَّ السمواتِ والأرضَ في كفِّ الرحمنِ أصغرُ من الخردلَةِ كما قال ابنُ عباسٍ وغيرُه، وقال تعالى: ﴿ ۦ قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص:٤٦).

قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾ [الزمر:٦٧]، وقال:
﴿ a b c d e f g i j k l m n o
p ﴾ [فاطر:٤١]، وقال تعالى وهو العليُّ العظيمُ: ﴿ < = >
? @ ﴾ الآية [الشورى:٥].

وفي الصحيحِ عنه ﷺ: «**إنَّ اللهَ يقولُ: الكبرياءُ ردائِي والعظمةُ إزاري، فمن نازَعَني واحدًا منهما عذبتُه**»[1]، فللهِ تعالى الكبرياءُ والعظمةُ، والوصفانِ اللذانِ لا يُقْدَرُ قدرُهما ولا يُبْلَغُ كُنْهَهُمَا.

النوعُ الثاني من معاني عظمتِه تعالى: أنَّه لا يستحقُّ أحدٌ من الخلقِ أن يعظِّمَ كما يعظَّمَ اللهُ؛ فيستحقُّ ـ جلَّ جلالُه ـ من عبادِهِ أن يعظِّمُوه بقلوبِهم، وألسنتِهم، وجوارحِهم؛ وذلك ببذلِ الجهدِ في معرفتِه، ومحبتِه، والذلِّ له، والانكسارِ له، والخضوعِ لكبريائِه، والخوفِ منه، وإعمالِ اللسانِ بالثناءِ عليه، وقيامِ الجوارحِ بشكرِه وعبوديتِه. ومن تعظيمِه: أن يُتَّقى حقَّ تقاتِه؛ فيطاعَ فلا يُعْصَى، ويذكرَ فلا يُنسى، ويُشْكَرَ فلا يُكْفَرُ.

ومن تعظيمِه: تعظيمُ ما حرَّمَهُ وشرعَهُ من زمانٍ ومكانٍ وأعمالٍ: ﴿ 8 9 : ; < = > ? @ ﴾ [الحج:٣٢]، ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ © ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ ﴾ [الحج:٣٠].

ومن تعظيمِه: أن لا يُعترضَ على شيءٍ مما خَلَقَهُ أو شَرَعَهُ»[2].

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٦٧)، وابن ماجه (٤١٦٤).
(٢) الحق الواضح المبين (ص:٢٧-٢٨).

وعظمةُ اللهِ سبحانَه وتعالى لا تكيَّفُ ولا تحدُّ، ولا تمثَّلُ بشيءٍ، ويجبُ على العبادِ أن يعلَمُوا أنه سبحانَهُ عظيمٌ كما وصفَ نفسَهُ بذلك، ووصفَهُ به رسولُه ﷺ بلا كيفيةٍ ولا تحديدٍ، وقدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قالَ: «**تفكرُوا في آلاءِ اللهِ ولا تَفَكَّرُوا في اللهِ**»، وفي لفظ: «**تَفكَّروا في خلقِ اللهِ ولا تَفَكَّرُوا في اللهِ**».

* * *

من شواهد العظمة

هذا الكونُ مليءٌ بالشواهدِ التي تدلُّ على عظمةِ الخالقِ ﷻ، وكل شاهدٍ من هذه الشواهدِ يوصِلُ إلى الذي يليه حتى يصلَ الأمرُ إلى الشاهدِ الأكبرِ، وهو شهودُ جلالِ الربِّ ـ تبارك وتعالى ـ وعظمتِهِ، وقديمًا قال الأعرابيُّ: «البعرةُ تدلُّ على البعيرِ، ومسيرُ الأقدامِ يدلُّ على المسيرِ، فسماءٌ ذاتُ أبراجٍ وأرضٌ ذاتُ فجاجٍ، وبحارٌ ذاتُ أمواجٍ، أفلا يدلُّ ذلك على اللطيفِ الخبيرِ».

ولنتأملْ معًا رحلةَ الشواهدِ التي يحكيها لنا الإمامُ ابنُ القيمِ رحمه اللهُ وهي رحلةُ التأملِ والتفكرِ والنظرِ بعينِ البصيرةِ والمعاينةِ لكلِّ ما حولَنا في هذه الدنيا، ولكلِّ ما سيكونُ في الآخرةِ من مشاهدَ وأهوالٍ وصولًا إلى دارِ المتقينَ الجنةِ، ودارِ الكافرينَ النارِ، ثمَّ مشاهدُ عذابِ أهلِ النارِ وأعظمُهُ حجبُهم عن اللهِ تعالى: ﴿ T U V W X Y ﴾ [المطففين:١٥]، ونعيمِ أهلِ الجنةِ وأعظمُه رؤيةُ الربِّ العظيمِ في يومِ المزيدِ: ﴿ (* + , - . / ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، ثم الانتقالُ بعد ذلك إلى مشاهدِ صفاتِ هذا الإلهِ العظيمِ والربِّ الكريمِ، فيكونُ هذا أعظمَ المشاهدِ في قلبِ المؤمنِ. قال الإمامُ ابن القيم(١):

١- شاهد الدنيا:

فأولُ شواهدِ السائرِ إلى اللهِ والدارِ الآخرةِ: أن يقومَ به شاهدٌ من الدنيا وحقارتِها، وقلةِ وفائِها، وكثرةِ جفائِها، وخسةِ شركائِها، وسرعةِ انقضائِها.

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٥٠).

ويرى أهلَها وعشاقَها صَرعَى حولَها، قد بَدَّعَتْ بهم[١]، وعذبَتْهم بأنواعِ العذابِ، وأذاقتْهم أمرَّ الشرابِ. أضحكَتْهم قليلًا، وأبكَتْهم طويلًا. سَقَتْهم كؤوسَ سُمِّها، بعد كؤوسِ خمرِها. فسكروا بحبِّها. وماتوا بهجرِها.

٢- شاهد الآخرة:

فإذا قام بالعبدِ هذا الشاهدُ منها: ترحَّل قلبُه عنها، وسافر في طلبِ الدارِ الآخرةِ وحينئذٍ يقومُ بقلبِه شاهدٌ من الآخرةِ ودوامِها، وأنها هي الحيوانُ حقًا. فأهلُها لا يرتحلون منها، ولا يظْعَنون عنها، بل هي دارُ القرارِ، ومحطُّ الرحالِ، ومنتهى السيرِ، وأن الدنيا بالنسبةِ إليها ـ كما قال النبيُّ ﷺ: «**ما الدُّنيا في الآخرةِ إلا كما يجعلُ أحدُكم إصبعَه في اليمِّ، فلينظُرْ بم ترجِعُ؟**»[٢]، وقال بعضُ التابعينَ: ما الدنيا في الآخرةِ إلا أقلُّ من ذرةٍ واحدةٍ في جبالِ الدنيا.

٣- شاهد النار:

ثم يقومُ بقلبِه شاهدٌ من النارِ، وتَوَقُّدِها واضطرامِها، وبُعْدِ قعرِها، وشدةِ حَرِّها، وعظيمِ عذابِ أهلِها. فيشاهدُهم وقد سِيقوا إليها سُودَ الوجوهِ، زُرقَ العيونِ، والسلاسلُ والأغلالُ في أعناقِهم. فلما انتهوا إليها: فُتِّحتْ في وجوهِهم أبوابُها. فشاهدوا ذلك المنظرَ الفظيعَ، وقد تقَطَّعتْ قلوبُهم حسرةً وأسفًا ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف:٥٣]، فأراهم شاهدُ الإيمانِ، وهم إليها يُدفعونَ. وأتى

(١) بدّعت بهم: خذلتهم.
(٢) مسلم (٢٨٥٨)، الترمذي (٢٣٢٣)، ابن ماجه (٤١٠٨).

النداءُ من قِبَلِ ربِّ العالمينَ ﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴾ [الصافات:٢٤]، ثم قيلَ لهم ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 ﴾ [الطور:١٤-١٦]، فيراهم شاهدُ الإيمان. وهم في الحميمِ، على وجوهِهم يُسحبونَ. وفي النارِ كالحطبِ يُسجَرون ﴿ u v w x y z { ﴾ [الأعراف:٤١]، فبئسَ اللحافُ وبئسَ الفراشُ.

وإن استغاثوا من شدةِ العطشِ ﴿ X Y Z [\ ﴾ [الكهف:٢٩]، فإذا شربوه قطَّع أمعاءَهم في أجوافِهم، وصَهَرَ ما في بطونِهم.

شرابُهم الحميمُ، وطعامُهم الزَّقُّومُ ﴿ v w x y z { } | { ~ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ © ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ´ µ ¶ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر:٣٦-٣٧].

فإذا قام بقلبِ العبدِ هذا الشاهدُ: انخلعَ من الذنوبِ والمعاصي، واتباعِ الشهواتِ. لبسَ ثيابَ الخوفِ والحذرِ، وأخصبَ قلبَهُ من مطرِ أجفانِهِ، وهانَ عليه كلُّ مصيبةٍ تصيبُهُ في غيرِ دينِهِ وقلبِهِ.

وعلى حَسَبِ قوةِ هذا الشاهدِ يكونُ بعدُه من المعاصي والمخالفاتِ. فيذيبُ هذا الشاهدُ من قلبِه الفضلاتِ، والموادَّ المهلكةَ، وينضجُها ثم يخرجُها. فيجدُ القلبُ لذةَ العافيةِ وسُرورَها.

٤- شاهد الجنة:

فيقومُ به بعد ذلك: شاهدٌ من الجنةِ، وما أعدَّ اللهُ لأهلِها فيها، مما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمِعَتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، فضلًا عمَّا وصَفَه اللهُ لعبادِهِ على لسانِ رسولِه من النعيمِ المفصَّلِ، الكفيلِ بأعلى أنواعِ اللذَّةِ، منَ المطاعمِ والمشاربِ، والملابسِ والصورِ، والبهجةِ والسرورِ. فيقومُ بقلبِهِ شاهدُ دارٍ قد جعلَ اللهُ النعيمَ المقيمَ الدائمَ بحذافِيرِه فيها.

تربتُها المسكُ، وحصباؤُها الدُّرُّ، وبناؤُها لَبِنُ الذَّهبِ والفضةِ، وقَصَبُ اللؤلؤِ، وشرابُها أحلى من العسلِ، وأطيبُ رائحةً من المسكِ، وأبردُ من الكافورِ، وألذُّ من الزنجبيلِ، ونساؤُها لو بَرَزَ وجهُ إحداهُنَّ في هذه الدنيا لغلبَ على ضوءِ الشمسِ، ولباسُهم الحريرُ من السندسِ والإستبرقِ، وخدمُهم ولدانٌ كاللؤلؤِ المنثورِ، وفاكهتُهم دائمةٌ، لا مقطوعةٌ لا ممنوعةٌ، وفُرُشٌ مرفوعةٌ. وغذاؤُهم لحمُ طيرٍ مما يَشْتهونَ، وشرابُهم عليه خمرةٌ لا فيها غَوْلٌ ولا هم عنها يُنزفونَ وخُضْرَتُهُم فاكهةٌ مما يتخيرون، وشاهِدُهم حورٌ عينٌ كأمثالِ اللؤلؤِ المكنونِ، فهم على الأرائكِ مُتكؤونَ، وفي تلك الرياضِ يُحبرونَ، وفيها ما تشتهي الأنفسُ وتلذُّ الأعينُ، وهم فيها خالدونَ.

٥- شاهد يوم المزيد:

فإذا انضم إلى هذا الشاهِدِ: شاهدُ يومِ المزيدِ، والنظرُ إلى وجهِ الربِّ جلَّ جلالُه، وسماعُ كلامِهِ منه بلا واسطةٍ. كما قال النبيُّ ﷺ: «**بينما أهلُ الجنةِ في نعيمِهم، إذ سطَعَ لهم نورٌ. فرفَعُوا رؤُوسَهم. فإذا الربُّ تعالى قد أشرَفَ عليهم من فوقِهم. وقال: يا أهلَ الجنةِ، سلامٌ عليكم** ـ ثم قرأ قولَه تعالى:

﴿ 8 9 : ; > ﴾ [يس:٥٨] ـ ثم يَتَوارى عنهم. وتبقَى رحمتُه وبركتُه عليهم في ديارِهم»[1].

فإذا انضمَّ هذا الشاهدُ إلى الشواهدِ التي قبلَه: فهناك يسيرُ القلبُ إلى ربِّه أسرعَ من سيرِ الرياحِ في مهابِّها، فلا يلتفتُ في طريقِه يمينًا ولا شمالًا.

٦- شاهدُ جلالِ الربِّ وعظمتِه:

هذا، وفوقَ ذلك: شاهدٌ آخرَ تضمحِلُّ فيه هذه الشواهدُ، ويغيبُ به العبدُ عنها كلِّها. وهو شاهدُ جلالِ الربِّ تعالى، وجمالِه وكمالِه، وعزِّه وسلطانِه، وقيوميتِه وعلوِّه فوقَ عرشِه، وتكلُّمِه بكتبِه وكلماتِ تكوينِه، وخطابِه لملائكتِه وأنبيائِه.

فإذا شاهدَه شاهدَ بقلبِه قيومًا قاهرًا فوقَ عبادِه، مستويًا على عرشِه، منفردًا بتدبيرِ مملكتِه، آمرًا ناهيًا، مرسِلًا رسلَه، ومُنْزِلًا كتبَه. يرضَى ويغضَبُ، ويثيبُ ويعاقبُ. ويعطِي ويمنعُ، ويعزُّ ويذلُّ. ويحبُّ ويغضبُ. ويرحمُ إذا استُرحِمَ، ويغفرُ إذا استُغفِرَ، ويعطِي إذا سُئِلَ، ويجيبُ إذا دُعِيَ، ويقيلُ إذا استُقيلَ.

أكبرُ من كلِّ شيءٍ، وأعظمُ من كلِّ شيءٍ، وأعزُّ من كلِّ شيءٍ، وأقدرُ من كلِّ شيءٍ، وأعلمُ من كلِّ شيءٍ، وأحكمُ من كلِّ شيءٍ.

فلو كانت قُوى الخلائقِ كلِّهم على واحدٍ منهم، ثم كانوا كلُّهم على تلك القوةِ، ثم نُسبت تلك القوى إلى قوةِ اللهِ تعالى لكانتْ دونَ قوةِ البعوضةِ بالنسبةِ إلى قوةِ الأسدِ.

---

(١) ابن ماجه (١٨٤)، باب (١٣) فيما أنكرت الجهمية.

ولو قُدِّرَ جمالُ الربِّ تعالى لكان دونَ سراجٍ ضعيفٍ بالنسبةِ إلى عينِ الشمسِ.

ولو كانَ علمُ الأولينَ، والآخرينَ على رجلٍ منهم، ثم كان كلُّ الخلقِ على تلكَ الصفةِ، ثم نُسبَ إلى علمِ الربِّ تعالى لكانَ ذلك بالنسبةِ إلى علمِ الربِّ كنقرةِ عُصفورٍ في بحرٍ.

وهكذا سائرُ صفاتِهِ، كسمعِه وبصرِه، وسائرِ نعوتِ كمالِه. فإنَّه يسمعُ ضجيجَ الأصواتِ باختلافِ اللغاتِ، على تفننِ الحاجاتِ. فلا يشغَلُه سمعٌ عن سمعٍ. ولا تُغلطُه المسائلُ. ولا يتبرمُ بإلحاحِ الملِحِّينَ.

سواءٌ عندَه من أسرَّ القولَ ومن جهرَ به. فالسِّر عنده علانيةٌ. والغيبُ عنده شهادةٌ.

يرى دبيبَ النملةِ السوداءِ، على الصخرةِ الصماءِ، في الليلةِ الظلماءِ. ويرى نياطَ عروقِها، ومجاري القوتِ في أعضائِها.

يضعُ السماواتِ على إصبعٍ من أصابعِ يدِه، والأرضَ على إصبعٍ، والجبالَ على إصبعٍ، والشجرَ على إصبعٍ، والماءَ على إصبعٍ. ويقبضُ سماواتِه بإحْدَى يديه، والأرضينَ باليدِ الأخرى. فالسماواتُ السبعُ في كفِّه كخردلةٍ في كفِّ العبدِ.

ولو أنَّ الخلقَ كلَّهم من أولِهم إلى آخرِهم قاموا صفًّا واحدًا ما أحاطُوا باللهِ ﷻ. لو كشفَ الحجابَ عن وجهِه لأحرقَتْ سُبحاتُه ما انتهى إليه بصرُه من خلقِه.

فإذا قامَ بقلبِ العبدِ هذا الشاهدُ: اضْمَحَلَّتْ فيهِ الشواهدُ المتقدمةُ، من غيرِ أنْ تعدَمَ. بل تصيرُ الغلبةُ والقهرُ لهذا الشاهدِ، وتندرجُ فيه الشواهدُ كلُّها. ومَنْ هذا شاهِدُه: فله سلوكٌ وسيرٌ خاصٌّ، ليسَ لغيرِه ممن هو عن هذا في غفلةٍ، أو معرفةٍ مجملةٍ.

فصاحبُ هذا الشاهدِ: سائرٌ إلى اللهِ في يقظتِهِ ومنامِهِ، وحركتِهِ وسكونِهِ وفطرِهِ وصيامِهِ، لهُ شأنٌ وللناسِ شأنٌ. هو في وادٍ والنَّاسُ في وادٍ.

٧- شاهدُ التوحيدِ:

فإذا طلعتُ شمسُ التوحيدِ، وباشَرَتْ جوانُبَها الأرواح، ونورُها البصائِرَ، تجلَّتْ بها ظلماتُ النفسِ والطبعِ، وتحركتْ بها الأرواحُ في طلبِ من ليس كمثلِه شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ، فسافرَ القلبُ في بيداءِ الأمرِ، ونَزَلَ منازلَ العبوديةِ، منزلًا منزلًا، فهو ينتقلُ من عِبادةٍ إلى عبادةٍ، مُقيم على معبود واحد.

فلا تزالُ شواهدُ الصفاتِ قائمةً بقلبِهِ، توقظُه إذا رقدَ، وتذكِّرُهُ إذا غفلَ، وتحدُو به إذا سارَ، وتقيمُهُ إذا قعدَ.

إن قام بقلبِه شاهدٌ من الربوبيةِ والقيوميةِ رأى أنَّ الأمرَ كلَّهُ للهِ. ليس لأحدٍ معه من الأمرِ شيءٌ ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ ¶ | فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر:٢-٣]. ﴿ ! " # $ % & ') (' + , -

. / 0 2 3 4 5 6 7 9 : ; ﴾ [يونس:١٠٧]،

﴿ t u v w x y z { | } ~ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ © هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ ´ | ¶ ¸ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر:٣٨]، ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ © ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ ´ µ ¶ ¸ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩].

إن قامَ بقلبِه شاهدٌ من الإلهيةِ: رأى في ذلك الشاهدِ الأمرَ والنهيَ، والنبواتِ، والكتبَ والشرائعَ، والمحبةَ والرضى، والكراهةَ والبغضَ، والثوابَ والعقابَ، وشاهدَ الأمرَ نازلًا ممن هو مستوٍ على عرشِهِ، وأعمالُ العبادِ صاعدةٌ إليهِ، ومعروضة عليه. يجزي بالإحسانِ منها في هذه الدارِ وفي العقبى نضرةً وسرورًا، ويقدمُ إلى ما لم يكنْ عن أمرِهِ وشرعِهِ منها فيجعلُهُ هباءً منثورًا.

وإن قامَ بقلبِه شاهدٌ من الرحمةِ: رأى الوجودَ كلَّه قائمًا بهذهِ الصفةِ، قدْ وَسِعَ من هي صفتُه كلَّ شيءٍ رحمةً وعلمًا، وانتهتْ رحمتُهُ إلى حيثُ انتهى علمُه، فاستوى على عرشِه برحمتِهِ، لتسعَ كلَّ شيءٍ، كما وَسِعَ عرشُهُ كلَّ شيءٍ.

وإنْ قامَ بقلبه شاهدُ العِزَّة والكبرياءِ، والعظمةِ والجبروتِ: فله شأنٌ آخر.

وهكذا جميعُ شواهدِ الصفاتِ، فما ذكرنا إنما هو أدنى تنبيهٍ عليها. فالكشفُ والعيانُ والمشاهدةُ لا تتجاوزُ الشواهدَ البتةَ.

أإله مع الله؟

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ[١]: «لا ريبَ أن اللهَ ربُّ العالمينَ، ربُّ السمواتِ والأرضينَ وما بينهما وربُّ العرشِ العظيمِ، ربُّ المشرقِ والمغربِ لا إله إلا هو فاتخذْه وكيلًا، ربُّكم وربُّ آبائِكم الأولين، ربُّ الناسِ مَلِكُ الناسِ إلهُ الناسِ. وهو خالقُ كلِّ شيءٍ وهو على كلِّ شيءٍ وكيلٌ.

خلقَ الزوجينِ الذكرَ والأنثى، من نطفةٍ إذا تُمنى، وهو ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكُه، وهو مالكُ المُلك؛ يُؤتي المُلكَ من يشاءُ، وينزعُ الملكَ ممَّنْ يشاءُ، ويعزُّ من يشاءُ، ويذلُّ من يشاءُ، بيدِه الخيرُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

له ما في السمواتِ وما في الأرضِ وما بينهما وما تحتَ الثرى، الرحمنُ على العرشِ استوى، له المُلكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ ﴿ > =
> ? @ A C D E F G H I K L M N O ﴾
[هود:٥٦].

قلوبُ العبادِ ونواصِيهم بيدِه، وما منْ قلبٍ إلَّا وهو بينَ إصبعينِ من أصابعِ الرحمنِ، إن شاء أن يُقيمَهُ أقامَه، وإن شاء أن يُزيغَهُ أزاغَهُ.

وهو الذي أضحَك وأبكَى، وأغنَى وأقنَى، وهو الذي يُرسلُ الرياحَ بشرًا بين يديْ رحمتِه، ويُنزلُ من السماءِ ماءً فيُحيي به الأرضَ بعدَ موتِها، ويبُثُّ فيها من كلِّ دابَّةٍ. وهو ﴿ # $ % & ') (+ , - . / ﴾ [الأنعام:١]، ﴿ ! " # $ %

(١) مجموع الفتاوى (٢/٣٩٨-٤٠٠) دار الوفاء.

2 1 0 / . - , + * | (' &
﴾ > = < ; : 9 8 7 | 5 4 3

[الأنعام:١٢٥]، ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص:٧٠].

وهو الحيُّ القيومُ الذي لا تأخذُهُ سِنةٌ ولا نومٌ، وهو القائمُ بالقسطِ، القائمُ على كلِّ نفسٍ بما كسَبَتْ، الخالقُ البارئُ المصورُ. ﴿ " # $ % & ') (* ﴾ [هود:٦]، ما شاءَ اللهُ لا قوةَ إلا باللهِ، فما شاء اللهُ كان، وما لم يشأْ لم يكنْ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ، ولا ملجأَ منه إلا إليه.

فهذه المعاني وما أشبهَها من معاني ربوبيتِه ومُلكِه، وخلقِه ورزقِه، وهدايتِه ونصرِه، وإحسانِه وبرِّه، وتدبيرِه وصنعِه، ثمَّ ما يتصلُ بذلك من أنه بكلِّ شيءٍ عليمٌ، وعلى كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنَّه سميعٌ بصيرٌ، لا يشغَلُه سمعٌ عن سمعٍ، ولا تُغلِطُه المسائلُ، ولا يتبرمُ بإلحاحِ المُلحِّينَ، يُبصرُ دبيبَ النملةِ السوداءِ، في الليلةِ الظلماءِ، على الصخرةِ الصماءِ.

فهذا كلُّه حقٌّ، وهو محضُ توحيدِ الربوبيةِ؛ وهو مع هذا قد أعطى كلَّ شيءٍ خلقَه ثمَّ هَدَى، وأحسنَ كلَّ شيءٍ خَلَقَهُ، وبدأَ خلقَ الإنسانِ من طينٍ.

وهذا صنعُ اللهِ، الذي أتقنَ كلَّ شيءٍ، والخيرُ كلُّه بيديْهِ، وهو أرحمُ الراحمينَ، وهو أرحمُ بعبادِهِ من الوالدةِ بولدِهَا، كما أقسمَ على ذلك النبيُّ ﷺ فقالَ: «**واللهِ للهُ أرحمُ بعبادِهِ من هذه الوالدةِ بولَدِها**»[1] إلى نحوِ هذه المعاني،

---

(١) البخاري (٥٩٩٩)، مسلم (٢٧٥٤).

التي تقتضي شمولَ حكمتِه وإتقانِه وإحسانِه خَلْقَ كلِّ شيءٍ وسعةَ رحمتِه وعظمتَها وأنها سبقتْ غضبَه كلُّ هذا حقٌّ»[1].

فاللهُ ﷻ هو مالكُ الملكِ الذي ﴿V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i﴾ [سبأ:٣]، وإذا نظر العبدُ في تدبيرِ اللهِ تعالى لهذا الكونِ كاد عقلُه يطيشُ من هذه القدرةِ الباهرةِ، والقوةِ القاهرةِ، والرحمةِ الظاهرةِ، والإتقانِ والإحسانِ والحكمةِ في كلِّ شيءٍ.

* * *

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٠٠).

الطريق إلى تعظيم الله تعالى

إن تعظيمَ اللهِ تعالى لا يكونُ إلَّا بعدَ معرفةِ اللهِ ﷻ بأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه ونعوتِ جلالِه، قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ à ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]، فلا بدَّ من العلمِ والمعرفةِ، فهي النورُ الذي يضيءُ لك طريقَ التعظيمِ والإجلالِ.

فاللهُ ﷻ عظيمٌ في ذاتِه، عظيمٌ في أسمائِه، عظيمٌ في صفاتِه، عظيمٌ في ملكِه وسلطانِه، عظيمٌ في خلقِه وأمرِه، عظيمٌ في دينِه وشرعِه، عظيمٌ في علمِه وكلماتِه قال تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾ [الكهف:١٠٩]، وقال: ﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [لقمان:٢٧]، هذا علمُ الله تعالى فماذا عن قدرته؟ قال تعالى بعد هذه الآية: ﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ à كَنَفۡسٖ â ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ ç

è ! " # $ % & ' ( ) * + , - .

/ 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = >

? @A B C D E F G H I J K L M N O

P Q R S T U V W Y Z [\ ] ^

_ ﴾ [لقمان:٢٨-٣١].

إنها العظمةُ المطلقةُ والقدرةُ المطلقةُ والعلوُّ المطلقُ، والجلالُ المطلقُ، والقهرُ المطلقُ: ﴿ ۦ قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧].

قال الإمامُ ابنُ القيمِ في ارتباطِ التعظيمِ بالمعرفةِ: «وهذه المنزلةُ ـ أي منزلةُ تعظيمِ اللهِ ﷻ ـ تابعةٌ للمعرفةِ، فعلى قدرِ المعرفةِ يكونُ تعظيمُ الربِّ تعالى في القلبِ، وأعرفُ الناسِ به أشدُّهم له تعظيمًا وإجلالًا، وقد ذمَّ اللهُ تعالى من لم يعظِّمْهُ حقَّ عظمَتِهِ، ولا عَرَفَهُ حقَّ معرفتِهِ، ولا وَصَفَهُ حقَّ وصفِهِ، فقال تعالى: ﴿0 1 2 3 4 5﴾ [نوح:١٣]»[1].

وقال أبو القاسمِ إسماعيلُ الأصبهانيُّ في صفةِ العظمةِ: «العظمةُ صفةٌ من صفاتِ اللهِ، لا يقومُ لها خلقٌ، واللهُ تعالى خلقَ بين الخلقِ عظمةً يعظّمُ بها بعضُهم بعضًا، فمن الناسِ من يعظَّم لمالٍ، ومنهم من يعظَّم لفضلٍ، ومنهم من يعظَّم لعلمٍ، ومنهم من يعظَّم لسلطانٍ، ومنهم من يعظَّم لجاهٍ، وكلُّ واحدٍ من الخلقِ إنما يعظَّمُ لمعنى دونَ معنىً واللهُ ﷻ يعظَّمُ في الأَحوالِ كلِّها، فينبغي لمن عَرَفَ حقَّ عظمةِ اللهِ أن لا يتكلمَ بكلمةٍ يكرهُها اللهُ، ولا يرتكبَ معصيةً لا يرضاها اللهُ، إذ هو القائمُ على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ»[2]، يشير بذلك رحمه اللهُ إلى أنَّ المعصيةَ تُضْعِفُ من تعظيمِ العبدِ لربِّه، وقد تذهبُ التعظيمَ من قلبِه بالكليةِ.

* * *

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٩٥).
(٢) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٤١، ١٤٢).

تعظيمُ الأمر والنهي

وهذا يدلُّ على أن أولَ مراتبِ التعظيمِ هي تعظيمُ الأمرِ والنهيِ، وقد ذكر ذلك ابنُ القيمِ فقال: «تعظيمُ الأمرِ والنهيِ هو ناشئٌ عن تعظيمِ الآمرِ الناهي فإن اللهَ تعالى ذمَّ من لا يعظِّمهُ ولا يعظِّمُ أمرَهُ ونهيَهُ، قال ﷻ: ﴿0 1 2 3 4 5﴾ [نوح:١٣]، قالوا في تفسيرِها: ما لكم لا تخافونَ للهِ تعالى عظمةً.

وما أحسنَ ما قالَه شيخُ الإسلامِ في تعظيمِ الأمرِ والنهيِ: «هو ألا يُعَارَضَا بترخصٍ جافٍ، ولا يُعرَّضا لتشديدٍ غالٍ ولا يُحْمَلَا على علةٍ توهنُ الانقيادَ».

ومعنى كلامِه: أن أولَ مراتبِ تعظيمِ الحقِّ ﷻ: تعظيمُ أمرِه ونهيِه، وذلك لأن المؤمنَ يعرِفُ ربَّه ﷻ برسالتِه التي أرسلَ بها رسولَ اللهِ ﷺ إلى كافةِ الناسِ، ومقتضاها: الانقيادُ لأمرِه ونهيِه، وإنما يكونُ ذلك بتعظيمِ أمرِ اللهِ ﷻ واتباعِه، وتعظيمِ نهيِه واجتنابِه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه واجتنابه دالًّا على تعظيمِه لصاحبِ الأمرِ والنهيِ، ويكونُ بحسبِ هذا التعظيمِ من الأبرارِ المشهودِ لهم بالإيمانِ والتصديقِ وصحةِ العقيدةِ، والبراءةِ من النفاقِ الأكبرِ. فإن الرجلَ قد يتعَاطَى فعلَ الأمرِ لنظرِ الخلقِ وطلبِ المنزلةِ والجاهِ عندَهم، ويتَّقِي المناهِيَ خشيةَ سقوطِه من أعينِهم، وخشيةَ العقوباتِ الدنيويَّةِ من الحدودِ التي رتَّبَها الشارعُ على المناهِي، فهذا ليس فعلُه وتركه صادرًا عن تعظيمِ الأمرِ والنهيِ، ولا عن تعظيمِ الآمرِ الناهِي»[١].

---

(١) الوابل الصيب (ص:١٧-١٨).

كيف نعرف اللّه؟[1]

الربُّ تعالى يدعُو عبادَه في القرآنِ إلى معرفتِه من طريقينِ:

أحدُهما: النظرُ في مفعولاتِه.

والثاني: التفكُّرُ في آياتِه وتدبُّرُها.

فتلكَ آياتُه المشهودَةُ، وهذه آياتُه المسموعَةُ المعقولَةُ.

فالنوعُ الأولُ: كقولِه: ﴿! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0﴾ [البقرة:١٦٤]، إلى آخرها. وقوله: ﴿Y Z [\ ] ^ _ ` a b c﴾ [آل عمران:١٩٠].. وهو كثيرٌ في القرآنِ.

والثاني: كقولِه: ﴿K L M﴾ [النساء:٨٢]. وقوله: ﴿s t u﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقوله: ﴿B C D E F G﴾ [ص:٢٩].. وهو كثيرٌ أيضًا.

فأمَّا المفعولاتُ، فإنها دالَّةٌ على الأفعالِ، والأفعالُ دالَّةٌ على الصفاتِ؛ فإنَّ المفعولَ يدلُّ على فاعلٍ فعلِه، وذلكَ يستلزِمُ وجودَه وقدرتَه ومشيئَتَه وعلمَه لاستحالةِ صدورِ الفعلِ الاختياريِّ من معدومٍ أو موجودٍ لا قدرةَ له ولا حياةَ ولا علمَ ولا إرادةَ.

ثم ما في المفعولاتِ من التخصُّصَاتِ المتنوعةِ دالٌّ على إرادةِ الفاعلِ،

(١) الفوائد لابن القيم (ص:٤٠-٤٢).

وأنَّ فعلَه ليس بالطبعِ بحيثُ يكونُ واحدًا غيرَ متكررٍ.

وما فيها من المصالحِ والحِكمِ والغاياتِ المحمودةِ دالٌّ على حكمتِه تعالى.

وما فيها من النفعِ والإحسانِ والخيرِ دالٌّ على رحمتِه.

وما فيها من البطشِ والانتقامِ والعقوبةِ دالٌّ على غضبِه.

وما فيها من الإكرامِ والتقريبِ والعنايةِ دالٌّ على محبتِه.

وما فيها من الإهانةِ والإبعادِ والخذلانِ دالٌّ على بُغضِه ومَقتِه.

وما فيها من ابتداءِ الشيءِ في غايةِ النقصِ والضعفِ ثم سَوْقِهِ إلى تمامِه ونهايتِه دالٌّ على وقوعِ المعادِ.

وما فيها من أحوالِ النباتِ والحيوانِ وتصرُّفِ المياهِ دليلٌ على إمكانِ المعادِ.

وما فيها من ظهورِ آثارِ الرحمةِ والنعمةِ على خلقِه دليلٌ على صحةِ النبوَّاتِ.

وما فيها من الكمالاتِ التي لو عَدِمَتْها كانتْ ناقصةً دليلٌ على أنَّ معطي تلكَ الكمالاتِ أحقُّ بها.

فمفعولاتُه من أدلِّ شيءٍ على صفاتِه وصِدْقِ ما أخبرَتْ به رُسُلُه عنه؛ فالمصنوعاتُ شاهدةٌ تُصَدِّقُ الآياتِ المسموعاتِ، منبهةٌ على الاستدلالِ بالآياتِ المصنوعاتِ. قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت:٥٣]، أي أنَّ القرآنَ حقٌّ، فأخبرَ أنَّه لا بدَّ أن

يُرِيَهُم من آياتِه المشهودَةِ ما يبيِّنُ لهم أنَّ آياتِه المتلوَّةَ حقٌّ. ثم أخبرَ بكفايةِ شهادتِه على صحةِ خَبَرِه بما أقامَ من الدلائلِ والبراهينِ على صدقِ رسولِه. فآياتُه شاهدةٌ بصدقِه، وهو شاهدٌ بصدقِ رسولِه بآياتِه. فهو الشاهدُ والمشهودُ له، وهو الدليلُ والمدلولُ عليه. فهو الدليلُ بنفسِه على نفسِه كما قالَ بعضُ العارفينَ: كيفَ أطلبُ الدليلَ على من هو دليلٌ لي على كلِّ شيءٍ؟ فأيُّ دليلٍ طلبتَه عليه فوجودُه أظهرُ منه. ولهذا قال الرُّسُلُ لقومِهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾؟ [إبراهيم:١٠]؛ فهو أعرفُ من كلِّ معروفٍ، وأبينُ من كلِّ دليلٍ. فالأشياءُ عُرِفَتْ به في الحقيقةِ، وإنْ كانَ عُرِفَ بها في النَّظَرِ، والاستدلالِ بأفعالِه وأحكامِه عليه.

* * *

معرفة جمال الله ﷻ[1]

من أعزِّ أنواعِ المعرفةِ: معرفةُ الربِّ سبحانه بالجمالِ، وهي معرفةُ خواصِّ الخلقِ، وكلُّهم عَرَفَهُ بصفةٍ من صفاتِه، وأتمُّهم معرفةً من عَرَفَهُ بكمالِه وجلالِه وجمالِه سبحانه، ليسَ كمثلِه شيءٌ في سائرِ صفاتِه، ولو فَرَضْتَ الخلقُ كلُّهم على أجملِهم صورةً، وكلُّهم على تلكَ الصورةِ، ونَسَبْتَ جمالَهم الظاهرَ والباطنَ إلى جمالِ الربِّ سبحانَه لكانَ أقلَّ من نسبةِ سراجٍ ضعيفٍ إلى قرصِ الشمسِ، ويكفِي في جمالِه أنَّه لو كَشَفَ الحجابَ عن وجْهِه لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُه[2] ما انتهى إليه بصرُه من خلقِه. ويكفِي في جمالِه أنَّ كلَّ جمالٍ ظاهرٍ وباطنٍ في الدنيا والآخرةِ فمن آثارِ صنعَتِه، فما الظنُّ بمَنْ صدرَ عنه هذا الجمالُ؟!

ويكفِي في جمالِه: أنَّه لَهُ العزَّةُ جميعًا، والقوَّةُ جميعًا، والجودُ كلُّه، والإحسانُ كلُّه، والعلمُ كلُّه، والفضلُ كلُّه، ولِنُورِ وجهِه أَشْرَقَتِ الظلماتُ، كما قالَ النبيُّ ﷺ في دعاءِ الطائفِ: «**أعوذُ بنورِ وجهِكَ الذي أشرقَتْ لهُ الظلماتُ وصلُحَ عليه أمرُ الدنيا والآخرةِ**»[3].

وقال عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ: ليسَ عندَ ربِّكُم ليلٌ ولا نهارٌ، نورُ السمواتِ والأرضِ من نورِ وجهِه، فهو سبحانَه نورُ السمواتِ والأرضِ، ويومَ القيامةِ إذا جاء لفصلِ القضاءِ تُشْرِقُ الأرضُ بنُوره.

---

(١) الفوائد (ص:٢٥٨).

(٢) (سُبُحاتُ) وجهِ الله تعالى بضمتين: جلالتُه.

(٣) رواه الطبراني في (الكبير) عن عبد الله بن جعفر. وهو ضعيف. انظر: تخريج فقه السيرة (١٣١).

ومن أسمائِه الحسنى **(الجميلُ)**. وفي الصحيح عنه ﷺ: «**إن اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ**»[١].

وجمالُه سبحانَه على أربعِ مراتِب: جمالُ الذاتِ، وجمالُ الصفاتِ، وجمالُ الأفعالِ، وجمالُ الأسماءِ. فأسماؤُه كلُّها حُسْنَى، وصفاتُه كلُّها صفاتُ كمالٍ، وأفعالُه كلُّها حكمةٌ ومصلحةٌ وعدلٌ ورحمةٌ. وأمَّا جمالُ الذَّاتِ، وما هو عليه، فأمرٌ لا يُدْرِكُهُ سِوَاهُ، ولا يعلمُه غيرُه، وليسَ عندَ المخلوقينَ منه إلا تعريفاتٌ تَعَرَّفَ بها إلى مَنْ أَكْرَمَهُ من عبادِه، فإنَّ ذلكَ الجمالَ مصونٌ عن الأغيارِ محجوبٌ بسترِ الرداءِ والإزارِ، كما قال رسوله ﷺ فيما يُحْكَى عنه: «**الكبرياءُ رِدَائي، والعظمةُ إزاري**»[٢]. ولما كانت الكبرياءُ أعظمُ وأوسعُ كانتْ أَحَقَّ باسمِ الرداءِ؛ فإنه سبحانَه الكبيرُ المتعالِ، فهو سبحانَه العليُّ العظيمُ.

قال ابنُ عباسٍ: حجبَ الذاتَ بالصفاتِ، وحجبَ الصفاتِ بالأفعالِ، فما ظنُّكَ بجمالٍ حُجِبَ بأوصافِ الكمالِ وسُتِرَ بنعوتِ العظمةِ والجلالِ؟!

ومن هذا المعنى يُفْهَمُ بعضُ معانِي جمالِ ذاتِه؛ فإنَّ العبدَ يترقَّى من معرفةِ الأفعالِ إلى معرفةِ الصفاتِ، ومن معرفةِ الصفاتِ إلى معرفةِ الذاتِ. فإذا شاهدَ شيئًا من جمالِ الأفعالِ، استدلَّ به على جمالِ الصفاتِ، ثم استَدَلَّ بجمالِ الصفاتِ على جمالِ الذاتِ.

---

(١) رواه مسلم (١٤٧)، والترمذي (١٩٩٩).
(٢) مسلم (٦٢٠)، وأبو داود (٣٥٦٧).

ومن ههنا يتبينُ أَنَّهُ سبحانَه لهُ الحمدُ كلُّه، وأنَّ أحدًا من خَلْقِهِ لا يُحصِي ثناءً عليه، بل هو كما أَثْنَى على نفسِه، وأنه يستحقُّ أن يُعْبَدَ لذاتِه، ويُحَبَّ لذاتِه، ويُشْكَرَ لذاته، وأنه سبحانَه يُحِبُّ نفسَه ويُثني على نفسِه ويحمدُ نفسَه، وأن محبَّتَه لنفسِه وحمدَه لنفسِه وثناءَه على نفسِه وتوحيدَه لنفسِه، هو في الحقيقةِ الحمدُ والثناءُ والحبُّ والتوحيدُ؛ فهو سبحانه كما أَثْنَى على نفسِه، وفوقَ ما يُثْنِي به عليه خلقُه.

وهو سبحانه كما يُحِبُّ ذاتَه يحبُّ صفاتِه وأفعالَه، فكلُّ أفعالِه حسنٌ محبوبٌ، وإن كانَ في مفعولاتِه ما يُبْغِضُهُ ويكرهُه، فليس في أفعالِه ما هو مكروهٌ مسخوطٌ، وليسَ في الوجودِ ما يُحَبُّ لذاتِه ويُحْمَدُ لذاتِه إلا هو سبحانَه. وكل ما يُحَبُّ سواهُ، فإنْ كانَتْ محبَّتُه تابعةٌ لمحبتِه سبحانَه بحيثُ يُحَبُّ لأجلِه، فمحبَّتُه صحيحةٌ، وإلا فهي محبةٌ باطلةٌ. وهذا هو حقيقةُ الإلهيةِ؛ فإنَّ الإلهَ الحقَّ هو الذي يُحَبُّ لذاتِه ويُحْمَدُ لذاتِه. فكيفَ إذا انضافَ إلى ذلكَ إحسانُه وإنعامُه وحلمُه وتجاوزُه وعفوُه وبرُّه ورحمتُه؟

فعلى العبدِ أنْ يعلَمَ أنَّه لا إلهَ إلا اللهُ، فيحبُّه ويحمدُه لذاتِه وكمالِه، وأنْ يعلمَ أنَّه لا مُحْسِنَ على الحقيقةِ بأصنافِ النعمِ الظاهرةِ والباطنةِ إلا هو ، فيحبُّه لإحسانِه وإنعامِه، ويحمَدُه على ذلكَ؛ فيحبُّه من الوجهينِ جميعًا.

وكما أنَّه ليسَ كمثلِه شيءٌ، فليسَ كمحبَّتِه محبةٌ. والمحبَّةُ معَ الخضوعِ هي العبوديةُ التي خُلِقَ الخلقُ لأجلِها؛ فإنَّها غايةُ الحبِّ بغايةِ الذُّلِّ، ولا يصلحُ ذلكَ إلَّا له سبحانَه. والإشراكُ به في هذا، هو الشركُ الذي لا يَغْفِرُه اللهُ، ولا يقبلُ لصاحِبِه عملًا.

وحمدُه يتضمَّنُ أصلينِ: الإخبارُ بمحامدِه وصفاتِ كمالِه، والمحبةُ له عليها. فمَنْ أخبرَ بمحاسنِ غيرِه من غيرِ محبةٍ له لم يَكُنْ حامدًا. ومن أحبَّه من غيرِ إخبارٍ بمحاسنِه لم يَكُنْ حامدًا حتى يجمَعَ الأمرينِ.

وهو سبحانَه يحمدُ نفسَه بنفسِه، ويحمدُ نفسَه بما يُجْرِيهِ على ألسنةِ الحامدينَ له من ملائكتِه وأنبيائِه ورُسلِه وعبادِه المؤمنينَ؛ فهو الحامدُ لنفسِه بهذا وهذا؛ فإن حمدَهم له بمشيئتِه وإذنِه وتكوينِه؛ فإنَّه هو الذي جعلَ الحامدَ حامدًا، والمسلمَ مسلمًا، والمصلِّيَ مصليًا، والتائبَ تائبًا؛ فمنه ابتدأتِ النعمُ وإليه انتهَتْ، فابتدأَتْ بحمدِه وانتهَتْ إلى حمدِه.

وهو الذي ألهمَ عبدَه التوبةَ، وفرحَ بها أعظمَ فرحٍ، وهي من فَضْلِه وجُودِه. وألهمَ عبدَه الطاعةَ، وأعانَه عليها، ثم أثابَه عليها، وهي من فَضْلِهِ وجودِه.

وهو سبحانَه غنيٌّ عن كلِّ ما سواهُ بكلِّ وجهٍ، وما سواهُ فقيرٌ إليه بكلِّ وجهٍ، والعبدُ مفتقرٌ إليه لذاتِهِ في الأسبابِ والغاياتِ؛ فإنَّ ما لا يكونُ به لا يكونُ، وما لا يكونُ له لا يَنْفَعُ.

* * *

أعرفُ الناس باللّهِ[(١)]

من الناسِ من يعرفُ اللهَ بالجودِ والإفضالِ والإحسانِ، ومنهم من يعرِفُه بالعفوِ والحلمِ والتجاوزِ، ومنهم من يعرفُه بالبطشِ والانتقامِ، ومنهم من يعرفُه بالعلمِ والحكمةِ، ومنهم من يعرفُه بالعزَّةِ والكبرياءِ، ومنهم من يعرفُه بالرحمةِ والبرِّ واللطفِ، ومنهم من يعرفُه بالقهرِ والملكِ، ومنهم من يعرفُه بإجابةِ دعوتِه وإغاثةِ لهفتِه وقضاءِ حاجتِه.

وأعظمُ هؤلاءِ معرفةً: من عَرَفَه من كلامِه؛ فإنَّه يعرِفُ ربًّا قد اجتمعَتْ له صفاتُ الكمالِ ونعوتُ الجلالِ، منزَّهٌ عن المثالِ، بريءٌ من النقائص والعيوبِ، له كلُّ اسمٍ حسنٍ وكلُّ وصفِ كمالٍ، فعَّالٌ لما يريدُ، فوقَ كلِّ شيءٍ، ومع كلِّ شيءٍ، وقادرٌ على كلِّ شيءٍ، ومقيمٌ لكلِّ شيءٍ، آمرٌ ناهٍ، متكلمٌ بكلماتِه الدينيةِ والكونيةِ، أكبرُ من كلِّ شيءٍ، وأجملُ من كلِّ شيءٍ، أرحمُ الراحمينَ، وأقدرُ القادرينَ، وأحكمُ الحاكمينَ. فالقرآنُ أُنْزِلَ لتعريفِ عبادِه به، وبصراطِه الموصلِ إليه، وبحالِ السالكينَ بعد الوصولِ إليه.

* * *

(١) الفوائد (ص:٢٥٧).

الحمدُ من طرقِ تعظيمِ اللهِ تعالى

ومن الوسائلِ التي تُفضِي إلى تعظيمِ اللهِ تعالى وإجلالِه: كثرةُ حمدِه سبحانه وتعالى والثناءِ عليه سبحانه وشكرِه على نعمِه. وقدْ روى البخاريُّ عن أبي أمامةَ أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذا رَفَعَ مائدتَه قال: «**الحمدُ للهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غيرَ مكفيٍّ، ولا مودَّعٍ، ولا مستغنًى عنه**».

فاللهُ تعالى لا يستطيعُ أحدٌ أن يكافِيه على إنعامِه أبدًا، لأنَّ شكرَه سبحانه هو نعمةٌ من نِعَمِه كما قيل:

إذا كان شُكري نعمةَ اللهِ نعمةً ... عليَّ له في مثلِها يجبُ الشكرُ

فكيف وقوعُ الشكرِ إلا بفضلِه ... وإنْ طالتِ الأيامُ واتَّصلَ العمرُ

إذا مسَّ بالسرَّاءِ عمَّ سرورُها ... وإن مسَّ بالضرَّاءِ أعقبَها الأجرُ

فما منهما إلا لهُ فيه نعمةٌ ... تضيقُ بها الأوهامُ والسِّرُّ والجهرُ

فالمعظِّمُ لربِّه ﷻ يعترفُ بقلبِه أنَّه لو أنفقَ جميعَ عمرِه في قيامِ الليلِ وصيامِ النهارِ ولم يَزَلْ لسانُه رطبًا بذكرِ اللهِ، فإنَّه لا يستطيعُ تأديةَ شكرِ نعمةٍ واحدةٍ منْ نعمِ اللهِ عليه. ومعَ ذلكَ فإنَّه يَجِبُ على العبدِ أن يَلْهَجَ بحمدِ اللهِ تعالى وشكرِه والثناءِ عليهِ وأن يقدِّمَ ذلكَ بين يَدَيْ دُعائِهِ وسؤالِه.

فإنَّ الحمدَ يتضمَّنُ مدحَ المحمودِ بصفاتِ كمالِه، ونعوتِ جلالِه، معَ محبَّتِه والرِّضا عنه، والخضوعِ له. فلا يكونُ حامدًا من جَحَدَ صفاتِ المحمودِ، ولا من أعرضَ عن محبَّتِه والخضوعِ له. وكلَّما كانت صفاتُ كمالِ المحمودِ أكثرَ كان حمدُه أكملَ، وكلما نقصَ من صفاتِ كمالِه نقصَ من حمدِه

بحَسَبِها. ولهذا كانَ الحمدُ كلُّه للهِ حمدًا لا يحصِيهِ سِوَاهُ، لكمالِ صفاتِه وكثرتِها. ولأجلِ هذا لا يُحْصِي أحدٌ من خلقِه ثناءً عليه، لما له من صفاتِ الكمالِ، ونعوتِ الجلالِ التي لا يحصِيها سِوَاهُ.

ومعلومٌ بالفِطَرِ والعقولِ السليمةِ والكُتُبِ السماويَّةِ: أنَّ فاقدَ صفاتِ الكمالِ لا يكونُ إلهًا، ولا مدبِّرًا، ولا ربًّا، بل هو مذمومٌ، معيبٌ ناقصٌ، ليسَ له الحمدُ، لا في الأولى ولا في الآخرةِ. وإنَّما الحمدُ في الأولى والآخرةِ لمن له صفاتُ الكمالِ، ونعوتُ الجلالِ، التي لأجلِها استحَقَّ الحمدَ.

وكذلكَ حمدُه لنفسِه على عدمِ اتِّخَاذِ الولدِ المتضمِّنِ لكمالِ صَمَدِيَّتِه وغِنَاه وملكِه، وتعبيدِ كلِّ شيءٍ له. فاتِّخَاذُ الولدِ يُنَافِي ذلكَ، كما قال تعالى: ﴿ { ~ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ©فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس:٦٨].

وحمدُ نفسِه على عدمِ الشريكِ، المتضمِّنِ تفرُّدِه بالربوبيَّةِ والإلهيَّةِ، وتوحُّدِه بصفاتِ الكمالِ التي لا يوصَفُ بها غيرُه، فيكونُ شريكًا له. فلو عَدِمَها لكانَ كلُّ موجودٍ أكملَ منه. لأنَّ الموجودَ أكملُ من المعدومِ. ولهذا لا يحمدُ نفسَه سبحانه بعدمٍ، إلا إذا كانَ متضمِّنًا لثبوتِ كمالٍ. كما حَمِدَ نفسَه بكونِه لا يموتُ لتضمُّنِه كمالَ حياتِه.

وحَمِدَ نفسَه بكونِه لا تأخُذُه سنةٌ ولا نومٌ، لتضمُّنِ ذلك كمالَ قيوميَّتِه.

وحَمِدَ نفسَه بأنَّه لا يعزُبُ عن علْمِهِ مثقالُ ذرةٍ في الأرضِ ولا في السماءِ، ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ، لكمالِ علمِه وإحاطتِه.

وحَمِدَ نفسَه بأَنَّه لا يظلِمُ أحدًا، لكمالِ عدلِه وإحسانِه.

وحَمِدَ نفسَه بأَنَّه لا تدركُه الأبصارُ، لكمالِ عظمَتِه، يُرى ولا يُدْرَكُ، كما أنه يُعْلَمُ ولا يُحَاطُ به علمًا. فمجرَّدُ نفْيِ الرؤيةِ ليسَ بكمالٍ. لأنَّ العدمَ لا يُرى. فليسَ في كونِ الشيءِ لا يُرَى كمالٌ ألبتةَ. وإنَّما الكمالُ في كونِه لا يحاطُ به رؤيةً ولا إدراكًا، لعظمَتِه في نفسِه، وتعلِّيهِ عن إدراكِ المخلوقِ له. وكذلكَ حَمِدَ نفسَه بعدمِ الغفلةِ والنسيانِ، لكمالِ علمِه.

فكلُّ سَلْبٍ في القرآنِ حَمِدَ اللهُ به نفْسَه فلمضادَتِه لثبوتِ ضِدِّه، ولتضمُّنِه كمالَ ثبوتِ ضِدِّه.

فعلمت أنَّ حقيقةَ الحمدِ تابعةٌ لثبوتِ أوصافِ الكمالِ، وأنَّ نفيَها نفيٌ لحمدِه، ونفيُ الحمدِ مستلزمٌ لثبوتِ ضدِّه[1].

* * *

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٦).

التفكرُ من طرقِ تعظيمِ اللهِ تعالى

فمن تعظيمِ اللهِ تباركَ وتعالى: التفكرُ في آياتِه وآلائِه وبديعِ صُنْعِه كما قالَ تعالى: ﴿ Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y ﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١].

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «ومعنى الآيةِ أن اللهَ تعالى يقولُ: ﴿ Y Z [ ] \ ﴾ أي هذه في ارتفاعِها واتساعِها، وهذه في انخفاضِها وكثافَتِها واتضاعِها، وما فيها من الآياتِ المشاهَدَةِ العظيمةِ من كواكبَ سياراتٍ، وثوابتَ وبحارٍ وجبالٍ وقفارٍ وأشجارٍ ونباتٍ، وزروعٍ وثمارٍ، وحيوانٍ ومعادنَ، ومنافعَ مختلفةِ الألوانِ والروائحِ والطعومِ والخواصِّ، ﴿ ^ _ ` ﴾ أي تعاقُبُهما وتقارضُهما الطولَ والقِصَرَ، فتارةً يطولُ هذا ويقصُرُ هذا، ثم يعتدلانِ ثم يأخذُ هذا من هذا فيطولُ الذي كان قصيرًا، ويقصُرُ الذي كانَ طويلًا. وكلُّ ذلك تقديرُ العزيزِ العليمِ، ولهذا قال تعالى: ﴿ a b c ﴾ أي العقولِ التامةِ الذكيةِ التي تُدركُ الأشياءَ بحقائِقِها على جليَّاتِها، وليسُوا كالصُمِّ البُكْمِ الذين لا يعقلونَ، الذين قال الله فيهم: ﴿ - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? ﴾ [يوسف:١٠٥-١٠٦]، ثم وصف تعالى أولي الألباب، فقال: ﴿ e f g h i j k ﴾. كما ثبت في صحيحِ البخاريِّ عن عمرانَ بن حصينٍ: أن رسولَ

اللهِ ﷺ قال: «**صلِّ قائمًا، فإن لم تستطعْ فقاعدًا، فإن لم تستطعْ فعلى جَنْبٍ**»[(١)] أي لا يقطعونَ ذكرَه في جميعِ أحوالِهم بسرائرِهم وضمائرِهم وألسنتِهم، ﴿ l m n o p ﴾ أي يفهمونَ ما فيهما من الحِكَمِ الدالةِ على عظمةِ الخالقِ وقدرتِه وعلمِه وحكمتِه واختيارِه ورحمتِه.

وقال الشيخُ أبو سليمانَ الدارانيُّ: إني لأخرجُ من منزلي فما يقعُ بصري على شيءٍ إلا رأيتُ للهِ عليَّ فيه نعمةً ولي فيه عبرةٌ. رواه ابنُ أبي الدنيا في كتابِ التوكلِ والاعتبارِ.

وعن الحسنِ البصريِّ أنه قالَ: تفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من قيامِ ليلةٍ، وقال الفضيلُ: قال الحسنُ: الفكرةُ مرآةٌ تريك حسناتِك وسيئاتِك.

وقال سفيانُ بن عيينةَ: الفكرةُ نورٌ يدخلُ قلبَك وربَّما تمثَّل بهذا البيتِ:

إذا المرءُ كانت له فكـرةٌ ففي كلِّ شيءٍ لـهُ عـبرةٌ

وعن عيسى عليه السلام أنه قال: «طُوبى لمن كانَ قيلُه تذكُّرًا وصمتُه تفكرًا، ونظرُه عِبَرًا».

قال لقمانُ الحكيمُ: «إن طولَ الوحدةِ ألهمُ للفكرةِ، وطولَ الفكرةِ دليلٌ على طرقِ بابِ الجنةِ».

وقال وهبُ بنُ منبهٍ: «ما طالت فكرةُ امريءٍ إلا فَهِمَ، ولا فَهِمَ امرؤٌ قطُّ إلا عَلِمَ، ولا عَلِمَ امرؤٌ قطُّ إلا عَمِلَ». وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: «الكلامُ بذكرِ اللهِ ﷻ حسنٌ، والفكرةُ في نعمِ اللهِ أفضلُ العبادةِ».

(١) رواه البخاري (١٠٥٠)، وأبو داود (٨١٥).

وقال مغيثٌ الأسودُ: «زورُوا القبورَ كلَّ يومٍ تُفَكِّرُكم، وشاهدُوا الموقفَ بقلوبِكم، وانظرُوا إلى ا لمنصرفِ بالفريقينِ إلى الجنةِ أو النارِ، وأشعِرُوا قلوبَكم وأبدانَكُم ذكرَ النارِ ومقامِعَها وأطباقَها».

وعنِ ابن عباسٍ أنه قال: «ركعتانِ مقتصدتانِ في تفكرٍ، خيرٌ من قيامِ ليلةٍ والقلبُ ساهٍ».

وقال الحسنُ البصريُّ: «يا ابنَ آدمَ، كلْ في ثلثِ بطنِك، واشربْ في ثلثِه، ودعْ ثلثَه الآخرَ تتنفسُ للفكرةِ».

وقال بعضُ الحكماءِ: «من نظرَ إلى الدنيا بغيرِ العبرةِ، انطمس من بصرِ قلبِه بقدرِ تلك الغفلةِ».

وقال بشرُ بنُ الحارثِ الحافي: «لو تفكَّر الناس في عظمةِ اللهِ تعالى لما عَصَوْهُ».

وقال الحسنُ عن عامرِ بنِ عبدِ قيسٍ، قال: «سمعتُ غيرَ واحدٍ ولا اثنينِ ولا ثلاثةٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ يقولونَ: إن ضياءَ الإيمانِ أو نورَ الإيمانِ التفكُّرُ».

وعن عيسى عليه السلام أنه قال: «يا ابنَ آدمَ الضعيفَ اتقِ اللهَ حيثما كنتَ، وكن في الدنيا ضيفًا، واتخذ المساجدَ بيتًا، وعلِّم عينَيْك البكاءَ، وجسدَك الصبْرَ، وقلبَكَ الفِكْرَ، ولا تهتمّ برزقِ غدٍ».

وعن أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، أنه بكى يومًا بين أصحابِه، فسُئل عن ذلك، فقال: «فكرتُ في الدنيا ولذاتِها وشهواتِها، فاعتبرتُ منها

بها، ما تكادُ شهواتُها تنقضي حتى تكدِّرَها مرارتُها، ولئن لم يكن فيها عبرةٌ لمن اعتبر إنَّ فيها مواعظَ لمن ادَّكَرَ».

وقال ابنُ أبي الدنيا: «أنشدني الحسين بن عبد الرحمن:

نزهـةُ المـؤمنِ الفِكَـر ... لــذةُ المــؤمنِ العِــبَر

نحمـــدُ اللهَ وحـــدَه ... نحنُ كلٌّ عـلى خَطَـر

ربَّ لاهٍ وعمـــــرُه ... قد تقضَّى ومـا شَـعَر

رُبَّ عيشٍ قد كان فو ... قَ المنى مونَـقَ الزَّهَـر

في خريـرٍ مـن العُيـو ... نِ وظلٍ مـن الـشَّجَر

وسرورٍ مـــن النَّبَـــا ... تِ وطيبٍ من الثَمَـر

غيَّرتْـــه وأهلَـــه ... سرعةُ الـدهرِ بـالغِيَر

نحمـــدُ الله وحـــدَه ... إن في ذا لمعتَـــــبَر

إنَّ في ذا لعِـــــبْرةٌ ... للَّبيـــبِ إن اعتَـــبَر

وقد ذم الله تعالى من لا يعتبرُ بمخلوقاتِه الدالةِ على ذاتِه وصفاتِه وشرعِه وقدرِه وآياتِه، فقال: ﴿ - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? ﴾ [يوسف:١٠٥-١٠٦]، ومدح عبادَه المؤمنينَ: ﴿ e f g h i j k l m n o p ﴾ قائلين: ﴿ q r s t u ﴾ أي ما خلقْتَ هذا الخلقَ عبثًا، بل بالحقِّ لتجْزِيَ الذي أساؤوا

بما عمِلوا، وتجزي الذين أحسَنوا بالحسْنى، ثم نَزَّهُوهُ عن العبثِ وخلقِ الباطلِ، فقالوا: ﴿ v ﴾ أي عن أن تخلقَ شيئًا باطلًا ﴿ w x y ﴾ أي يا من خلق الخلقَ بالحقِّ والعدلِ، يا من هو منزَّهٌ عن النقائصِ والعيبِ والعبثِ. قِنَا من عذابِ النارِ بحولِك وقوتِك وقَيِّضْنَا لأعمالٍ ترضَى بها عنا. ووفِّقْنَا لعملٍ صالحٍ تهدينا به إلى جناتِ النعيمِ، وتجيرنا به من عذابِك الأليم»[1].

* * *

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٧٠-٥٧٢) باختصار.

وفي أنفسكم أفلا تُبصرون

تفكَّرْ في نفسِك أيُّها الإنسانُ.. أين كنتَ؟ وكيف جئتَ؟ ومم خلقتَ؟
قال تعالى: ﴿ e f g h i j k l m n o p q
r s t u v w x y z { |
} ~ ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ © ٱلۡخَٰلِقِينَ
١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ ´ µ ¶ ¸ ﴾
[المؤمنون:١٢-١٦].

فالإنسانُ إذا تفكَّر بعقلِه في نفسِه رآها مدبَّرةً وعلى أحوالٍ شتَّى مُصَرَّفة.. كان نطفةً، ثم علقةً، ثم مضغةً، ثم لحمًا وعظمًا.. فيعلمُ ـ بهذا الفكرِ ـ أنه لم ينتقِلْ من حالِ النقصِ إلى حالِ الكمالِ، لأنَّه لا يقدرُ على أن يحدثَ لنفسِه في الحالِ الأفضلِ التي هي كمالُ عقلِه وبلوغِ أشدِّه عُضْوًا من الأعضاءِ، ولا يمكنُه أن يزيد في جوارحِه جارحةً، فيدلُّه ذلك على أنه في حالِ نقصِه وأوانِ ضعفِه على فِعل ذلك أعجزُ.

وقد يرى نفسَه شابًّا ثم كهلًا، ثم شيخًا وهو لم ينقِلْ نفسَه من حالِ الشبابِ والقوةِ إلى حالِ الشيخوخةِ والهرمِ، ولا اختارَه لنفسِه، ولا في وُسْعِه أن يزايلَ حالَ المشيبِ ويراجعَ قوةَ الشبابِ.

فيعلمُ بذلك أنه ليس هو الذي فعلَ تلكَ الأفعالَ بنفسِه، وأنَّ له صانعًا صنَعَه، وناقلًا نَقَلَهُ من حالٍ إلى حالٍ، ولولا ذلك لم تتبدلْ أحوالُه بلا ناقلٍ ولا مدبرٍ.

وقالَ بعضُ الحكماءِ: إن كلَّ شيءٍ في العالمِ الكبيرِ له نظيرٌ في العالمِ الصغيرِ الذي هو بدنُ الإنسانِ ولذلك قال تعالى: ﴿ r s l u v ﴾ [الذرايات:٢١].

§ والسمعُ والبصرُ منها بمنزلةِ الشمسِ والقمرِ في إدراكِ المدركاتِ بها.

§ وأعضاؤُه تصيرُ عند البِلى ترابًا من جنسِ الأرضِ.

§ وفيه من جنسِ الماءِ العرقُ وسائرُ رطوباتِ البدنِ.

§ ومن جنسِ الهواءِ فيه الروحُ والنفسُ.

§ ومن جنسِ النارِ فيه المرةُ الصفراءُ.

§ وعروقُه بمنزلةِ الأنهارِ في الأرضِ.

§ وكَبِدُه بمنزلةِ العيونِ التي تستمدُّ منها الأنهارُ لأن العروقَ تستمدُّ من الكبدِ.

§ ومثانَتُه بمنزلةِ البحرِ؛ لانصبابِ ما في أوعيةِ البدنِ إليها، كما تنصبُّ الأنهارُ إلى البحرِ.

§ وعظامُه بمنزلةِ الجبالِ التي هي أوتادُ الأرضِ.

§ وأعضاؤُه كالأشجارِ، فكما أنَّ لكلِّ شجرةٍ ورقًا وثمرًا، فَلِكُلِّ عضوٍ فعلٌ أو أثرٌ.

§ والشعرُ على البدنِ بمنزلةِ النباتِ والحشيشِ على الأرضِ.

§ ثمَّ إنَّ الإنسانَ يحكي بلسانِه كلَّ صوتِ حيوانٍ، ويحاكِي بأعضائِه صنعَ كلِّ حيوانٍ.

فهو العالمُ الصغيرُ مع العالمِ الكبيرِ، مخلوقٌ مُحدَثٌ لصانعٍ واحدٍ لا إلهَ إلا هُو[1].

قال قتادةُ في قولِه تعالى: ﴿ r s u v ﴾ قالَ: «من تفكَّرَ في نفسِه علِمَ أنَّه خُلِقَ ليَعْبُدَ اللهَ»، وقال ابنُ الزبيرِ ومجاهدٌ: «المرادُ: سبيلُ الخلاءِ والبولِ».

وقال السائبُ بنُ شريكٍ: «يأكلُ ويشربُ من مكانٍ واحدٍ ويُخْرِجُ من مكانينِ».

ولو شَرِبَ لبنًا محضًا لخرجَ منه الماءُ ومنهُ الغائطُ.

وقال ابنُ زيدٍ: «المعنى أنَّه خلقَكُم من ترابٍ وجعلَ لكمُ السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ ﴿S T U V W﴾ [الروم:٢٠]».

وقال السدِّيُّ: ﴿ r s ﴾ أي: «في حياتِكُم وموتِكم وفيما يدخلُ ويخرجُ من طعامِكم».

وقال الحسنُ: «في الهرمِ بعدَ الشبابِ، والضعفِ بعدَ القوَّةِ، والشيبِ بعدَ السوادِ».

وقيلَ المعنى: وفي خلقِ أنفسِكم من نطفةٍ وعلقةٍ ومُضْغةٍ ولحمٍ وعظمٍ إلى نفخِ الروحِ، وفي اختلافِ الألسنةِ والألوانِ والصورِ إلى غيرِ ذلكَ من

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠٢/٢).

الآياتِ الباطنةِ والظاهرةِ، وحسبُكَ بالقلوبِ وما ركَزَ فيها من العقولِ، وما خُصَّت به من أنواعِ المعاني والفنونِ، وبالألسنِ والنطقِ ومخارجِ الحروفِ، والأبصارِ والأطرافِ، وسائرِ الجوارحِ، وتأتيها لما خُلقتْ له، وما سوَّى في الأعضاءِ من المفاصلِ للانعطافِ والتثنِّي ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ © ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤]، وقوله: ﴿ u v ﴾ يعني بَصَرَ القلبِ، ليعرِفُوا كمال قدرة الخالق[١].

أراد رجلٌ أن يحاججَ الإمامَ عليًّا رضي الله عنه فوقفَ وقال: «يا عليّ! إني سائلُك.. فقال الإمام: سلْ تفقهًا ولا تسأل تعنُّتًا. فقالَ الرجلُ: أنت حَمَلْتني على ذلك ثم قال: هل رأيتَ ربَّك يا عليّ؟ قال: ما كنتُ أعبد ربًّا لم أرَه! فقال الرجلُ: كيف رأيته؟ قال: لم تَرَهُ العيونُ بمشاهدةِ العيانِ، ولكن رأتْه القلوبُ بحقيقةِ الإيمانِ، ربي واحدٌ لا شريكَ له، أحدٌ لا ثانيَ له، فردٌ لا مِثلَ له، لا يحويه مكانٌ، ولا يداولُه زمانٌ، لا يُدْرَكُ بالحواسِّ، ولا يُقَاسُ بالقِيَاسِ»[٢].

قال عليّ رضي الله عنه:

دواؤُك فيــكَ ومــا تبــصرُ ... وداؤُك منــكَ ومــا تــشعرُ

وتــزعمُ أنَّــك جــرمٌ صــغيرٌ ... وفيكَ انطَوَى العــالمُ الأكــبرُ

فمن تأمل في ذاتِه، وتفكَّرَ في صفاتِه ظهرت له عظمةُ باريه، وآياتُ مُبْدِيه..

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٧/ ٤٠).
(٢) تفسير روح البيان (٩/ ١٢٨).

فسبحانه من ربٍّ لا يُضَاهَى، ومنانٍ لا يُحصَى كرمُهُ ولا يتناهى، ونحن في تيارِ بحرِ جودِه سابحونَ، وعن إقامةِ مراسمِ شُكْرِهِ قاصرونَ. وما أحسنَ قولَ بعضِ العارفينَ: أنه تعالى يملكُ عبادًا غيرَك، وأنت ليس لك ربٌّ سواه ثم إنك تتساهلُ في خدمَتِهِ، والقيامِ بوظائفِ طاعتِهِ، كأنَّ لك ربًّا بل أربابًا غيرَه، وهو سبحانه يعتني بتربيتِك حتى كأنه لا عبدَ له سواك، فسبحانَه ما أتمَّ تربيتَه، وأعظمَ رحمتَه[1].

إليـك إلـهَ الخلـقِ أرفـعُ رغبتـي ... وإن كنتُ ياذا المنِّ والجودِ مجرمًـا

ولما قَسَا قلبي وَضَـاقَتْ مـذَاهبي ... جعلتُ الرَّجا مِني لعفـوكَ سُـلَّمًا

تعـــاظَمَني ذنبـــي فلـــما قرنتُـــه ... بعفْـوِكَ ربِّي كـان عفـوُكَ أعظَـمَا

وما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنبِ لم تَزَلْ ... تجُـــودُ وتعفُـــو مِنَّـــةً وتكرُّمـــا

ولولاكَ لم يـصمدْ بـإبليسَ عابـدٌ ... فكيفَ وقد أغْوَى صـفيَّكَ آدمَـا

فيا ليتَ شِعْرِي هـل أصـيرُ لجنـةٍ ... فَأَهْنَـــا وأمـــا للـــسعيرِ فأنْـــدَمَا

وإني لآتِي الـذنبَ أعـرفُ قـدرَه ... وأعلـــمُ أن اللهَ يعفُـــو ويرحَمَـــا

فإن تعفُ عني تعفُ عـن متمـردٍ ... ظلُـومٍ غـشُومٍ لا يزايـلُ مـأْثَمَا

وإن تنـتقِمْ منـي فلـستُ بـآيسٍ ... ولو أُدْخِلَتْ نفسي بجُرمي جهنَّمَا

* * *

(١) (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) لأبي الفضل محمود الألوسي.

عنايةُ اللّهِ بالإنسان

جاء في بعضِ الآثارِ: يا ابن آدم! أَنَّى تعجزُني وقد خلقتُك من نطفةٍ، ثم من علقةٍ، ثمَّ من مضغةٍ، ثم نفختُ فيك الروحَ، وجعلتُ لك مُتَّكأً عن يمينِك، ومتَّكأً عن شمالِك. فالذي عن يمينِك الكبدُ، والذي عن شمالِك الطحالُ، وجعلتُ وجهك إلى ظهرِ أمِّك حتى لا تفزَعَ من الرَّحِمِ، وغشَّيتُ وجهَك بغشاءٍ حتى لا تؤذيكَ رائحةُ الطعامِ، ورزقتُك وأنتَ في بطنِ أمِّك. حتى إذا جاءَ وقتُ خروجِك إلى الدنيا، أمرتُ الملكَ الموكَّلَ، فأخرجَك إلى الأرضِ، ليسَ لكَ يدٌ تبطِشُ، ولا رِجْلٌ تسعَى بها، ولا سنٌّ يقطَعُ. وأنبتُّ لك في صَدْرِ أمِّك عرقَيْنِ رقيقينِ يُغَذِّيَانِكَ بلبنٍ سائغٍ، باردٍ في الصيفِ، دافئٍ في الشتاءِ. وقذفتُ محبَّتَك في قلبِ والدَيْكَ، فلا يأكلانِ حتى تأكلَ، ولا يشربانِ حتى تشربَ، ولا يرقدانِ حتى ترقدَ، حتى إذا اشتدَّ عودُك، وقَوِيَ جسمُك بارَزْتَني بالمعاصي، ولم تستحِ منِّي! ومعَ ذلك إن تبتَ إليَّ قبلتُك، وإن سألتَنِي أعطيتُك، وإن استَغْفَرْتَنِي غفرتُ لكَ، وأنا الرحمنُ الرحيمُ.

﴿X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d
e f g h i j k l m n o p q r s t
u v w x y z { ﴾ [يس:٧٧-٧٩].

عن بُسرِ بن جِحَاشٍ القرشيِّ أنَّ النبيَّ ﷺ بزقَ يومًا في كفِّهِ، فوضَع عليها أصبعَه، ثم قالَ: «**قالَ اللهُ: ابنَ آدمَ! أَنَّى تُعجِزُنِي، وقد خلقْتُك من مثلِ هذه.. حتى إذا سوَّيتُك وعدَّلتُك مشيتَ بين بردين، وللأرضِ منك وئيدٌ،**

فجَمعتَ ومنعتَ.. حتى إذا بلغَتِ التراقِيَ قلتَ: أتصدَّقُ، وأنَّى أوانُ الصدقةِ» [رواه أحمد].

قال ابنُ الجوزيِّ: « وجميعُ الموجوداتِ من آثارِ قدرتِه.. وأعجبُ آثارِ الآدميّ، فإنك إذا تفكرتَ في نفسِك كَفَى، وإذا نظرتَ في خلقِك شَفَى! أليس قد فعلَ في قطرةٍ من ماءٍ ما لو انقَضَتِ الأعمارُ في شرحِ حكمَتِه ما وفَّتْ؟

كانتِ النقطةُ مغموسةً في دمِ الحيضِ ومقياسُ القدرةِ يشقُّ السَّمْعَ والبصَرَ!

خلق منها ثلاثمائةٍ وستينَ عظمًا، وخمسمائةٍ وتسعًا وعشرينَ عَضَلَةً، كلٌّ من ذلك تحتَه حكمةٌ.

فالعينُ سبعُ طبقاتٍ، وأربعةٌ وعشرينَ عضلةً لتحريكِ حَدَقَةِ العينِ وأجفانِها، لو نُقِصَتْ منها واحدةٌ لاختلَّ الأمرُ.

وأظهرَ في سوادِ العينِ على صِغَرِه صورةَ السماءِ مع اتساعِها.

وخالفَ بينَ أشكالِ الحناجرِ في الأصواتِ.

وسخَّر المعدةَ لإنضاجِ الغذاءِ.

والكبدَ لإحالتِه إلى الدمِ.

والطحالَ لجذبِ السوداءِ.

والمرارةَ تناولُ الصفراءَ كلَّها.

والعروقَ كالخدمِ للكبدِ، تنفذُ منها الدماءُ إلى أطرافِ البدنِ.

فيا أيُّها الغافلُ! ما عندكَ خبرٌ منك، فما تعرفُ من نفسِكَ إلا أن تجوعَ فتأكلَ، وتشبعَ فتنامَ، وتغضبَ فتخاصِمَ، فبماذَا تميزتَ على البهائمِ؟!

* * *

انظر حولَك.. تأملاتٌ في الكون والآفاق

ارفعْ بصرَ فِكْرِكَ إلى عجائبِ السمواتِ، فتلمَّح الشمسَ في كلِّ يومٍ في منزلٍ، فإذا انخفَضَتْ بَرَدَ الهواءُ وجاءَ الشتاءُ، وإذا ارتفَعَتْ قَوِيَ الحرُّ، وإذا كانت بين المنزلتينِ اعتدلَ الزمانُ.

ثم اخفِضْ بَصَرَكَ إلى الأرضِ، ترى فِجَاجَها مذلَّلةً للتسخيرِ، ﴿ : ; > ﴾ [الملك:١٥]، وتفكَّروا في شُربِها بعد جَدْبِها بكأسِ القطرِ.

وتلمَّحْ خروجَ النباتِ يرفُلُ في ألوانِ الحُللِ على اختلافِ الصورِ والطعومِ والأراييحِ.

وانظرْ كيفَ نَزَلَ القطرُ إلى عِرقِ الشَّجَرِ، ثم عاد ينجذبُ إلى فروعِها، ويجري في تجاويفِها بعروقٍ لا تفتقِرُ إلى كُلْفَةٍ.

فلا حظَّ للغافلِ في ذلك إلا سماعُ الرعدِ بأذنِه، ورؤيةِ النباتِ والمطرِ بعينيه.. كلا! لو فُتح بصرُ البصيرةِ لقرأَ على كلِّ قطرةٍ خطًّا بالقلمِ الإلهِيِّ: أنَّها رزقُ فلانٍ في وقتِ كذا!!

ثم انظُرْ إلى المعادنِ لحاجاتِ الفقيرِ إلى المصالحِ، فمنها مودعٌ كالرصاصِ والحديدِ، ومنها مصنوعٌ بسببِ غيرِه كالأرضِ السبخةِ، يُجمعُ فيها ماءُ المطرِ فيصيرُ مِلْحًا.

وانظرْ إلى انقسامِ الحيواناتِ ما بين طائرٍ وماشٍ وإلهامِها ما يُصلِحُها.

وانظرْ إلى بُعْدِ ما بين السماءِ والأرضِ، كيف ملأَ ذلكَ الفراغَ هواءً، لتستنشقَ منه الأرواحُ، وتَسْبَحَ الطيرِ في تيَّارِه إذا طارَتْ.

وانظرْ بفكرِك إلى سَعَةِ البحرِ وتسخيرِ الفُلْكِ فيه، وما فيه من دابةٍ.

قال يحيى بنُ أبي كثيرٍ: خلقَ اللهُ ألفَ أمةٍ، فأسْكَنَ ستمائةٍ في البحرِ، وأربعمائةٍ في البرِّ.

واعجبًا لك! لو رأيتَ خطًّا مستحسَنَ الرَّقْمِ، لأدرَكَك الدهشُ من حكمةِ الكاتبِ، وأنت تَرَى رقومَ القدرةِ ولا تعرفُ الخالقَ، فإن لم تَعْرِفْهُ بتلك الصنعةِ، فتَعَجَّبْ كيف أعْمَى بصيرتَك مع رؤيةِ بصرِك![1].

فسبحانَك يا ربَّنا.. يا من سبحتْ له الكائناتُ.. وسجدَ له الصخرُ والنباتُ.. وتدكدَكَتْ لخشيتِه الجبالُ الراسياتُ..

ويهتفُ حمدًا جمالُ الصباحِ ... وسِحرُ الربيعِ الشهيُّ العَطِر

وسِحْرُ السماء الشَّحيُّ الوديعُ ... وهمسُ النسيمِ ولحنُ المَطَر

تُسبِّحُه نغماتُ الطيورِ ... يُسبِّحُه الظلُّ تحتَ الشَّجَر

يُسبِّحه النبعُ بين المروجِ ... يسبِّحُ دومًا أريجُ الزَّهَر

يسبِّحه النورُ بين الغصونِ ... وسِحْرُ المساءِ وضوءُ القَمَر

قال الإمامُ ابنُ الجوزيِّ: عَرض لي في طريقِ الحجِّ خوفٌ من العربِ، فَسِرْنَا على طريقِ خيبرٍ، فرأيتُ من الجبالِ الهائلةِ والطرقِ العجيبةِ ما أذهَلَني.. وزادتْ عظمةُ الخالقِ ﷻ في صَدْرِي، فصارَ يعرِضُ لي عند ذكرِ تلك الطرقِ نوعُ تعظيمٍ لا أجدُه عند ذكرِ غيرِهَا.

---

(١) انظر: التبصرة لابن الجوزي (٥٩/١-٦١).

فصحتُ بالنفسِ: ويحكِ! اعبُرِي إلى البحرِ، وانظري إليه وإلى عجائبِه بعينِ الفكْرِ، تُشاهِدِي أهوالًا هي أعظمُ من هذه.. ثم اخرُجي عن الكونِ، والتفتي إليه، فإنكِ ترينَه بالإضافةِ إلى السمواتِ والأفلاكِ كذرَّةٍ في فلاةٍ..

ثم جُولي في الأفلاكِ.. وطوفي حولَ العرشِ.. وتلمَّحِي ما في الجنانِ والنيرانِ.. ثم اخرُجِي عن الكلِّ والتَفِتِي إليه.. فإنكِ تشاهدينَ العالَمَ في قبضةِ القادرِ الذي لا تَقِفُ قدرَتُه عندَ حدٍّ.. ثم التفِتِي إليكِ.. فتلمَّحِي بدايتكِ ونهايتَكِ.. وتفكَّرِي فيما قبل البدايةِ وليس إلا العدمُ.. وفيما بعدَ البِلَى وليس إلا الترابُ!!

فكيف يأنسُ بهذا الوجودِ من نَظَرَ بعينِ فكرِهِ المبدأَ والمنتَهَى؟ وكيف تغفلُ القلوبُ عن ذكرِ هذا الإلهِ العظيمِ؟

باللهِ لو صَحَّت النفوسُ عن سُكْرِ هواها لذابتْ من خوفِه.. أو لغابَتْ في حبِّه.. غيرَ أنَّ الحسَّ غَلَبَ .. فعظُمَتْ قدرةُ الخالقِ عندَ رؤية جبلٍ.. وإن الفطنةَ لو تلمَّحتْ المعانِيَ لدلَّت القدرةُ عليه أوفى من دليلِ الجبلِ. فسبحانَ من شغلَ أكثرَ الخلقِ بما هم فيه عما خُلِقوا له.. سبحانَه» [صيد الخاطر].

الفجرُ بدَّده الضحى وعلى الضحى شدَّ الأصِيل

والليـلُ يـدنو زحفُـه فكـأنما انهَمَـرَتْ سُـيُول

أرخَى على الدنيا دُجَـاهُ فعـمَّ في الـدنيا الـذُّهُول

الـصمتُ لـوَّن هـذه الـدنيا وغطَّاهـا خُمُـول

والريحُ أعياها السُّرى والبدرُ من ضعفٍ خَجُول

ونظرتُ من يَحْمِي الأنامَ وعزَّ في الناسِ السبيلُ!

ونظرتُ من للنَّجْمِ يُمْسِكُه فـلا يخشَى أُفُـول!!

ونظرتُ ثم نظرتُ ثم رأيتُ كم حَـارَتْ عُقُـول

ونَظَرْتُ ثـم نَظَـرْتُ يـا سـبحانَ ربِّي مـا أقُـول

وضحَ الـدليلُ وغـابَ عنـا أنـه وَضَـحَ الـدَّلِيل

ولـربما تَحْـوِي يَـدِي وأنـا بـما تَحْـوِي جَهُـول!!

ذكر الحافظُ ابنُ رجبٍ عن بعضِ السلفِ أنه قرأَ في بعض الكتب المنزلةِ: «يقولُ اللهُ ﷻ: يؤمَّلُ غيري للشدائدِ.. والشدائدُ بيدِي.. وأنا الحيُّ القيومُ.. ويُرجَى غيري.. ويُطرقُ بابُه بالبُكَرَاتِ! وبيدي مفاتيحُ الخزائنِ.. وبابي مفتوحٌ لمن دعاني!!

من ذا الذي أمَّلني لنائبةٍ فقطعتُ به..

أو من ذا الذي رَجَاني لعظيمٍ فَقَطَعْتُ رَجَاءَه!!..

ومن ذا الذي طرقَ بابي فلم أَفْتَحْ له؟

أنا غايةُ الآمالِ.. فكيف تَنْقِطُعُ الآمالُ دوني؟!

أبخيلٌ أنا؟ فيبخِّلُني عَبْدِي!!

أليس الدنيا والآخرةُ والكرمُ والفضلُ كلُّه لي؟!

فما يمنعُ المؤمِّلينَ أن يؤمّلوني؟!

لو جمعتُ أهلَ السمواتِ وأهلَ الأرضِ.. ثم أعطيتُ كلَّ واحدٍ منهم ما أعطيتُ الجميعَ.. وبلّغتُ كلَّ واحدٍ منهم أمَلَه.. لم يُنْقِصْ ذلك من مُلكي ذرةً.. وكيف يَنْقُصُ مُلكٌ أنا قيّمُهُ؟!

فيا بؤسًا للقَانِطِينَ من رَحْمَتِي!!

ويا بؤسًا لمن عَصَاني.. وتوثَّب على محَارِمي!!

* * *

تعظيمُ اللهِ تعالى من خلالِ أسمائِه وصفاتِه

لا شكَّ أنَّ من أعظمِ أسبابِ تعظيمِ الله سبحانه وتعالى: تدبُّرُ معانِي أسمائِه الحسْنَى وما تدلُّ عليه من صفاتٍ وما توجِبُهُ من آثارٍ عظيمةٍ، ولذلكَ نَبَّهَ اللهُ سبحانه وتعالى على التأمُّلِ والتدبُّرِ في تلكَ الآثارِ فقالَ في صفةِ «الرحمةِ»: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ à قَدِيرٞ ﴾ [الروم:٥٠].

فإذا جَهِلَ الإنسانُ معانِيَ تلكَ الأسماءِ الحسْنَى، وجَهِلَ ما تدلُّ عليه من صفاتٍ، كيفَ له أن يَعْرِفَ آثارَ هذهِ الأسماءِ ويَنْتَفِعَ بها فقد قال سبحانه: ﴿Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f﴾ [الإسراء:١١٠]، وقال: ﴿C D E F G I J K L M O P Q R﴾ [الأعراف:١٨٠].

والدعاءُ هنا يَتَضَمَّنُ نوعينِ:

أولًا: دعاءُ المسألةِ والطلبِ: وذلك بأن تُقَدِّمَ بين يَدَيْ دعائِك من أسماءِ اللهِ ما يكونُ مناسبًا للمطلوبِ، كما قال ابنُ القيمِ: يسألُ في كلِّ مطلوبٍ بما يكونُ مقتضيًا لذلك المطلوبِ، فيكونُ السائلُ متوسِّلًا إليه بذلك الاسمِ، ومن تأمَّلَ أدعيةَ الرسلِ وجدَها مطابقةً لهذا.

ثانيًا: دعاءُ الثناءِ والعبادةِ: وذلكَ بأنْ تُمَجِّدَهُ وتُثْنِيَ عليه بأسمائِهِ الحسْنَى وأن تَتَعَبَّدَ للهِ تعالَى بمقتَضَى هذهِ الأسماءِ.

ولا شكَّ أن الجهلَ بمعانِي هذه الأسماءِ الحسْنَى يمْنَعُ من الانتفاعِ بها في هذا البابِ.

وقدْ أكثرَ الإمامُ ابنُ القيمِ وأطابَ في ذكرِ معانِي أسماءِ اللهِ الحسْنَى، وتَبِعَهُ في ذلكَ الشيخُ عبدُ الرحمنِ بنِ سَعْدِيٍّ رحمهما الله[1]، وكان مما قالا:

* * *

---

(١) انظر: (ص: ١٣٠) من هذا الكتاب.

نظراتٌ في الأسماءِ والصفاتِ وآثارها

قال ابنُ القيمِ عن هذا المشهدِ: «وهو من أجلِّ المشاهدِ.

والمطَّلِعُ على هذا المشهدِ: معرفةُ تعلقِ الوجودِ خلقًا وأمرًا بالأسماءِ الحُسْنَى، والصفاتِ العُلَى، وارتباطُه بها. وإن كان العَالَمَ ـ بما فيه ـ من بعضِ آثارِها ومقتضياتِها.

وهذا من أجلِّ المعارفِ وأشرفِها، وكلُّ اسمٍ من أسمائِه سبحانَه له صفةٌ خاصَّةٌ.

فإن أسماءَه أوصافُ مدحٍ وكمالٍ.

وكلُّ صفةٍ لها مقتضَىً وفِعْلٌ: إمَّا لازمٌ وإما مُتَعَدٍّ، ولذلكَ الفعلِ تعلُّقٌ بمفعولٍ هو من لوازِمِهِ. وهذا في خلقِهِ وأمرِهِ، وثوابِهِ وعقَابِهِ. كلُّ ذلكَ آثارُ الأسماءِ الحسنَى وموجِبَاتُها.

ومن المحالِ تعطيلُ أسمائِه عن أوصافِها ومعانِيها، وتعطيلُ الأوصافِ عما تقتضِيهِ وتستَدْعِيه من الأفعالِ، وتعطيلُ الأفعالِ عن المفعولاتِ، كما أنه يستحيلُ تعطيلُ مفعولِه عن أفعالِه وأفعالِه عن صفاتِه، وصفاتِه عن أسمائِه. وتعطيلُ أسمائِه وأوصافِه عن ذاتِه.

وإذا كانتْ أوصافُه صفاتِ كمالٍ، وأفعالُه حكمًا ومصالحَ، وأسماؤُه حُسْنَىً: ففرضُ تعطيلِها عن موجباتِها مستحيلٌ في حقِّه.

ولهذا ينكرُ سبحانه على من عطَّلَهُ عن أمرِه ونهيِه، وثوابِه وعقابِه، وأنه

بذلكَ نسبَهُ إلى ما لا يليقُ به وإلى ما يتنزَّهُ عنه، وأنَّ ذلكَ حُكْمٌ سيِّئٌ ممن حكمَ به عليه، وأنَّ من نسَبَه إلى ذلكَ فما قدَرَهُ حقَّ قَدْرِه، ولا عظَّمَهُ حقَّ تعظِيمِه، كما قال تعالى: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . ﴾ [الأنعام:٩١]، وقال تعالى في حقِّ مُنْكِرِي المعادِ والثوابِ والعقابِ: ﴿ ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر:٦٧]، وقالَ في حقِّ من جَوَّزَ عليهِ التسويةَ بينَ المختلفَيْنِ، كالأبرارِ والفجارِ، والمؤمنينَ والكفارِ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ´ µ ¶ ¸ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية:٢١]، فأخبرَ أنَّ هذا حكمٌ سيِّئٌ لا يليقُ به، تَأْبَاهُ أسماؤُه وصفاتُه. وقال سبحانه: ﴿ ~ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى © ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ´ ﴾ [المؤمنون:١١٥-١١٦]، عن هذا الظنِّ والحسبانِ، الذي تَأْبَاهُ أسماؤُه وصفاتُه.

ونظائرُ هذا في القرآنِ كثيرةٌ. يَنْفِي فيها عن نفسِهِ خلافَ موجبِ أسمائِه وصفاتِه. إذ ذلك مستلزمٌ تعطيلَها عن كمالِها ومقتضياتِها.

فاسمُهُ **(الحميدُ، المجيدُ)** يمنعُ تركَ الإنسانِ سُدًى مُهملًا معطَّلًا، لا يُؤمرُ ولا يُنهَى. ولا يثابُ ولا يعاقبُ.

وكذلك اسمُه **(الحكيمُ)** يأبَى ذلكَ. وكذلكَ اسمُه **(الملكُ)** واسمُه **(الحيُّ)** يمنعُ أنْ يكونَ معطَّلًا من الفعلِ. بلْ حقيقةُ (الحياةِ) الفعلُ. فكلُّ حيٍّ فعَّالٌ.

وكونُه سبحانَهَ **(خالقًا قيومًا)** من موجباتِ حياتِه ومقتضياتِها.

واسمُه **(السميعُ البصيرُ)** يوجبُ مسموعًا ومرئيًا.

واسمُهُ **(الخالقُ)** يقتضِي مخلوقًا. وكذلكَ **(الرزَّاقُ)**.

واسمُهُ **(المَلِكُ)** يقتضي مملكةً وتصرُّفًا وتدبيرًا، وإعطاءً ومنعًا، وإحسانًا وعدْلًا، وثوابًا وعقابًا.

واسمُهُ **(البَرُّ المُحسنُ، المُعطِي، المنَّانُ)** ونحوُها تقتضِي آثارَهَا وموجباتِها.

إذا عُرِفَ هذا. فمن أسمائِه سبحانَهُ **(الغفَّارُ، التوَّابُ، العفُوُّ)** فلا بدَّ لهذه الأسماءِ من متعلقاتٍ، ولا بدَّ من جنايةٍ تُغْفَرُ، وتوبةٍ تُقْبَلُ، وجرائمَ يُعْفَى عنها.

ولا بدَّ لاسمِهِ **(الحكيمِ)** من متعلَّقٍ يظهرُ فيه حُكمُهُ، إذ اقتضاءُ هذه الأسماءِ لآثارِها كاقتضاءِ اسمِ **(الخالقِ، الرزَّاقِ، المعطِي،المانعِ)** للمخلوقِ والمرزوقِ والمعطى والممنوعِ. وهذه الأسماءُ كلُّها حسْنَى.

والربُّ تعالى يحبُّ ذاتَه وأوصافَه وأسماءَه. فهو عَفُوٌّ يُحِبُّ العفوَ، ويحبُّ المغفرةَ، ويحبُّ التوبةَ، ويفرحُ بتوبةِ عبدِه حينَ يتوبُ إليهِ أعظَمَ فَرَحٍ يخطُرُ بالبالِ.

وكان تقديرُ ما يغفِرُه ويعفُو عن فاعِلِه، ويحلمُ عنه، ويتوبُ عليه ويسامِحُه: من موجبِ أسمائِه وصفاتِه، وحُصولُ ما يحبُّه ويرضَاهُ من ذلك. وما يحمدُ به نفسَه، ويحمَدُه به أهلُ سمواتِه وأهلُ أرضِه: ما هو من موجباتِ كمالِه ومقتَضَى حمدِه.

وهو سبحانَه: **(الحميدُ المجيدُ)** وحمدُه ومجدُه يقتضِيَانِ آثارَهُمَا.

ومن آثارِهما: مغفرةُ الزلَّاتِ، وإقالَةُ العَثَرَاتِ، والعَفْوُ عن السيئاتِ، والمسامحةُ على الجناياتِ، مع كمالِ القدرةِ على استيفاءِ الحقِّ، والعلمُ منه سبحانه بالجنايةِ ومقدارِ عقوبَتِها، فحِلمُهُ بعدَ علمِهِ، وعفوُهُ بعدَ قدرَتِهِ، ومغفرَتُهُ عن كمالِ عزَّتِهِ وحكمَتِهِ، كما قال المسيح ﵇: ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ**﴾ [المائدة:١١٨]، أي فمغفرتُك عن كمالِ قدرتِكَ وحكمتِكَ، لستَ كمن يغفرُ عَجْزًا، ويسامحُ جَهْلًا بقدرِ الحقِّ، بلْ أنت عليمٌ بحقِّكَ، قادرٌ على استيفائِه، حكيمٌ في الأخذِ به.

فمن تأملَ سريانَ آثارِ الأسماءِ والصفاتِ في العالمِ، وفي الأمرِ، تبيَّنَ له أن مصدرَ قضاءِ هذه الجناياتِ من العبيدِ، وتقديرَها: هو من كمالِ الأسماءِ والصفاتِ والأفعالِ. وغاياتُها أيضًا: مقتَضَى حمدِه ومجدِه، كما هو مقتَضَى ربوبيَّتِهِ وإلهيَّتِهِ.

فله في كلِّ ما قَضَاهُ وقَدَّرَهُ الحكمةُ البالغةُ، والآياتُ الباهرةُ، والتعرفاتُ إلى عبادِه بأسمائِه وصفاتِه، واستدعاءُ محبتِهم له، وذكرِهم له، وشكرِهم له، وتعبدِهم له بأسمائِه الحُسْنَى. إذ كلُّ اسمٍ فله تعبُّدٌ مختصٌّ به، علمًا ومعرفةً وحالًا.

وأكملُ الناسِ عُبوديةً: المتعبِّدُ بجميعِ الأسماءِ والصفاتِ التي يطلعُ عليها البشرُ، فلا تحجُبُه عبوديةُ اسمٍ عن عبوديةِ اسمٍ آخرَ، كمنْ يَحْجُبُهُ التعبدُ باسمِ **(القديرِ)** عن التعبُّدِ باسمِ **(الحليمِ الرحيمِ)** أو يحجُبُهُ عبوديةُ اسمِه **(المُعطِي)** عن عبوديةِ اسمِه **(المَنَّاعِ)** أو عبوديةِ اسمِهِ **(الرَّحيمِ والعفوِّ والغفورِ)** عن اسمِه **(المنتقمِ)** أو التعبُّدُ بأسماءِ (التودُّدِ، والبِرِّ، واللُّطفِ،

والإحسانِ) عن أسماءِ (العدلِ، والجبروتِ، والعظمةِ، والكبرياءِ) ونحو ذلك.

وهذه طريقةُ الكُمَّلِ من السائرينَ إلى اللهِ. وهي طريقةٌ مشتقةٌ من قلبِ القرآنِ. قال الله تعالى: ﴿C D E F G﴾ [الأعراف:١٨٠]، والدعاءُ بها يتناولُ دعاءَ المسألةِ، ودعاءَ الثناءِ، ودعاءَ التعبدِ.

وهو سبحانَه يدعُو عبادَه إلى أن يعرفُوه بأسمائِه وصفاتِه، ويُثْنُوا عليه بها، ويأخذُوا بحظِّهِم من عبوديَّتِها.

وهو سبحانَه يحبُّ موجبَ أسمائِه وصفاتِه.

فهو (**عليمٌ**) يحبُّ كلَّ عليمٍ (**جَوادٌ**) يُحبُّ كلَّ جوادٍ (**وترٌ**) يحبُّ الوترَ (**جميلٌ**) يحبُّ الجمالَ (**عَفُوٌّ**) يحبُ العَفْوَ وأهلَهُ (**حَيِيٌّ**) يحبُّ الحياءَ وأهلَهُ (**بَرٌّ**) يحبُّ الأبرارَ (**شكُورٌ**) يحبُّ الشاكرينَ (**صبورٌ**) يحبُّ الصابرينَ (**حليمٌ**) يحبُّ أهلَ الحلمِ.

فلمحبتِه سبحانَه للتوبةِ والمغفرةِ، والعفوِ والصفحِ: خلقَ من يغفرُ له، ويتوبُ عليهِ، ويعفُو عنه، وقدَّرَ عليه ما يقتَضِي وقوعَ المكروهِ والمبغوضِ له، ليترتبَ عليهِ المحبوبُ لهُ المرضِي له، فتوسُّطُه كتوسُّطِ الأسبابِ المكرُوهَةِ المفضِيَةِ إلى المحبوبِ.

فرُبَّما كان مكرُوهُ العبـادِ إلى ... محبوبِها سببٌ ما مِثلُه سببُ

والأسبابُ ـ مع مسبّباتِها ـ أربعةُ أنواعٍ:

محبوبٌ يُفضِي إلى محبوبٍ.

ومكروهٌ يُفضِي إلى محبوبٍ.

وهذانِ النوعانِ عليهما مدارُ أقضيتِهِ وأقدارِه سبحانه بالنسبةِ إلى ما يحبُّه وما يكرَهُهُ.

والثالثُ: مكروهٌ يفضِي إلى مكروهٍ.

والرابعُ: محبوبٌ يفضِي إلى مكروهٍ.

وهذانِ النوعانِ ممتنعانِ في حقِّه سبحانَه، إذ الغاياتُ المطلوبةُ من قضَائِهِ وقدَرِهِ ـ الذي ما خَلَقَ ما خَلَقَ، ولا قَضَى ما قَضَى إلَّا لأجْلِ حُصُولِها ـ لا تكونُ إلا محبوبةً للربِّ مرضيةً له. والأسبابُ الموصِّلَةُ إليها مُنقسمَةٌ إلى محبوبٍ له ومكروهٍ له.

فالطاعاتُ والتوحيدُ: أسبابٌ محبوبةٌ له، مُوصِلَةٌ إلى الإحسانِ، والثوابِ المحبوبِ له أيضًا.

والشركُ والمعاصي: أسبابٌ مسخوطةٌ له، مُوصِلَةٌ إلى العدلِ المحبوبِ له، وإنْ كانَ الفضلُ أحبَّ إليه من العدلِ. فاجتماعُ العدلِ والفضلِ أحبُّ إليه من انفرادِ أحدِهما عن الآخرِ، لما فيهما من كمالِ المُلكِ والحمدِ، وتنوعِ الثناءِ، وكمالِ القدرةِ.

فإن قيل: كان يمكنُ حصولُ هذا المحبوبِ من غيرِ توسُّطِ المكروهِ.

قيلَ: هذا سؤالٌ باطلٌ، لأنَّ وجودَ الملزومِ بدونِ لازمِه ممتنعٌ. والذي يقدَّرُ في الذهنِ وجودُه شيءٌ آخرَ غيرُ هذا المطلوبِ المحبوبِ للربِّ. وحكمُ الذهنِ عليه بأنه محبوبٌ للربِّ حكمٌ بلا علمٍ، بل قد يكونُ مبغوضًا للربِّ تعالى لمنافاتِه حكمتَه، فإذا حَكَمَ الذهنُ عليه بأنه محبوبٌ له. كان نسبةً له إلى

ما لا يليقُ به. ويتعالى عنه.

فليُعْطِ اللبيبُ هذا الموضِعَ حقَّه من التأملِ. فإنه مزلَّةُ أقدامٍ، ومضلَّةُ أفهامٍ. ولو أمسكَ عن الكلامِ من لا يعلمُ لقلَّ الخلافُ.

وهذا المشهدُ أجلُّ من أن يحيطَ به كتابٌ أو يستوعِبَهُ خطابٌ، وإنما أَشَرْنَا إليه أدنَى إشارةٍ تُطْلِعُ على ما وراءِها. واللهُ الموفقُ والمعينُ[1].

* * *

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٥٠).

تعظيم الله تعالى في القرآن

ومن وسائلِ تعظيمِ الله تعالى: تدبرُ القرآنِ وتحديقُ النظرِ في سُوَرِهِ وآياتِه، فالقرآنُ كلُّه ينطقُ بالتعظيمِ والتمجيدِ والإجلالِ لربِّ العالمينَ حتى قال أحدُ الباحثينَ الغربيينَ ليس هناك كتابٌ حَوَى من التعظيمِ والثناءِ والحمدِ والتقديسِ للهِ تعالى مثلَ ما حواه القرآنُ وهذا يثبتُ أنه من عندِ اللهِ تعالى، لأنه لو كان من افتراءِ محمدٍ لجعلَ محمدٌ لنفسه شيئًا من هذا التعظيمِ الإلهيِّ وهو ما لا نَجِدْه أبدًا في القرآنِ.

فانظرْ كيف يحمدُ اللهُ تعالى نفسه: ﴿ & ' ( ) ﴾ [الفاتحة:١]، ﴿ ! " # $ % & ' ( ) ' + , - . / ﴾ [الأنعام:١]، وانظر كيف أثبتَ لنفسِه كمالَ العلم: ﴿ B C D E F G I J K L M N ﴾ [الأنعام:٣]، وانظر كيف أثبتَ لنفسِه القدرةَ التامَّةَ والقهرَ التامَّ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٧-١٨].

ومع ذلك فهو يثبتُ لنفسِه الرحمةَ: ﴿ ; < = > ? A B C D E F G H I J K L M N ﴾ [الأنعام:٥٤]، وهكذا لا نجدُ آيةً من القرآنِ إلا وهيَ تدلُّ على عظمةِ اللهِ تعالى بلفظِها ومعناها، ولذلك فقد وصفَ اللهُ تعالى هذا الكتابَ بالعظمةِ فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ´ ﴾ [الحجر:٨٧]. وقال سبحانه:

﴿Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d﴾ [الحشر:٢١].

فإذا كان هذا حالُ الجبلِ الصخرِ الأصمِّ إذا أُنزلَ عليه القرآنُ فكيف بحالِ الإنسانِ الضعيفِ؟!

وقد وصف اللهُ تعالى أهلَ الإيمان بالخشيةِ والرقةِ والقشعريرةِ عند سماعِ القرآنِ كما في قوله تعالى: ﴿8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K﴾ [الزمر:٢٣]، وقال تعالى: ﴿, - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W﴾ [الإسراء:١٠٦-١٠٩]، وما ذلك إلا لما سَمِعُوهُ وشَاهَدُوهُ في آياتِ اللهِ تعالى المتلوةِ من شواهدِ العظمةِ والقدرةِ والكبرياءِ والجلالِ.

* * *

وما قدروا الله حق قدره

قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧].

هذا ذمٌّ للمشركينَ الذينَ لم يخلِصُوا العبادةَ للهِ فعبدُوا مع اللهِ آلهةً أخرى وذلكَ لجهلِهِم بعظمةِ اللهِ عزَّ وجلَّ وما يستحِقُّه منَ العبادةِ والتعظيمِ. وهذه الآيةُ تشملُ كلَّ من عبدَ مع اللهِ غيرَه في كلِّ زمانٍ ومكانٍ فهؤلاءِ جميعًا ما قدروا اللهَ حقَّ قدرِه.

قالَ ابنُ كثيرٍ في تفسيرِه: «يقولُ تعالى: وما قدرَ المشركونَ اللهَ حقَّ قدرِه، حينَ عبدُوا معه غيرَه، وهو العظيمُ الذي لا أعظمَ منه، القادرُ على كلِّ شيءٍ، المالكُ لكلِّ شيءٍ، وكلُّ شيءٍ تحتَ قهرِه وقدرتِه.

وقال السُّدِّيُّ: ما عظَّموه حقَّ عَظَمَتِهِ.

وقال محمدُ بنُ كعبٍ: لو قَدَرُوه حقَّ قَدْرِه ما كَذَّبوه.

وقال عليُّ بنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ همُ الكفارُ الذين لم يؤمنوا بقدرةِ اللهِ تعالى عليهم، فمن آمنَ أنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ فقد قَدَرَ اللهَ حقَّ قدرِه، ومن لم يؤمنْ بذلك فلم يَقْدُرِ اللهَ حقَّ قدرِه»[1].

(١) تفسير ابن كثير (١١٣/٧).

وقال السعديُّ في تفسيره: «يقولُ تعالى: وما قدرَ هؤلاءِ المشركونَ ربَّهم حقَّ قدرِه، ولا عظَّموه حقَّ تعظيمِه، بل فعلوا ما يناقضُ ذلك، من إشراكِهم به مَنْ هو ناقصٌ في أوصافِه وأفعالِه، فأوصافُه ناقصةٌ من كلِّ وجهٍ، وأفعالُه ليس عنده نفعٌ ولا ضرٌ، ولا عطاءٌ ولامنعٌ، ولا يملكُ من الأمرِ شيئًا.

فَسَوَّوْا هذا المخلوقَ الناقصَ بالخالقِ الربِّ العظيمِ، الذي من عظمَتِهِ الباهرةِ، وقدرتِه القاهرةِ، أنَّ جميعَ الأرضِ يومَ القيامةِ قبضةٌ للرحمنِ، وأنَّ السماواتِ ـ على سَعَتِها وعِظَمِها ـ مطوياتٌ بيمينِه، فلا عظَّمَه حقَّ عَظَمَتِهِ من سَوَّى به غيرَه، ولا أظلمَ منه.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تنزَّهَ وتعاظَمَ عن شركِهم به»[1].

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ: «واللهُ سبحانَه بعثَ الرسلَ وأنزلَ الكتبَ؛ بأنْ يكونَ هو المعبودَ وحدَهُ لا شريكَ له وإنَّما يعبدُ بما أَمَرَ به على أَلْسُنِ رسلِه.

وأصلُ عبادتِه: معرفتُهُ بما وصفَ به نفسَه في كتابِه وما وصفَه به رسلُه؛ ولهذا كانَ مذهبُ السلفِ أنهم يصفُونَ اللهَ بما وصفَ به نفسَه وما وصفَه به رسلُه من غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ ومن غيرِ تكييفٍ ولا تمثيلٍ والذينَ يُنكرونَ بعضَ ذلكَ ما قدرُوا اللهَ حقَّ قدرِهِ وما عَرَفُوهُ حقَّ مَعْرفتِهِ ولا وَصفُوه حقَّ صفتِه ولا عبدُوهُ حقَّ عبادَتِهِ.

واللهُ سبحانه قد ذكرَ هذه الكلمةَ ﴿ قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ في ثلاثِ

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٢٩).

مواضع؛ ليثبتَ عظمتَه في نفسِه وما يستحقُّه من الصفاتِ وليثبتَ وحدانيَّتَه وأنَّه لا يستحقُّ العبادةَ إلا هو وليثبتَ ما أنزَلَهُ على رسلِه فقالَ في الزمرِ: ﴿ ¸ قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر:٦٧] الآية، وقال في الحجِّ: ﴿ = > ? @ A B C D E ﴾ [الحج:٧٣-٧٤]، وقال في الأنعامِ: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . ﴾ [الأنعام:٩١].

وفي المواضعِ الثلاثةِ ذمَّ الذين ما قدرُوه حقَّ قدرِه منَ الكفارِ فدلَّ ذلك على أنه يجبُ على المؤمنِ أن يقدُرَ اللهَ حقَّ قدرِه كما يجبُ عليه أن يتقِيَهُ حقَّ تقاتِه وأن يجاهدَ فيه حقَّ جهادِه قال تعالى: ﴿ r s t u v ﴾ [الحج:٧٨]، وقال: ﴿ 7 8 9 : ﴾ [آل عمران:١٠٢]، والمصدرُ هنا مضافٌ إلى مفعولٍ والفاعلُ مرادٌ أي حقَّ جهادِه الذي أمرَكُم به وحقَّ تقاتِه التي أمرَكُم بها واقدرُوه قدرَه الذي بيَّنَه لكم وأمرَكم به فصدِّقُوا الرسولَ فيما أخبرَ وأطيعُوه فيما أوجبَ وأمرَ.

وأما ما يخرجُ عن طاقةِ البشرِ، فذلك لا يُذَمُّ أحدٌ على تركِه قالتْ عائشةُ: فاقدرُوا قدرَ الجاريةِ الحديثةِ السنِّ الحريصةِ على اللهوِ. ودلت الآيةُ على أنَّ له قدرًا عظيمًا؛ لا سيّما قوله: ﴿ ¸ قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ وفي تفسيرِ ابنِ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ قال: من آمنَ بأنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ فقدْ قَدَرَ اللهَ حقَّ قدْرِه.

وقدْ ثبتَ في الصحيحينِ من حديثِ ابنِ مسعودٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قرأَ هذه

الآيةَ لما ذكرَ له بعضُ اليهودِ أنَّ اللهَ يحملُ السمواتِ على أصبعٍ والأرضينَ على أصبعٍ والجبالَ على أصبعٍ والشجرَ والثرى على أصبعٍ وسائرَ الخلقِ على أصبعٍ؛ فضحِكَ رسولُ اللهِ ﷺ تعجبًا وتصديقًا لقولِ الحبرِ وقرأَ هذهِ الآيةَ.

وعن ابن عباسٍ قال: مرَّ يهوديٌّ بالنبيِّ ﷺ فقال: يا أبا القاسِمِ ما تقولُ إذا وضعَ اللهُ السماءَ على ذِهِ؟ والأرضَ على ذِهِ والجبالَ والماءَ على ذِهِ وسائرَ الخلقِ على ذِهِ؟ فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ رواهُ الإمامُ أحمدُ بن حنبلٍ والترمذيُّ من حديثِ أبي الضحى عنِ ابنِ عباسٍ وقال غريبٌ حسنٌ صحيحٌ.

وهذا يقتضي أنَّ عظمَتَه أعظمُ ممَّا وصفَ ذلكَ الحبرُ فإنَّ الذي في الآيةِ أبلغُ كما في الصحيحينِ عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «**يقبضُ اللهُ الأرضَ يومَ القيامةِ ويطوي السماءَ بيمينِه ثم يقولُ: أنا الملكُ أين ملوكُ الأرضِ**».

وفي الصحيحينِ عن ابنِ عمرَ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**يطوي اللهُ السمواتِ يومَ القيامةِ ثمَّ يأخُذُهُنَّ بيدِه اليمنى. ثم يقول: أينَ الملوكُ؟ أين الجبارونَ؟ أين المتكبرونَ؟**». ورواهُ مسلمٌ أبسطَ من هذا وذكرَ فيه أنَّه يأخذُ الأرضَ بيدِه الأخرى.

وقدْ روى ابنُ أبي حاتمٍ: حدثنا أبي ثنا عمرُو بن رافعٍ ثنا يعقوبُ بن عبدِ اللهِ عن جعفرَ عن سعيدٍ بن جبيرٍ قال: تكلَّمَتِ اليهودُ في صفةِ الربِّ ـ تبارك وتعالى ـ فقالُوا ما لم يعلَمُوا ولم يَرَوْا فأنزلَ اللهُ على نبيِّه: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ

﴿بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ فجعلَ صفتَه التي وصفُوه بها شِركًا. وقال: حدثنا أبي ثنا أبو نعيم ثنا الحكمُ يعني أبا معاذٍ عن الحسنِ قال: عَمَدَتِ اليهودُ فنظرُوا في خلقِ السمواتِ والأرضِ والملائكةِ فلما فرَغُوا أخذُوا يقدرُونَه فأنْزَلَ اللهُ تعالى على نبيِّه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ وهذا يدلُّ على أنَّه أعظمُ مما وصفُوه وأنهم لم يقدُرُوه حقَّ قدرِه.

وقوله: ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ فكلُّ من جعلَ مخلوقًا مثلًا للخالقِ في شيءٍ من الأشياءِ فأحَبَّه مثلَ ما يحبُّ الخالقَ أو وصَفَه بمثلِ ما يوصَفُ به الخالقُ فهو مشركٌ سوَّى بينَ اللهِ وبينَ المخلوقِ في شيءٍ من الأشياءِ فعَدَلَ بِرَبِّه.

والربُّ تعالى لا كُفْؤَ لهُ ولا سَمِيَّ لَهُ ولا مِثْلَ له ومَنْ جعَلَهُ مثلَ المعدومِ والممتنعِ فهو شرٌّ من هؤلاءِ فإنَّه معطِّلٌ ممثِّلٌ والمعطِّلُ شرٌّ من المشركِ.

واللهُ ثَنَّى قصةَ فرعونَ في القرآنِ في غيرِ موضعٍ؛ لاحتياجِ الناسِ إلى الاعتبارِ بها فإنه حَصَلَ له من الملكِ ودعوى الربوبيةِ والإلهيةِ والعلوِّ ما لم يحصُلْ مثلَهُ لأحدٍ من المعطِّلِينَ وكانتْ عاقِبَتُه إلى ما ذَكَرَ اللهُ تعالى وليسَ للهِ صفةٌ يماثِلُهُ فيها غيرُه؛ فلهذا لم يَجُزْ أن يُستَعْمَلَ في حقِّهِ قياسُ التمثيلِ ولا قياسُ الشمولِ الذي تَستَوِي أفرادُه فإنَّ ذلك شركٌ؛ إذ سُوِّيَ فيه بالمخلوقِ؛ بل قياسُ الأولى.

فإنَّه سبحانه له المثلُ الأعلى في السمواتِ والأرضِ فهو أحقُّ من غيرِه بصفاتِ الكمالِ وأحقُّ من غيرِه بالتَّنْزِيهِ عن صفاتِ النقصِ[1].

---

(١) الفرقان (ص:٧٥).

ويدعو ابنُ القيمِ رحمهُ اللهُ إلى التأملِ في القرآنِ بهدفِ الوصولِ إلى تعظيمِ اللهِ تعالى ومحبَّتِه وإفرادِه بالعبادةِ والطاعةِ، قالَ رحمهُ اللهُ: «تأمل خطابَ القرآنِ تجدْ ملكًا له المُلكُ كلُّه، وله الحمدُ كلُّه، أزِمَّةُ الأمورِ كلُّها بيدِه، ومصدَرُها منه، ومردُّها إليه، لا تَخْفَى عليه خَافِيةٌ في أقطارِ مملكتِهِ، عليمًا بما في نفوسِ عبيدِه، مُطَّلِعًا على أسرارِهم وعلانِيَتِهم، منفَرِدًا بتدبيرِ المملكةِ، يسمعُ، ويرى، ويعطي، ويمنعُ، ويثيبُ، ويعاقبُ، ويُكرمُ، ويُهينُ، ويخلقُ، ويرزقُ، ويُميتُ، ويُحيي، ويقدِّرُ، ويقضي، ويدبِّرُ. الأمورُ نازلةٌ من عندِه دقيقُها وجليلُها، وصاعدةٌ إليه لا تَتَحَرَّكُ في ذرَّةٍ إلا بإذْنِه، ولا تسقُطُ ورقةٌ إلا بعلْمِه.

فتأملْ كيفَ تجِدُهُ يثنِي على نفسِه، ويمجِّدُ نفسَه، ويحمَدُ نفسَهُ، وينصَحُ عبادَه، ويدُلُّهم على ما فيه سعادَتُهم وفلاحُهم ويرغبُهم فيه، ويحذِّرُهم مما فيه هلاكُهم. ويتعرَّضُ إليهم بأسمائِه وصفاتِه، ويتحبَّبُ إليهم بنعمِهِ وآلائِه. فيذكِّرُهم بنعَمِهِ عليهم، ويأمرُهم بما يَسْتَوْجِبُون به تمامَها، ويحذِّرُهم من نِقَمِهِ، ويذكِّرُهم بما أعدَّ لهم من الكرامةِ إن أطاعُوه، وما أعدَّ لهم من العقوبةِ إن عَصَوْهُ. ويخبِرُهم بصُنْعِه في أوليائِهِ وأعدائِهِ، وكيفَ كانتْ عاقبةُ هؤلاءِ وهؤلاءِ. ويثنِي على أوليائِهِ بصالحِ أعمالِهم، وأحسنِ أوصافِهم، ويذمُّ أعداءَه بسيِّئِ أعمالِهم، وقبيحِ صفاتِهم.

ويضربُ الأمثالَ، وينوِّعُ الأدلةَ والبراهينَ، ويجيبُ عن شُبهِ أعدائِه أحسنَ الأجوبَةِ، ويصدِّقُ الصادق، ويكذِّبُ الكاذبَ، ويقولُ الحقَّ، ويهدي السبيلَ.

ويدعو إلى دارِ السلامِ، ويذكرُ أوصافَها وحسنَها ونعيمَها، ويحذِّرُ من دارِ البوارِ، ويذكُرُ عذابَها وقبْحَها وآلامَها، ويُذَكِّرُ عبادَه فقرَهم إليهِ، وشدةَ

حاجَتِهم إليه من كلِّ وجهٍ، وأنهم لا غنىً لهم عنه طرفةَ عينٍ، ويذكُرُ غنَاهُ عنهم وعن جميعِ الموجوداتِ، وأنه الغنيُّ بنفسِه عن كلِّ ما سوَاهُ، وكلُّ ما سوَاهُ فقيرٌ إليه بنفسِه، وأنه لا ينَالُ أحدٌ ذرةً من الخيرِ فما فوقَها إلا بفضْلِه ورحمَتِه، ولا ذرَّةً من الشَّرِّ فما فوقَها إلا بعدْلِه وحكمَتِه.

ويشهدُ من خطابِه عتابَه لأحبابِه ألطفَ عتابٍ، وأنَّه معَ ذلك مُقيلُ عثراتِهم، وغافرُ زلاتِهم، ومقيمُ أعذارِهم، ومصلحُ فسادِهم، والدافعُ عنْهُم، والمحامِي عنهُم، والناصرُ لهم، والكفيلُ بمصالِحِهم، والمنجي لهم من كلِّ كربٍ، والموفِّي لهم بوعدِه، وأنه وليُّهم الذي لا وليَّ لهم سوَاهُ، فهو مولاهُم الحقُّ، ونصيرُهم على عدوِّهم؛ فنعمَ المولى ونعمَ النصيرُ.

فإذا شهدتِ القلوبُ من القرآنِ ملكًا عظيمًا، رحيمًا، جوادًا، جميلًا، هذا شأنُه؛ فكيفَ لا تحبُّه، وتُنافِسُ في القربِ منه، وتنفِقُ أنفاسَها في التودُّدِ إليه، ويكونُ أحبَّ إليها من كلِّ ما سوَاهُ، ورضَاهُ آثَرُ عندَها من رضَا كلِّ ما سوَاهُ؟! وكيفَ لا تَلْهَجُ بِذِكْرِه، ويصيرُ حبُّه، والشوقُ إليه، والأنسُ به، هو غذاؤُها وقوتُها ودواؤُها؛ بحيثُ إن فَقَدَتْ ذلكَ فَسَدَتْ وهلكَت ولم تَنْتَفِعْ بحياتِها؟!

* * *

تجلياتُ اللّهِ تعالى في القرآن[(١)]

القرآنُ كلامُ اللهِ، وقدْ تجلَّى اللهُ فيه لعبادِهِ بصفاتِهِ، فتارةً يتجلَّى في جلبابِ الهيبةِ والعظمةِ والجلالِ؛ فتخضَعُ الأعناقُ، وتنكَسِرُ النُّفوسُ، وتخْشَعُ الأصواتُ، ويذوبُ الكِبْرُ كما يذوبُ الملحُ في الماءِ. وتارةً يتجلَّى في صفاتِ الجمالِ والكمالِ، وهو كمالُ الأسماءِ، وجمالُ الصفاتِ، وجمالُ الأفعالِ الدالُّ على كمالِ الذاتِ؛ فيستنفذُ حُبُّه من قلبِ العبدِ قُوةَ الحبِّ كلِّها، بحسبِ ما عَرَفَهُ من صفاتِ جمالِه ونعوتِ كمالِه، فيصبحُ فؤادُ عبدِه فارغًا إلَّا من محبَّتِه، فإذا أرادَ منه الغيرُ أن يُعلِّقَ تلكَ المحبةِ به أَبَى قلبُه وأحشاؤُه ذلكَ كلَّ الإباءِ، كما قيلَ:

يُرادُ من القلبِ نسيانُكُم وتَأْبَى الطباعُ على النَّاقلِ

فتبقَى المحبةُ له طبعًا لا تكلفًا..

وإذا تجلَّى بصفاتِ الرحمةِ والبرِّ واللُّطفِ والإحْسانِ، انبعثَتْ قوَّةُ الرجاءِ من العبدِ، وانبَسَطَ أمَلُهُ ، وقويَ طمعُهُ، وسارَ إلى ربِّه وحادِي الرجاءِ يحدُو ركابَ سيرِه. وكلَّما قوِيَ الرَّجاءُ، جدَّ في العملِ، كما أنَّ الباذرَ كلَّما قويَ طمعُه في المغلِّ[(٢)] غلقَ أرضَه بالبذرِ، وإذا ضَعُفَ رجاؤُه قصَّرَ في البَذْرِ.

وإذا تجلَّى بصفاتِ العدلِ والانتقامِ والغضبِ والسخطِ والعقوبةِ، انقمعتِ[(٣)] النفسُ الأمَّارةِ، وبطلتْ أو ضعفتْ قُوَاها: من الشهوةِ، والغضبِ،

(١) الفوائد (ص:١٠٥-١٠٨).
(٢) المغلّ: هنا بمعنى ناتج الأرض.
(٣) قمعه وأقمعه: أي قهره وأذله (فانقمع).

واللهوِ، واللعبِ، والحرصِ على المحرماتِ، وانقبضتْ أَعِنَّةُ[١] رعوناتِها[٢]؛ فأحضَرَت المطيةُ حظَّها من الخوفِ والخشيةِ والحذرِ.

وإذا تجلَّى بصفاتِ الأمرِ والنهيِ والعهدِ والوصية وإرسالِ الرسلِ وإنزالِ الكتبِ وشرعِ الشرائعِ، انبعثَ منها قوةُ الامتثالِ والتنفيذِ لأوامرِه، والتبليغِ لها، والتواصي بها، وذكرِها، وتذكُّرِها، والتَّصديقِ بالخبرِ، والامتثالِ للطلبِ، والاجتنابِ للنهيِ.

وإذا تجلَّى بصفاتِ السمعِ والبصرِ والعلمِ، انبعثتْ منَ العبدِ قوةُ الحياءِ؛ فيستحيِ من ربِّه أن يَراهُ على ما يكرَهُ، أو يسمَعُ منه ما يكرَهُ، أو يخفِي في سريرَتِهِ ما يمقتُهُ عليه؛ فتبقى حركاتُه وأقوالُه وخواطرُه موزونةٌ بميزانِ الشرعِ، غيرَ مهملةٍ ولا مرسَلَةٍ تحتَ حكمِ الطبيعةِ والهوى.

وإذا تجلَّى بصفاتِ الكفايةِ والحسْبِ، والقيامِ بمصالحِ العبادِ، وسوقِ أرزاقِهم إليهم، ودفعِ المصائبِ عنهم، ونصرِه لأوليائِه، وحمايتِه لهم، ومعيَّتِه الخاصةِ لهم، انبعثَ من العبدِ قوةُ التوكلِ عليه، والتفويضُ إليه، والرضَا به وبكلِّ ما عَلِمَ العبدُ بكفايةِ اللهِ وحسنِ اختيارِه لعبدِه وثقتِه به ورضَاهُ بما يفعَلُهُ به ويختارُه له.

وإذا تجلَّى بصفاتِ العزِّ والكبرياءِ، أعطَتْ نفسُهُ المطمئنةُ ما وصلتْ إليه من الذلِّ لعظمتِه، والانكسارِ لعزَّتِه، والخضوعِ لكبريائِه، وخشوعِ القلبِ

(١) أعِنة: جمع (عِنان)، وهو سير اللجام الذي يمسك.
(٢) الرُّعُونة: الحمق والاسترخاء.

والجوارحِ له؛ فتعلُوه السكينةُ والوقارُ في قلبِه ولسانُه وجوارحُه وسمتُه[1]، ويذهبُ طَيشُه وقوتُه وحدتُه.

وجماعُ ذلك: أنه سبحانه يتعرفُ إلى العبدِ بصفاتِ إلهيَّتِهِ تارةً، وبصفاتِ ربوبيَّتِهِ تارةً؛ فيوجبُ له شهودُ صفاتِ الآلهيةِ المحبةَ الخاصَّةَ، والشوقَ إلى لقائِه، والأنسَ والفرحَ به، والسرورَ بخدمتِه، والمنافسةَ في قربه، والتودُّدَ إليه بطاعتِه، واللَّهَجَ بذكْرِه، والفرارَ من الخلقِ إليه، ويصيرُ هو وحدَهُ هَمَّهُ دونَ ما سوَاهُ. ويوجبُ له شهودُ صفاتِ الربوبيةِ التوكلَ عليه، والافتقارَ إليه، والاستعانةَ به، والذلَّ والخضوعَ والانكسارَ له.

وكمالُ ذلكَ أن يشهدَ ربوبيَّتَهُ في إلهيتِه، وآلهيَّتَه في ربوبيَّتِه، وحمدَه في ملْكِهِ، وعزَّه في عفْوِه، وحكمَتَه في قضائِه وقدرِه، ونعمتَه في بلائِه، وعطاءَه في منعِه، وبرَّه ولطفَه وإحسانَه ورحمتَه في قيُّوميَّتِه، وعدلَه في انتقامِه، وجودَه وكرمَه في مغفرتِه، وسترِه وتجاوُزِه. ويشهدَ حكمتَه ونعمتَه في أمرِه ونهيِه، وعزَّه في رضَاهُ وغضبِه، وحِلمَه في إمهالِه، وكرمَه في إقبالِه، وغنَاهُ في إعراضِه.

* * *

---

(١) سمته: هيئته.

تعظيمُ النبيِّ ﷺ لربِّه

إذا كان التعظيمُ ثمرةً من ثمراتِ المعرفةِ فقد كان النبيُّ ﷺ أعرفَ الخلقِ بربِّه، وكيفَ لا يكونُ كذلكَ وهو الذي اصطفَاهُ ربُّه وعلَّمَه ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣]، ومنْ تدبَّرَ في عبادةِ النبيِّ ﷺ وذكرِهِ ودعائِه ولجوئِه إلى ربِّه عَلِمَ أنَّهُ أعظَمُ من عَظَّمَ الله تعالى، فقدْ كان ﷺ يقومُ من الليلِ حتى تتفطَّرَ قدماه، فقالتْ له عائشة رضي الله عنها: تفعلُ ذلك وقد غُفِرَ لك ما تقدمَ من ذنبِك وما تأخرَ!! فقال ﷺ: «**أفلا أحبُّ أن أكون عبدًا شكورًا**»[1].

ومن تعظيمِ النبيِّ ﷺ لربِّه أنه كان يسدُّ جميعَ الأبوابِ التي تُفضِي إلى الغلوِّ فيه وإخراجِه عن حدودِ العبوديةِ والرسالةِ التي أَنْزَلَهُ اللهُ تعالى إيَّاها، فكان ﷺ يقولُ: «**لا تُطْروني كما أطرتِ النصارى ابنَ مريمَ، إنما أنا عبدُه، فقولوا: عبدُ اللهِ ورسولُه**»[2].

وعن محمدِ بن جبيرِ بن مطعِمٍ عن أبيه قال: أتى رسولَ اللهِ ﷺ أعرابيٌّ فقال: يا رسولَ الله! جَهِدت الأنفسُ، وضاعتِ العيالُ، ونُهكتِ الأموالُ، وهلكتِ الأنعامُ، فاستسقِ اللهَ لنا، فإنا نستشفِعُ بكَ على اللهِ، ونستشْفِعُ باللهِ عليكَ. فقال رسولُ الله ﷺ: «**ويحك! أتدري ما تقولُ؟**»، وسبَّحَ رسولُ اللهِ ﷺ، فما زالَ يسبِّحُ حتى عُرِفَ ذلك في وجوهِ أصحابِه، ثم قال: «**إنَّه لا**

---

(١) البخاري (١١٣٠)، مسلم (٢٨١٩)، الترمذي (٤١٢).
(٢) البخاري (٣٤٤٥)، مسلم (١٦٩١)، أحمد (١٥٥).

يُسْتَشْفَعُ باللهِ على أحدٍ من خَلْقِه، شأن اللهِ أعظمُ من ذلك»[١].

وعن ابن عباسٍ قال: قال رجلٌ للنبيِّ ﷺ: ما شاءُ اللهُ وشئتَ، فقال ﷺ: «**أَجَعَلْتَني للهِ ندًّا؛ لا بل ما شاءَ اللهُ وحدَهُ**»[٢].

وعن عبدِ اللهِ بن الشخيرِ قال: انطلقتُ في وفدِ بني عامرٍ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقلنا: أنت سيدُنا. فقال: «**السيدُ اللهُ**» فقلنا: وأفضلُنا فضلًا وأعظمُنا طَوْلًا. فقال ﷺ: «**قولوا بقولِكم أو بعضِ قولِكم، ولا يَسْتَجْرِيَنَّكُم الشيطانُ**»[٣].

قال في (النهاية): «أي لا يَسْتَغْلِبَنَّكُم فيتخِذُكم جَريًّا، أي رسولًا ووكيلًا، وذلك أنهم كانوا مَدَحُوه، فَكَرِهَ لهمُ المبالغةَ في المدحِ، فنهاهم عنه»[٤].

وقولُه ﷺ: «**السيدُ اللهُ**» أي السؤددُ على الحقيقةِ إنما هو للهِ ﷻ، لأنه المتصفُ بذلك على الإطلاقِ فهو الذي الخلقُ خلقُه، والملكُ ملكُه، وهو المتفضلُ بكلِّ النِّعَمِ، وهو المتصرفُ في الخلقِ كيفَ شاءَ، وهو صاحبُ السؤددِ على الحقيقةِ، وأما غيرُه ممن حصَّل سؤددًا فإنما هو سؤددٌ ناقصٌ وغيرُ كاملٍ، ولهذا فإن النبيَّ ﷺ أخبر عن نفسِه بأنه سيدُ ولدِ آدمَ ﷺ، وهو سيدُهم في الدنيا والآخرةِ ـ صلواتُ اللهِ وسلامِه وبركاتِه عليه ـ، ولكنَّ

---

(١) رواه أبو داود (٤١٠١) بيند فيه ضعف.
(٢) رواه أحمد (١٧٤٢).
(٣) رواه أبو داود (٤١٧٢)، وأحمد (١٥٧٢٦).
(٤) النهاية (١/٧٣٩) ط: الشاملة.

السؤددَ الذي يليقُ بالإنسانِ، للرسولِ ﷺ منه الحظُّ الأكبرُ والنصيبُ الأوفرُ، وأما السؤددُ الكاملُ على الحقيقةِ فهو للهِ ﷻ... فالرسولُ ﷺ لحمايَتِه جنابَ التوحيدِ، ولحرصِه على ألا يحصلَ غلوٌّ يُؤَدِّي إلى محذورٍ أرشدَ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ وبيَّنَ أن السيدَ هو اللهُ وأن السؤددَ الحقيقيَّ إنما هو للهِ ﷻ[1].

وكان النبيُّ ﷺ يعظمُ اللهَ تعالى من خلالِ تدبرِ آياتِ القرآنِ، وكان ﷺ يخشى من نزولِ العذابِ على هذه الأمةِ ففي صحيحِ البخاريِّ من حديثِ جابرِ بن عبدِ اللهِ رضي الله عنه قالَ: لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿w x y z { | ~ { مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أعوذ بوجهك**». قال: ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ قالَ النبيُّ ﷺ: «**أعوذُ بوجهِكَ**» قال: ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا © بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ﴾ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**هذا أهونُ أو هذا أيسرُ**»[2].

وكان ﷺ إذا رأى غيمًا عُرِفَ في وجْهِه، قالت عائشةُ: يا رسولَ اللهِ! الناسُ إذا رأَوُا الغيمَ فَرِحُوا، رجاءَ أن يكونَ فيه المطرُ، وأَراكَ إذا رأيتَ غَيمًا عُرِفَ في وجْهِكَ الكراهَيَةُ! فقال: «**يا عائشةُ! وما يُؤَمِّنني أن يكونَ فيه عذابٌ؟ قد عُذِّبَ قومٌ بالريحِ، وقد رأى قومٌ العذابَ فقالوا: ﴿ [^ _ ﴾** [الأحقاف:٢٤]»[3].

وكان ﷺ من تعظيمِه لربِّه يتأثرُ بالآياتِ التي يخوفُ اللهُ بها عبادَه فعن عبدِ الله بن عمرٍو رضي الله عنه قال: انكسَفَتِ الشمسُ يومًا على عهدِ رسولِ اللهِ

---

(١) انظر شرح سنن أبي داود للشيخ عبد المحسن العباد (٢٧/٤٤٦)، ط. الموسوعة الشاملة.
(٢) رواه البخاري (٤٢٦٢)، والترمذي (٢٩٩١).
(٣) رواه البخاري (٤٤٥٤)، ومسلم (١٤٩٧).

ﷺ، فقامَ رسولُ اللهِ ﷺ يصلِّي، فلم يَكَدْ أن يسجُدَ ثم سَجَدَ، فلم يكد أن يَرْفَعَ رأسَهُ، فجعلَ ينفُخُ ويبكِي ويقولُ: «**ربِّ ألم تَعِدْني ألا تعذِّبَهم وأنا فيهم؟ ربِّ ألم تَعِدْني ألا تعذِّبَهم وهم يستغفرون؟ ونحن نستغفِرُك**»، فلما صلَّى ركعتينِ انجلَت الشمسُ، فقامَ فحمِدَ اللهَ تعالى وأثنَى عليه ثم قال: «**إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ اللهِ، لا ينكسِفَانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياتِه، فإذا انكسَفَا، فَافْزَعُوا إلى ذكرِ اللهِ**»[1].

وقد ذكرْنَا شيئًا من تعظيمِ النبيِّ ﷺ لربِّه في أمهاتِ العبادةِ كالصلاةِ والحجِّ وذكرِ الله تعالى.

* * *

(١) رواه أبو داود (١١٩٤)، والنسائي (٥٤٧).

أحاديث نبوية في تعظيم الله ﷻ

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**يدُ اللهِ ملْأَى لا يغيضُها**[١] **نفقةٌ، سَحَاءَ الليلَ والنهارَ**»، وقال: «**أرأيتُم ما أنفقَ منذُ خلقَ السمواتِ والأرضَ، فإنَّه لم يُغِضْ ما في يدِه**»، وقال: «**وكانَ عرشُه على الماءِ، وبيدِه الأخرى الميزانُ يخفضُ ويرفعُ**»[٢] [متفق عليه].

وكان النبيُّ ﷺ يأمرُ بتعظيمِ اللهِ ﷻ في الصلاةِ، فقال: «**أمَّا الركوعُ فعظِّمُوا فيهِ الربَّ**»[٣].

عن عبدِ اللهِ بن عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يطوِي اللهُ عزَّ وجلَّ السمواتِ يومَ القيامةِ، ثم يأخُذُهنَّ بيدِه اليمْنَى ثم يقولُ: أنا الملكُ أينَ الجبارونَ؟ أينَ المتكبِّرونَ؟ ثم يطوِي الأرضينَ بشمالِه ثم يقولُ: أنا الملكُ، أينَ الجبارونَ؟ أينَ المتكبرونَ؟**»[٤] [رواه مسلم].

وعن النبيِّ ﷺ قال: «**إن اللهَ لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينامَ، يخفضُ القسطَ ويرفعُه، يُرفَعُ إليه عملُ النهارِ قبلَ عملِ الليلِ، وعملُ الليلِ قبلَ عملِ النهارِ، حجابُه النورُ، لو كَشَفَهُ لأحرقَتْ سُبُحُاتِ وجْهِه، ما انتَهَى إليه بصرُه من خلقِه**»[٥].

---

(١) يغيضها: ينقصها.
(٢) رواه البخاري (٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).
(٣) رواه مسلم (٤٧٩)، وأبو داود (٨٧٦).
(٤) رواه مسلم (٢٧٨٨).
(٥) رواه مسلم حديث رقم (٤٤٥).

وعن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ ﵁ قالَ: جاءَ حبرٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا محمدُ! أو يا أبا القاسمِ! إنَّ الله تعالى يُمْسِكُ السمواتِ يومَ القيامةِ على إصبعٍ، والأرضينَ على إصبعٍ، والجبالَ والشجرَ على إصبعٍ، والماءَ والثرى على إصبعٍ، وسائرَ الخلقِ على إصبعٍ ثم يهزُّهُنَّ فيقولُ: أنا الملكُ، أنا الملكُ، فضَحِكَ رسولُ اللهِ ﷺ تعجُّبًا مما قالَ الحبرُ، تصديقًا له ثمَّ قرأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]»(١).

وقال ﷺ: «**إنَّ اللهَ تعالى يقولُ: إن العِزَّ إِزَارِي، والكبرياءَ ردائِي، فمن نازَعَنِي فيهما عذَّبتُهُ**»(٢).

وقال ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلِّمُهُ اللهُ يومَ القيامةِ، ليسَ بينَه وبينَه ترجمان، فينظرُ أيمنَ منه، فلا يرَى إلا ما قدَّمَ، وينظرُ أشأمَ(٣) منه، فلا يرَى إلا ما قدَّمَ، وينظرُ بين يدَيْهِ، فلا يَرَى إلا النَّارَ تلقاءَ وجهِه، فاتَّقُوا النَّارَ، ولو بشقِّ تمرةٍ، ولو بكلمةٍ طيبةٍ**»(٤).

وقال ﷺ: «**إن أحدَكم يُجمعُ خلقُهُ في بطنِ أمِّه أربعينَ يومًا نطفةً، ثم يكونُ علقةً مثل ذلك، ثم يكونُ مضغةً مثل ذلك، ثم يبعثُ اللهُ إليه مَلَكًا، ويؤمرُ بأربعِ كلماتٍ، ويقالُ له: اكتبْ علمهُ، ورزقهُ، وأجلهُ، وشقيٌّ أم**

(١) متفق عليه البخاري (٧٥١٣)، ومسلم (٢٧٨٦).
(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٥٢)، وقال الألباني: صحيح.
(٣) أي: جهة شماله.
(٤) البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

سعيدٌ، ثم ينفخُ فيه الروحَ، فإنَّ الرجلَ منكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ، حتى لا يكونُ بينهُ وبينَها إلَّا ذراعٌ، فيسبقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهلِ النارِ، فيدخلُ النارَ. وإنَّ الرجلَ ليعملُ بعملِ أهلِ النارِ، حتى ما يكونُ بينَهُ وبينها إلَّا ذراعٌ، فيسبقُ عليهِ الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ، فيدخلُ الجنةَ»[1].

عن أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال:«**يا عَبَادي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نفسِي وجعلتُهُ بينكم مُحَرَّمًا فلا تظَّالموا.**

يَا عِبادِي كُلكُم ضَالٌّ إلَّا من هديتُه فاستَهْدُوني أَهْدِكُم.

يَا عِبادِي كُلكُم جَائِعٌ إلَّا من أَطْعمتُهُ فاسْتَطعمُوني أُطعِمْكُم.

يَا عِبادِي كُلكُم عَارٍ إلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُم.

يَا عِبادِي إنكم تُخطِئون باللَّيلِ والنَّهارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فاستغفروني أغفر لكم.

يَاعِبادِي إِنَّكم لن تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضَروني وَلَنْ تَبْلغُوا نَفْعِي فتنفعُوني.

يَا عِبادِي لو أَنَّ أَوَّلكم وآخرَكم وإِنْسَكُمْ وجنَّكُم كانوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ واحدٍ منكم ما زادَ ذلكَ في ملكي شيئا.

يَا عِبادِي لو أَنَّ أَوَّلكم وآخرَكم وإنسَكُم وجنَّكُم كانوا عَلَى أَفْجرِ قلب رَجُلٍ واحدٍ منكم ما نَقَصَ ذلك من مُلكي شيئا.

---

(١) البخاري (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣)، والترمذي (٢١٣٧).

يَا عِبادِي لو أَنَّ أوَّلكم وآخرَكم وإنسَكُم وجنَّكُم قاموا في صَعيدٍ وَاحدٍ فسألوني فأعطيت كل واحدٍ مسألته ما نقصَ ذلكَ مما عندي إلَّا كما ينقصُ المخيط إذا أُدخِلَ البحر.

يَا عِبادِي إنَّما هي أعمالُكُم أُحْصِيها لكُم ثُمَّ أوفيكم إيَّاهَا فمن وَجَدَ خيرًا فليحمدِ اللهَ، ومَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يلومنَّ إلَّا نفسه» [رواه مسلم].

قوله: «**إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما**».

قال ابن دقيق العيد: «قال بعض العلماء: معناه لا ينبغي لي ولا يجوز علي كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم:٩٢]، فالظلم محال في حق الله تعالى. قال بعضهم في هذا الحديث: لا يسوغ لأحد أن يسأل الله تعالى أن يحكم له على خصمه إلا بالحق بقوله سبحانه:«**إني حرمت الظلم على نفسي**»، فهو سبحانه لا يظلم عباده فكيف يظن ظان أنه يظلم عباده لغيره؟

وكذلك قال: «**فلا تظالموا**» المعنى: المظلوم يقتص له من الظالم، وحذفت إحدى التاءين تخفيفًا أصله: فلا تتظالموا.

وقوله:«**كُلُّكُم ضَالٌ إلَّا من هديتُه،... وكلُّكُم عَارٍ إلَّا مَن كسوتُه... وكلكم جائعٌ إلَّا من أطعمتُه...**».

تنبيه على فقرنا وعجزنا عن جلب منافعنا ودفع مضارنا إلا أن يعيننا الله سبحانه على ذلك، وهو يرجع إلى معنى: **لا حول ولا قوة إلا بالله.** وليعلم العبد أنه إذا رأى آثار هذه النعمة عليه أن ذلك من عند الله ويتعين عليه شكر الله تعالى وكلما ازداد من ذلك يزيد في الحمد والشكر لله تعالى.

وقوله:«**فاستهدوني أهدكم**» أي اطلبوا مني الهداية أهدكم والجملة في ذلك أن يعلم العبد أنه طلب الهداية من مولاه فهداه ولو هداه قبل أن يسأله لم يبعد أن يقول: إنما أوتيته على علم عندي. وكذلك «**كلكم جائع**» إلى آخره يعني أنه خلق الخلق كلهم ذوي فقر إلى الطعام فكل طاعم كان جائعا حتى يطعمه الله بسوق الرزق إليه وتصحيح الآلات التي هيأها له فلا يظن ذو الثروة أن الرزق الذي في يده وقد رفعه إلى فيه أطعمه إياه أحد غير الله تعالى وفيه أيضا أدب للفقراء كأنه قال: لا تطلبوا الطعام من غيري فإن هؤلاء الذين تطلبون منهم أنا الذي أطعمهم «**فاستطعموني أطعمكم**»، وكذلك ما بعده.

وقوله: «**إنكم تخطئون بالليل والنهار**».

في هذا الكلام من التوبيخ ما يستحي منه كل مؤمن وكذلك أن الله خلق الليل ليطاع فيه ويعبد بالإخلاص حيث تسلم الأعمال فيها غالبا من الرياء والنفاق أفلا يستحي المؤمن أن لا ينفق الليل والنهار [في الطاعة] فإنه خلق مشهودا من الناس فينبغي من كل فطن أن يطيع الله فيه أيضا ولا يتظاهر بين الناس بالمخالفة وكيف يحسن بالمؤمن أن يخطئ سرا أو جهرا لأنه سبحانه وتعالى قد قال بعد ذلك: «**وأنا أغفر الذنوب جميعًا**» فذكر الذنوب بالألف واللام التي للتعريف وأكدها بقوله: «**جميعا**» وإنما قال ذلك قبل أمره إيانا بالإستغفار لئلا يقنط أحد من رحمة الله لعظم ذنب ارتكبه.

قوله: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم**» إلى آخره ..

فيه ما يدل على أن تقوى المتقين رحمة لهم وأنها لا تزيد في ملكه شيئًا.

وأما قوله: «**لو أنَّ أوَّلكم وآخرَكُم وإنسَكُم وجنَّكُم قاموا في صعيد واحد**».

إلى آخره ففيه تنبيه الخلق على أن يعظموا المسألة ويوسعوا الطلب، ولا يقتصر سائل ولا يختصر طالب؛ فإن ما عند الله لا ينقص، وخزائنه لا تنفد، فلا يظن ظان أن ما عند الله يغيضه الإنفاق كما قال ﷺ في الحديث الآخر: «**يدُ الله مَلْأَى لا يغيُضُها نفقةٌ سَحَاء الليلِ والنَّهار أرأيتُم مَا أنفَقَ منذُ خلقَ السَّمواتِ والأرضَ فَإنَّه لم يغضْ مَا في يَمينه**» وسر ذلك أن قدرته صالحة للإيجاد دائما لا يجوز عليها عجز ولا قصور والممكنات لا تنحصر ولا تتناهى.

وقوله: «**إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**».

هذا مثل قصد به التقريب إلى الأفهام بما نشاهده، والمعنى: أن ذلك لا ينقص مما عنده شيئا والمخيط ـ بكسر الميم وإسكان الخاء وفتح الياء ـ: هو الإبرة.

وقوله: «**إنَّما هي أعمالُكم أُحصيهَا لَكُم، ثُمَّ أُوفِيكُم إيَّاهَا فمن وَجدَ خيرًا فليحمد الله**».

يعني لا يسند طاعته وعبادته من عمله لنفسه بل يسندها إلى التوفيق ويحمد الله على ذلك.

وقوله: «**ومن وجد غير ذلك**».

لم يقل ومن وجد شرًا يعني: ومن وجد غير الأفضل.

«**فَلَا يَلُومَنَّ إلَّا نفسَهُ**» أكد ذلك بالنون تحذيرا أن يخطر في قلب عامل أن اللوم تستحقه غير نفسه، والله أعلم[1].

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص:٨٠).

تعظيم الصحابة والسلف الصالح لله ﷻ

وقال ابن رجب أيضًا: «وكان خلفاءُ الرسلِ وأتباعُهم من أمراءِ العدلِ وأتباعِهم وقضاتِهم لا يَدْعُونَ إلى تعظيمِ نفوسِهم البتةَ، بل إلى تعظيمِ اللهِ وحدَه، وإفرادِه بالعبوديةِ والإلهيةِ، ومنهم من كان لا يريدُ الولايةَ إلا للاستعانةِ بها على الدعوةِ إلى اللهِ وحدَه.

وكانتِ الرسلُ وأتباعُهم يصبرونَ على الأَذَى في الدعوةِ إلى اللهِ ويتحمَّلُونَ في تنفيذِ أوامرِ اللهِ من الخلقِ غايةَ المشقةِ وهم صابرونَ بل راضونَ بذلك، كما كان عبدُ الملكِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ / يقولُ لأبيهِ في خلافَتِه: «إذا حُرِصَ على تنفيذِ الحقِّ وإقامةِ العدلِ يا أبتِ لوددتُ أني غَلَتْ بي وبك القدورُ في اللهِ ﷻ».

وقال بعضُ الصالحينَ: وددتُ أنَّ جِسْمِيَ قُرِّضَ بالمقاريضِ، وأن هذا الخلقَ كلَّهم أطاعُوا اللهَ ﷻ» ومعنى هذا أن صاحبَ ذلك القولِ قد يكونُ لَحَظَ نُصْحَ الخلقِ والشفقةَ عليهم من عذابِ اللهِ، وأحبَّ أن يَقِيَهم من عذابِ اللهِ بأذى نفسِه، وقد يكونُ لَحَظَ جلالَ اللهِ وعظمَتِه وما يستحِقُّه من الإجلالِ والإكرامِ والطاعةِ والمحبةِ، فودَّ أنَّ الخلقَ كلَّهم قامُوا بذلك، وإن حَصَلَ لَهُ في نفسِه غايةُ الضَّررِ»[1].

* * *

(١) شرح حديث: «ما ذئبان جائعان..» (ص: ١٩).

حقيقةُ التعظيمِ:

عن ابن السماكِ قال: أوصاني أخي داودُ بوصيةٍ قال: انظر، أن لا يراك اللهُ حيث نهاك، وأن لا يفقدك حيثُ أمرَكَ؛ واستحِ في قربِه منك، وقدرتِه عليك[١].

وقال رجلٌ لوهيبِ بن الوردِ: عِظْنِي، قال: اتقِ أن يكونَ اللهُ أهون الناظرينَ إليك[٢].

قل عليَّ رقيبُ:

عن أحمدَ بنِ حنبلَ رحمه الله تعالى قال:

إذا ما خلوتَ الدهْرَ يومًا فلا تَقُلْ ... خلوتُ ولكنْ قلْ عَلَيَّ رقيبُ

ولا تحسبَنَّ اللهَ يُغْفِلُ ما مَضَى ... وأن الذي يُخْفَى عليه يغيبُ

لهوْنَا عن الأيامِ حتى تَتَابَعَتْ ... ذنوبٌ على أثارهنَّ ذنوبُ

فيا ليتَ اللهَ يغفرُ ما مضى ... ويأذنُ لي في توبةٍ فأتوبُ

حبُّ القرآنِ:

عن سفيانَ بن عيينةَ قال: لا تبلُغُوا ذِروةَ هذا الأمر، إلا حتَّى لا يكونُ شيءٌ أحبَّ إليكم من اللهِ؛ ومن أحبَّ القرآنَ، فقد أحبَّ اللهَ؛ افقهوا ما يقالُ لكم[٣].

---

(١) الحلية (٧/٣٥٨).
(٢) الحلية (٨/١٤٢).
(٣) الحلية (٧/٢٧٨).

لذةُ المحبة:

قال إبراهيمُ بنُ أدهمَ: لو علِمَ الناسُ لذةَ حبِّ اللهِ: لقلَّتْ مطاعِمُهم، ومشارِبُهم، وحرصُهم، وذلك أنَّ الملائكةَ: أحبُّوا اللهَ، فاستغْنَوْا بذكرِه عن غيرِه[1].

جنة الدنيا:

عن أبي الدرداءِ رضي الله عنه أنه قال: لولا ثلاثُ خلالٍ، لأحببتُ أن لا أبقَى في الدنيا؛ قيلَ: وما هنَّ؟ فقال: لولا وضوعُ وجهِي للسجودِ لخالِقِي في اختلافِ الليلِ والنهارِ، يكونُ تقدمةً لحياتِي، وظمأُ الهواجرِ، ومقاعدةُ أقوامٍ ينتقونَ الكلامَ كما تُنتقى الفاكهةُ.

قال أبو نعيم: وتمامُ التقوى: أن يتقيَ اللهَ عز وجل العبدُ، حتى يتقيَه في مثلِ مثقالِ ذرةٍ، حتى يتركَ بعضَ ما يَرَى أنَّه حلالٌ خشيةَ أن يكونَ حَرَامًا، يكونُ حاجزًا بينه وبين الحرامِ؛ إن اللهَ تعالى قد بَيَّنَ لعبادِه الذي هو يُصَيِّرُهم إليه؛ قال تعالى: ﴿ W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c ﴾ [الزلزلة:٧-٨]. فلا تَحْقِرَنَّ شيئًا من الشرِّ أن تتقِيَهُ، ولا شيئًا من الخير أن تفعَلَه[2].

(١) الحلية (١٠/ ٨١).
(٢) الحلية (١/ ٢١٢).

تفكيرُ الحسنِ:

عن الحسنِ قال: تَفَكُّرُ ساعةٍ، خيرٌ من قيامِ ليلةٍ[١].

أفضلُ العبادةِ:

عن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ قالَ: الكلامُ بذكرِ اللهِ حسنٌ، والفكرةُ في نعمِ اللهِ أفضلُ عبادةٍ[٢].

الفكرُ أولاً:

عن وهبِ بن مُنَبَّهٍ قال: ألم يفكِّر ابنُ آدمَ، ثمَّ يَتَفَهَّمُ ويعتبرُ، ثم يُبْصِرُ، ثم يعقِلُ ويتفقَّهُ حتى يعلَمَ؟ فيتبيَّنُ له: أنَّ للهِ حلمًا: به يخلقُ الأحلامَ، وعلمًا: به يعلمُ العلماءَ، وحكمةً: بها يُتْقِنُ الخلقَ، ويدبِّرُ بها أمورَ الدنيا والآخرةِ؛ فإنَّ ابن آدمَ، لن يبلغَ بعلْمِه المقدرِ علمَ اللهِ الذي لا مقدارَ له، ولن يبلغَ بحلمِه المخلوقِ حلمَ اللهِ الذي بِهِ خلقَ الخلقَ كله، ولن يبلغَ بحكمتِه حكمةَ اللهِ: التي بها يتقنُ الخلقَ، ويُقَدِّرُ المقاديرَ؛ وكيف يُشْبِهُ ابنُ آدمَ ربَّ ابنِ آدمَ؟ وكيف يكونُ المخلوقُ كمن خَلَقَهُ؟[٣].

احذر سَخَطَ ربِّك:

وعن سفيانَ الثوريِّ، قالَ: احذرْ سَخَطَ اللهِ في ثلاثٍ: احذرْ أنْ تُقَصِّرَ فيما أمرَك، واحذرْ أن يَرَاكَ وأنتَ لا تَرْضَى بما قَسَمَ لك، وأن تطلبَ شيئًا من

---

(١) الحلية (٦/ ٢٧١).
(٢) الحلية (٥/ ٣١٤).
(٣) الحلية (٤/ ٢٣-٢٤).

الدنيا فلا تَجِدْهُ، أن تسخَطَ على ربِّكَ[1].

تأملاتٌ:

عن جعفرَ بنِ سليمانَ قال: سمعتُ خليفةَ العبديَّ يقولُ: لو أنَّ اللهَ لم يُعْبَدْ إلا عن رؤيةٍ، ما عبدَهُ أحدٌ؛ ولكنْ المؤمنونَ تفكَّرُوا في مجيءِ هذا الليلِ إذا جاءَ، فَمَلأَ كلَّ شيءٍ وغَطَّى كلَّ شيءٍ، وفي مَجِيءِ سلطانِ النهارِ إذا جاءَ، فمَحَا سلطانَ الليلِ؛ وفي السَّحابِ المسخَّرِ بين السماءِ والأرضِ، وفي النجومِ، وفي الشتاءِ، وفي الصيفِ؛ واللهِ ما زَالَ المؤمنونَ يتفكَّرُونَ فيما خلقَ ربُّهم، حتى أيقنَتْ قلوبُهم بربِّهم؛ وحتَّى كأنَّما عبدوا الله تعالى عن رؤيةٍ[2].

عبادةُ أبي الدرداءِ:

عن عونِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ: سألتُ أمَّ الدرداءِ: ما كان أفضلُ عملِ أبي الدرداءِ؟ قالت: التفكرُ والاعتبارُ[3].

تفكُّرُ داودَ الطائيِّ:

عن عبدِ الأعلى بنِ زيادٍ الأسلميِّ قال: رأيتُ داودًا الطائيَّ يومًا، قائمًا على شاطئِ الفراتِ، مبهوتًا؛ فقلتُ: يا أبا سليمانَ، ما يوقِفُك هنا؟ قال: انظُرْ إلى الفُلْكِ، كيفَ تجرِي في البحرِ مسخراتٍ بأمرِ اللهِ تعالى[4].

---

(١) نزهة الفضلاء (١/ ٦٩٧).
(٢) الحلية (٦/ ٣٠٣).
(٣) الحلية (٤/ ٢٥٣).
(٤) (٧/ ٣٥٦).

كيفيةُ التعاملِ مع الأسبابِ:

وقال بنانٌ الحمالُ: رؤيةُ الأسبابِ على الدوامِ قاطعةٌ عن مشاهدةِ المسبِّبِ، والإعراضُ عن الأسبابِ جملةً، يؤدِّي بصاحِبِه إلى ركوبِ الباطلِ(١).

لو كُشِفَ الغطاءُ:

وعن أحمدَ بن أبي الحواريِّ، قال: كُنتُ أسمعُ وكيعًا يبتدئُ قبلَ أن يُحدِّثَ فيقولُ: ما هنالِك إلا عفوُه، ولا نعيشُ إلا في سترِه، ولو كُشِفَ الغطاءُ لكُشِفَ عن أمرٍ عظيمٍ(٢).

كيفيةُ المراقبةِ:

سُئِلَ عبدُ اللهِ بن فاتكٍ عن المراقبةِ فقال: إذا كنتَ غافلًا: فانظُرْ نَظَرَ اللهِ إليك؛ وإذا كنتَ قائلًا: فانظر سَمْعَ اللهِ إليك؛ وإذا كنتَ ساكتًا: فانظُرْ علمَ اللهِ فيكَ قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ ... ﴾ [طه:٤٦](٣).

* * *

(١) نزهة الفضلاء (١١٦٩/٣).
(٢) نزهة الفضلاء (٩٨٧/٢).
(٣) الحلية (١٠/ ٣٥٨).

أثرُ الذنوبِ والمعاصِي في ضَعْفِ تعظيمِ اللّهِ في القلبِ

قالَ الإمامُ ابنُ القيمِ: «ومن عُقُوباتِها ـ أي الذنوبُ والمعاصي ـ أنها تُضْعِفُ في القلبِ تعظيمَ الربِّ جلَّ جلالُه وتضعِفُ وقَارَهُ في قلبِ العبدِ ولا بدَّ شاءَ أم أبى، ولو تمكَّنَ وقَارُ اللهِ وعظمتُه في قلبِ العبدِ لما تجرَّأَ على معاصِيه.

وربَّما اغترَّ المغترُّ وقال إنما يحمِلُني على المعاصِي حسنُ الرجاءِ وطَمَعِي في عَفْوِهِ لا ضعفُ عظمتِه في قلبِي وهذا من مغالطةِ النفسِ؛ فإنَّ عظمةَ اللهِ تعالى وجلالَه في قلبِ العبدِ وتعظيمَ حرماتِه يحولُ بينَه وبينَ الذنوبِ، والمتجرِّؤنَ على معاصِيه ما قَدَرُوه حقَّ قدرِه، وكيفَ يَقْدُرُهُ حقَّ قدرِه أو يعظِّمُه أو يكَبِّرُه أو يرجُو وقارَه ويُجِلُّهُ من يهونُ عليهِ أمْرُهُ ونَهْيُهُ؛ هذا من أمحلِ المحالِ وأبينِ الباطلِ، وَكَفَى بالعاصِي عقوبةً أَنْ يَضْمَحِلَّ من قَلْبِهِ تعظيمُ اللهِ جلَّ جلالُه وتعظيمُ حرماتِه، ويهونَ عليهِ حَقُّهُ.

ومن بعضِ عقوبةِ هذا أن يرفَعَ اللهُ عزَّ وجلَّ مهابَتَهُ من قلوبِ الخلقِ ويهونُ عليهم ويستخِفُّونَ به كما هَانَ عليه أَمْرُهُ واستَخَفَّ به، فعلى قدرِ محبةِ العبدِ للهِ يحِبُّهُ النَّاسُ، وعلى قَدْرِ خَوْفِهِ منَ اللهِ يخافُهُ الناسُ، وعلى قدرِ تعظِيمِه للهِ وحرماتِه يُعَظِّمُ الناسُ حرمَاتِهِ.

وكيفَ يَنْتَهِكُ عبدٌ حرماتِ اللهِ ويطمَعُ أنْ لا يَنْتَهِكَ الناسُ حرماتِه، أم كيفَ يهونُ عليهِ حقُّ اللهِ ولا يُهَوِّنُهُ اللهُ على الناسِ، أم كيفَ يستخِفُّ بمعاصِي اللهِ ولا يستخِفُّ به الخلقُ.

وقدْ أشارَ سبحانَهُ إلى هذا في كتابِهِ عندَ ذِكْرِ عقوباتِ الذنوبِ وأنَّهُ أَرْكَسَ أربابَها بما كَسبُوا، وغَطَّى على قلوبِهم وطَبَعَ عليها بذنوبِهم، وأنَّه نسيَهُمْ كما نَسُوهُ، وأهانَهُمْ كما أهانُوا دينَه، وضَيَّعَهُم كما ضَيَّعُوا أمرَهُ؛ ولهذا قال تعالى في آيةِ سجودِ المخلوقاتِ له: ﴿ ^ _ ` a b c d ﴾ [الحج:١٨]؛ فإنَّهم لما هانَ عليهِمُ السجودُ له واستَخَفُّوا بِهِ ولم يَفْعَلُوهُ، أهانَهُم فلم يَكُنْ لهم مِنْ مُكْرِمٍ بعدَ أنْ أهانَهُمْ، ومَنْ ذا يُكْرِمُ من أهانَهُ اللهُ أو يُهِنْ من أَكْرَمَ»[1].

* * *

(١) الجواب الكافي (١/ ٤٦).

عشرةُ وسائل لتعظيم الله ﷻ

لا شكَّ أن تعظيمَ اللهِ ﷻ من أجلِ العباداتِ القلبيةِ التي تَظْهَرُ آثارُها على الجوارحِ من خلالِ المسارعةِ إلى كلِّ ما يُحِبُّهُ اللهُ ويرضَاهُ منَ الأقوالِ والأفعالِ الظاهرةِ والباطنةِ. فلولا وجودُ نوعِ تعظيمٍ للهِ ﷻ في القلبِ لما صبرَ الناسُ على طاعةِ اللهِ، وعن معصيةِ اللهِ، وعلى أقدارِ اللهِ المؤلمةِ.

وعلى قَدْرِ تعظيمِ اللهِ تعالى في القلبِ يكونُ إحسانُ العبادةِ وإتمامُها وإكمالُها وإتقانُها.

وهناك وسائل كثيرة لتعظيمِ اللهِ تعالى منها:

١- إفرادُ اللهِ سبحانَه بالوحدانيةِ:

فيشهد العبدُ انفرادَ اللهِ تعالى بالخلقِ والحُكْمِ، وأن ما شاء كان وما لم يشأْ لم يكنْ، وأنه لا تتحركُ ذرةٌ إلا بإذنِه، وأنَّ الخلقَ مقهورونَ تحتَ قبضَتِهِ، وأنه ما من قلبٍ إلا وهو بين أصبعينِ من أصابِعِهِ، إنْ شاءَ اللهُ أن يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وإنْ شاءَ أن يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ، فالقلوبُ بيدِهِ، وهو مُقَلِّبُهَا ومُصَرِّفُهَا كيفَ شاءَ وكيفَ أرادَ، وأنَّه هو الذي آتى نفوسَ المؤمنينَ تَقْوَاهَا، وهو الذي هَداهَا وزكَّاهَا، وأَلْهَمَ نُفوسَ الفُجَّارِ فُجُورَهَا وَأَشْقَاهَا، من يهدِ اللهَ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بفضْلِهِ ورحمَتِهِ، ويُضِلُّ من يشاءُ بعدلِهِ وحِكْمَتِهِ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]»[١].

(١) مدارك السالكين (٢/ ٤١٢).

فإذا شاهدَ العبدُ ذلك، واستقرَّ في قلبِهِ إفرادُ اللهِ تعالى بالوحدانيةِ، فأَوْرَثَه ذلك ـ ولا بدَّ ـ تعظيمَ اللهِ ﷻ، وانتقلَ من توحيدِ الربوبيةِ إلى توحيدِ الألوهيةِ، فاتخذ اللهَ وحدَه إلهًا ومعبودًا، وأحبَّ ما يحبُّه الله، وأبغضَ ما يبغضُه اللهُ، وأعطى للهِ، ومنع للهِ، ووالى في اللهِ، وعادى في اللهِ، فهذا التوحيدُ هو الذي من أجلِهِ أُرْسِلَتِ الرُّسلُ، وأُنْزِلَتِ الكتبُ، وخُلِقَ الخلقُ، وقَامَتْ سوقُ الجهادِ على ساقٍ.

قال ابنُ القيمِ رحمه الله في منزلةِ التعظيمِ: «هذه المنزلةُ تابعةٌ للمعرفةِ، فعلى قَدْرِ المعرفةِ يكونُ تعظيمُ الربِّ تعالى في القلبِ، وأعرفُ الناسِ به، أشدُّهم له تعظيمًا وإجلالًا، وقد ذمَّ اللهُ تعالى من لم يُعَظِّمْه حقَّ عظمتِه، ولا عرفَه حقَّ معرفتِه، ولا وَصَفَهُ حقَّ صِفَتِه، فقال: ﴿0 1 2 3 4 5﴾ [نوح:١٣]، قال ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ: «لا ترجُونَ للهِ عظمةً». وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ: «ما لكم لا تعظِّمُونَ اللهَ حقَّ عظمَتِه»[١].

٢- تدبُّر معاني أسماءِ اللهِ تعالى وصفاتِه:

فأسماءُ اللهِ تعالى كلُّهَا حُسْنَى، وكلُّها تدلُّ على الكمالِ المطلقِ، والحمدِ المطلقِ، وكلُّهَا مشتقةٌ من أوصَافِها، فتدبرُ معاني هذه الأسماءِ وما تُوجِبُهُ من آثارٍ من وسائلِ تعظيمِ اللهِ ﷻ قال تعالى: ﴿C D E F G I J K L M O P Q R﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقد ثبتَ في الصحيحينِ[٢] من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قالَ:

(١) المصدر السابق (٢/ ٤٩٥).
(٢) رواه البخاري (٢٥٣١)، ومسلم (٤٨٣٦).

«**إنَّ للهِ تسعةً وتسعينَ اسمًا، مائةً إلا واحدًا، من أَحْصَاهَا دخلَ الجنةَ**» أي من حَفِظَها وفهمَ معانِيها ومدلولَها، وأثْنَى على اللهِ بها، وسأَلَهُ بها، واعْتَقَدَها دخلَ الجنةَ، والجنةُ لا يدخُلُها إلا المؤمنونَ، فعُلِمَ أنَّ ذلك أعظمُ ينبوعٍ ومادةٍ لحصولِ الإيمانِ وقوتِهِ وثباتِهِ[1].

٣- تدبر القرآن:

قال تعالى: ﴿8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K﴾ [الزمر:٢٣]، فهذا دليلٌ على أن تدبرَ القرآنِ العظيمَ يورثُ الخشيةَ والتعظيمَ للهِ سبحانه وتعالى، قال ابنُ القيمِ: «فليسَ شيءٌ أنفعُ للعبدِ في معاشِه ومعادِه، وأقربُ إلى نجاتِه من تدبرِ القرآنِ، وإطالةِ التأملِ فيه، وجمعِ الفكرِ على معانِي آياتِهِ، فإنَّها تُطْلِعُ العبدَ على معالمِ الخيرِ والشرِّ بحذافِيرِها، وعلى طرقَاتِهِمَا وأسبابِهِمَا وغاياتِهِمَا وثمراتِهِمَا، ومآلِ أهلِهِمَا، وتُتِلُّ في يدِهِ[2] مفاتيحَ كنوزِ السعادةِ والعلومِ النافعةِ، وتُثَبِّتُ قواعدَ الإيمانِ في قلبِه، وتُشَيِّدُ بنيانَه، وتُوَطِّدُ أركانَه، وتُرِيهِ صورةَ الدنيا والآخِرَةَ، والجنةِ والنارِ في قلبِه، وتُحْضِرُه بينَ الأممِ، وتُرِيهِ أيَّامَ اللهِ فيهم، وتبصِّرُه مواقِعَ العِبَرِ، وتُشْهِدُهُ عدلَ اللهِ وفَضْلِهِ، وتُعَرِّفُهُ ذاتَهُ، وأَسْمَاءَهُ وصِفَاتِهُ وأَفْعَالَهُ، وما يحبُّهُ وما يبغضُه، وصراطَه الموصِّلَ إليه، وما لسالِكِيه بعدَ الوصولِ والقدومِ عليه، وقواطعَ الطريقِ وآفاتِها»[3].

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة (ص:٣-٤).

(٢) تتل في يده: تلقيه.

(٣) مدار السالكين (١/ ٤٥٠).

وقد قال الله تعالى في وصفِ كتابِه: ﴿Z Y [\ ] ^ _ ` a b c d﴾ [الحشر:٢١]، فإذا كانَ هذا تأثيرُ القرآنِ على الجبالِ، فكيفَ يكونُ تأثيرُه على قلبِ المؤمنِ؟ قال جعفرُ: «سمعتُ مالكَ بن دينارٍ قرأَ: ﴿Z Y [\ ] ^ ..﴾ الآية، ثم قالَ: أقسمُ لكم لا يؤمنُ عبدٌ بهذا القرآنِ إلا صُدِعَ قلبُه»[1].

وعن ثابتٍ البنانيِّ أنه قرأَ: ﴿P Q R S﴾ [الهمزة:٧]، قال: تأكلُه إلى فؤادِه وهو حيٌّ، ثم بكَى وأبكَى من حَوْلَه[2].

٤- التفكرُ في آلاءِ اللهِ وعظيمِ نعمِه:

قال ابنُ القيمِ: «فجديرٌ بمن له مُسْكَةٌ من عقلٍ[3] أن يسافرَ بفكرِهِ في هذه النعمِ والآلاءِ، ويكررُ ذكرَهَا، لعلَّه يوقِفُه على المرادِ منها ما هو، ولأيِّ شيءٍ خُلِقَ، ولماذا هُيِّئَ، وأيُّ أمرٍ طُلِبَ منه على هذه النعمِ، كما قال تعالى: ﴿A B C D E﴾ [الأعراف:٦٩]، فَذِكْرُ آلائِه تبارك وتعالى ونعمِه على عبدِه سببُ الفلاحِ والسعادةِ لأن ذلك لا يزيدُه إلا محبةً للهِ وحمدًا وشكرًا وطاعةً»[4].

٥- التأملُ في ملكوتِ السمواتِ والأرضِ:

وهذا أيضًا من أعظمِ وسائلِ تعظيمِ اللهِ تعالى، وقدْ ربطَ القرآنُ بين هذا

(١) الحلية (٢/ ٣٧٨).
(٢) السابق (٢/ ٣٢٣).
(٣) مسكة من عقل: بقية.
(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٢٩).

التأملِ وبين تعظيمِ اللهِ تعالى فقال: ﴿ Y Z [\ ]
^ _ ` a b c d e f g h
i j k l m n o p q r s t
u v w x y ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وقد ذكر ابنُ القيمِ رحمه الله أن الربَّ تعالى يدعو عبادَه في القرآنِ إلى معرفَتِه من طريقينِ:

أحدهما: النظرُ في مفعولاتِه.

والثاني: التفكرُ في آياتِه وتدبرُها(١).

وقال رحمه الله: والنظرُ في هذه الآياتِ وأمثالِها نوعانِ: نظرٌ إليها بالبصرِ الظاهرِ، فَيَرى ـ مثلًا ـ زُرقةَ السماءِ ونجومَها وعلوَّها وسَعَتَها، وهذا نظرٌ يشاركُ الإنسانُ فيه غيرَه من الحيواناتِ، وليسَ هو المقصودُ بالأمرِ.

والثاني: أن يتجاوزَ هذا إلى النظرِ بالبصيرةِ الباطنةِ، فتفتحُ له أبوابُ السماءِ، فيجولُ في أقطارِها وملكوتِها وبين ملائِكَتِها.

ثم يفتحُ له بابٌ بعد بابٍ، حتى ينتهيَ به سَيْرُ القلبِ إلى عرشِ الرحمنِ، فينظرُ سَعَتَه وعظمتَهُ وجلالَهُ ومجدَهُ ورفعَتَهُ، ويرَى السمواتِ السبعَ والأرضينَ السبعَ بالنسبةِ إليهِ كحلقةٍ ملقاةٍ بأرضِ فلاةٍ. ويَرَى الملائكةَ حافِّينَ من حَوْلِه، لهم زَجَلٌ بالتسبيحِ والتحميدِ والتقديسِ والتكبيرِ، والأمرُ ينزلُ من فوقِه بتدبيرِ المالكِ والجنودِ التي لا يعلَمُهَا إلا ربُّها ومليكُها. فينزلُ

---

(١) الفوائد (ص: ٤٠).

الأمرُ بإحياءِ قومٍ وإماتةِ آخرينَ، وإعزازِ قومٍ وإذلالِ آخرينَ، وإسعادِ قومٍ وشقاوةِ آخرينَ، وإنشاءِ مُلْكٍ وسَلْب مُلْكٍ، وتحويلِ نعمةٍ من مَحَلٍّ إلى محلٍّ، وقضاءِ الحاجاتِ على اختلافِها وتبايُنِها وكثرتِها؛ من جبرِ كسيرٍ، وإغناءِ فقيرٍ، وشفاءِ مريضٍ، وتفريجِ كربٍ، ومغفرةِ ذنبٍ، وكشفِ ضرٍّ، ونصرِ مظلومٍ، وهدايةِ حيرانَ، وتعليمِ جاهلٍ، وردِّ آبقٍ، وأمانِ خائفٍ، وإجارةِ مستجيرٍ، ومددٍ لضعيفٍ، وإغاثةٍ لملهوفٍ وإعانةٍ لعاجزٍ، وانتقامٍ من ظالمٍ، وكفِّ لعدوانٍ... فحينئذٍ يقومُ القلبُ بين يديِ الرحمنِ مُطرِقًا لهيبتِه، خاشِعًا لعظمتِه، عانٍ لعزَّتِه، فيسجدُ بينَ يدَيِ الملكِ الحقِّ المبينِ سجدةً، لا يرفعُ رأسَهُ منها إلى يومِ المزيدِ[1].

٦- تعظيمُ شعائرِ اللهِ وحرماتِه:

فإذا عظَّمَ العبدُ ما عظَّمَه اللهُ تبارك وتعالى، امْتَلأَ قلبُه بالتعظيمِ لله والخشيةِ منه، كما قال تعالى: ﴿ 8 9 : ; < = > ? @ ﴾ [الحج:٣٢]، وكانَ من شدةِ تعظيمِ السلفِ لله ﷻ، أنَّهم كانوا يبكُونَ إذا خُولِفَ أمرُ اللهِ سبحانه وتعالى من غيرِهم، فعن ربيعِ بن عتابٍ قال: كنتُ أمشِي مع زيادِ بن جريرٍ، فسَمِعَ رَجُلًا يحلِفُ بالأمانَةِ. قال: فنظرتُ إليه وهو يبكِي قلت: ما يبكِيكَ؟ فقال: أما سَمِعْتَ هذا يحلفُ بالأمانةِ؟ فَلَئَنْ تُحَكُّ أحشَائِي حتى تُدْمَى أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بالأمانةِ[2].

وكان عمرُ بنُ ذرٍّ يقولُ: آنسكَ جانبُ حِلْمِهِ فتوثَّبْتَ على معاصِيه!

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٩٩).

(٢) الحلية (٤/ ١٩٦).

أَفَأَسَفَه تريدُ؟ أما سمعتَه يقولُ: ﴿ x y z { ﴾ [الزخرف:٥٥].

أيُّها الناسُ: أَجِلّوا مقامَ اللهِ بالتنزُّهِ عما لا يحلُّ، فإنَّ اللهَ لا يؤمنُ إذا عُصِي[1].

٧- التأملُ في سننِ الله ﷻ:

ومن وسائلِ تعظيمِ الله ﷻ: التأملُ في سننِه التي لا تتبدلُ ولا تتغيرُ ومن هذهِ السننِ:

سُنَّةُ الدفْعِ: ﴿ r s t u v w x y z { | } ~ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البقرة:٢٥١].

وسُنَّةُ التداولِ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ © مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ´ ﴾ [آل عمران:١٤٠].

وسنةُ الابتلاءِ: ﴿ q r s t u v w x y z { | { ~ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت:١-٣].

وسنةُ التغييرِ: ﴿ | { ~ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ © ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾ [الرعد:١١].

وسنةُ نصرِ المؤمنينَ إذا حقَّقُوا الشرطَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن © ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد:٧]، وغير ذلك من السنن.

---

(١) الحلية (٥/ ١١١).

فلا شكَّ أنَّ التأملَ في هذهِ السننِ وغيرِها مما يورثُ تعظيمَ اللهِ في القلوبِ، لأنه يؤدِّي إلى حقيقةٍ مفادُها أنَّ لهذا الكونِ إلهًا عظيمًا قادرًا، له مقاليدُ كلِّ شيءٍ، ولا يُعْجِزُهُ شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، غيرَ أنه ﷻ قد سَيَّرَ هذا الكونَ بما فيه وَفْقَ نظامٍ مُحكمٍ وقوانينَ ثابتةٍ لا تتبدلُ ولا تتغيرُ.

٨- معرفةُ بعضِ جوانبِ الإعجازِ العلميِّ في القرآنِ والسنةِ:

ومثالُ ذلكَ قولُ اللهِ تعالى: ﴿ W X Y ﴾ [الطارق:١٢]، قال الدكتور زغلولُ النجارُ: «من الآياتِ الوصفيةِ المبهرةِ قولُ الحقِّ تبارك وتعالى في سورةِ الطارقِ: ﴿ W X Y ﴾ فهذا قسمٌ عظيمٌ لحقيقةٍ كونيةٍ مبهرةٍ لم يُدْرِكْها العلماءُ إلَّا في النِّصفِ الأخيرِ من القرنِ العشرينَ.

فالأرضُ التي نَحْيَا عليها لها غلافٌ صَخْرِيٌّ خارجيٌّ، هذا الغلافُ مُمَزَّقٌ بشبكةٍ هائلةٍ من الصُّدوعِ، تمتدُّ لمئاتِ الآلافِ من الكيلومتراتِ طولًا وعرضًا، بعمقٍ يتراوحُ ما بين ٦٥ كيلومترًا و١٥٠ كيلومترًا في كلِّ الاتجاهات.

ومن الغريبِ أن هذه الصدوعَ مرتبطةٌ ببعضِها البعضِ ارتباطًا يجعلُها كأنَّها صدعٌ واحدٌ، يُشَبِّهُهُ العلماءُ باللِّحامِ على كرةِ التنسِ.

وانطلاقًا من ذلك يُقْسِمُ اللهُ تعالى بهذه الحقيقةِ الكونيةِ المبهرةِ، التي لم يَسْتَطِعْ العلماءُ أن يدركُوا أبعادَها إلا بعدَ الحربِ العالميَّةِ الثانِيَةِ، واستمرتْ دراستُهم لها لأكثر من عشرينَ سنةً متصلةً من ١٩٤٥م- ١٩٦٥م حتى استطاعُوا أن يرسمُوا هذه الصدوعَ بالكاملِ، والقرآنُ الكريمُ كانَ قد سبقَ

إدراكَهم بأكثرِ من ألفٍ وأربعمائةٍ من السنينَ بقولِ الحقِّ تبارك وتعالى: ﴿ W X Y ﴾»[١].

فلا شكَّ أنْ تأمُّلَ مثلَ هذهِ الحقائقِ العلميةِ الموافقةِ للقرآنِ الكريمِ مما يُقَوِّي جانبَ تعظيمِ اللهِ سبحانه وتعالى في النفسِ.

٩- التأملُ في دلائلِ الحكمةِ الإلهيةِ:

فهو سبحانه وتعالى الحكيمُ الذي بَهَرَتْ حكمتُه الألبابَ، وهو سبحانه لم يخلُقْ شيئًا عبثًا ولا سدىً، وله الحكمةُ البالغةُ في كلِّ ما قدَّرَهُ وقَضَاهُ من خيرٍ وشرٍّ وطاعةٍ ومعصيةٍ، وحِكَمُهُ سبحانه باهرةٌ تَعْجَزُ العقولُ عن الإحاطةِ بكُنْهها، وتَكِلُّ الألسنُ عن التعبيرِ عنها.

وللهِ في كــلِّ تحريكــةٍ وتسكينةٍ أبدًا شــاهدُ
وفي كلِّ شيءٍ لــه آيــةٌ تدلُّ عــلى أنــه واحــدُ

وحظُّ العبدِ في نفسِه وما يخصُّه من شهودِ هذهِ الحكمةِ فبحَسَبِ استعدادِه وقوةِ بصيرتِه، وكمالِ علمِه ومعرفتِه باللهِ وأسمائِه وصفاتِه، ومعرفتِه بحقوقِ العبوديةِ والربوبيةِ. وكلُّ مؤمنٍ له من ذلك شِربٌ معلومٌ، ومقامٌ لا يتعدَّاه ولا يتخطَّاه، واللهُ الموفقُ والمعينُ[٢].

١٠- محاسبةُ النفسِ:

من وسائلِ تعظيمِ اللهِ ﷻ: «محاسبةُ النفسِ» وذلكَ لأنَّ من أركانِ

---

(١) من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (ص:٨٣-٨٤)، باختصار يسير.
(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ٤١١-٤١٢).

المحاسبةِ المقايسةِ بينَ ما كانَ من اللهِ من نعمٍ وإمهالٍ وسِتْرٍ وإفضالٍ وما من العبدِ من غفلةٍ وجهلٍ ومعصيةٍ.

قال ابنُ القيمِ: «وبهذه المقايسةِ تعلمُ أن الربَّ ربٌّ والعبدَ عبدٌ، ويتبينُ لك حقيقةُ النفسِ وصفاتِها، وعظمةُ جلالِ الربوبيةِ، وتفرُّدُ الربِّ بالكمالِ والإفضالِ، وأنَّ كلَّ نعمةٍ منه فضلٌ، وكلَّ نقمةٍ منه عدلٌ، وأنتَ قبلَ هذه المقايسةِ جاهلٌ بحقيقةِ نفسِكَ، وبربوبيةِ فاطِرِها وخالِقِها...»[1].

* * *

(١) مدارج السالكين (١/ ١٨٨).

من ثمراتِ تعظيمِ اللّهِ ﷻ

هناكَ آثارٌ كثيرةٌ لتعظيمِ اللهِ ﷻ على القلوبِ والجوارحِ منها:

أ- على الفردِ:

١- تحقيقُ التوحيدِ للهِ والسلامةُ من الشركِ ووسائلِه.

٢- محبةُ اللهِ ﷻ المحبةَ الشرعيةَ.

٣- الخوفُ من اللهِ ﷻ من غيرِ قنوطٍ.

٤- الرجاءُ في اللهِ ﷻ مع حسنِ العملِ.

٥- مراقبةُ اللهِ ﷻ في السرِّ والعلانيةِ.

٦- التوكلُ على اللهِ في كلِّ الأمورِ معَ الأخذِ بالأسبابِ.

٧- الثقةُ باللهِ ﷻ في أَحْلَكِ الظروفِ.

٨- الثباتُ والطمأنينةُ واليقينُ في اللهِ ﷻ.

٩- الحياءُ من اللهِ ﷻ.

١٠- التبرؤُ من الحولِ والقوةِ وإظهارُ الافتقارِ إلى اللهِ ﷻ.

١١- تحكيمُ شرعِ اللهِ ﷻ في كافةِ الأمورِ مع الرِّضَا والتسليمِ.

١٢- حفظُ الضرورياتِ الخمسِ؛ وهيَ: الدينُ، والنفسُ، والعقلُ، والمالُ، والعرضُ.

١٣- المسارعةُ إلى أداءِ الواجباتِ من صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وبرٍ

بالوالدينِ وصلةٍ للرحمِ وحسنِ خلقٍ.

١٤ - تركُ جميعِ المعاصي والمنكراتِ القوليةِ والعمليةِ والاعتقاديةِ.

١٥ - كثرةُ ذكرِ اللهِ ﷻ ودعائِه واستغفارِه وتلاوةِ كتابِه.

١٦ - الإكثارُ من ذكرِ الموتِ.

١٧ - قصرُ الأملِ.

١٨ - اتهامُ النفسِ دائمًا بالإهمالِ والتقصيرِ.

١٩ - ألَّا يَرَى لنفسِهِ على اللهِ حقًّا.

٢٠ - ألا يَشْكُو اللهَ ﷻ إلى خلقِه.

٢١ - ألا يُذِلَّ نفسَه لصاحبِ دنيا.

ب- على الأسرةِ:

لا شكَّ أنَّ الأسرةَ هي المنبعُ الأساسُ الذي يصدُرُ عنه كافَّةُ الأخلاقِ والسلوكياتِ والتصرفاتِ، سواءٌ أكانت أخلاقًا وسلوكياتٍ محمودةً أم مذمومةً.

ولذلكَ فإنَّ الأسرةَ إذا تربَّتْ ونشأَتْ على معانِي تعظيمِ اللهِ ﷻ ومراقبتِه في السرِّ والعلانيةِ، فإنَّ ذلك سوفَ يُنْتِجُ أفرادًا يتحلَّوْنَ بعُمْقِ الإيمانِ ومكارمِ الأخلاقِ، والوقوفِ عندَ حدودِ اللهِ ﷻ، وكبحِ جماحِ رغباتِ النفسِ وشهواتِها، والحذرِ من كلِّ ما يُغْضِبُ اللهَ ﷻ مهما كانتِ الظروفُ معينةً على المعصيةِ حاثَّةً على الوقوعِ فيها.

ومن ثمراتِ تعظيمِ اللهِ سبحانه في محيطِ الأسرةِ ما يلي:

١ - أداءُ الحقوقِ، سواءٌ حقُّ الوالدينِ، أو الزوجِ، أو الزوجةِ، أو الأولادِ، أو الخادمِ.

٢ - تربيةُ الأبناءِ على الأخلاقِ الكريمةِ والصفاتِ النبيلةِ.

٣- تربيةُ الأبناءِ على مراقبةِ اللهِ وتعظيمِه في السرِّ والعلانيةِ.

٤ - تعظيمُ شأنِ الصلاةِ في محيطِ الأسرةِ.

٥ - مشاركةُ أفرادِ الأسرةِ في الأعمالِ الخيريَّةِ والأنشطةِ الاجتماعيةِ.

٦ - تطهيرُ البيتِ منَ الملاهِي والمنكراتِ والصُورِ.

٧- المحافظةُ على الوقتِ لأنَّه في الحقيقةِ هو عُمُرُ الإنسانِ ورأسُ مالِه الذي يشترِي به مرضاةَ اللهِ والخلودَ في الجنةِ والنجاةَ من النارِ.

٨- الإحسانُ إلى الجيرانِ وعدمُ إيذائِهم وتعاهُدِهم بالتُّحَفِ والهدايا والزياراتِ.

٩ - ترتيبُ الأولوياتِ، وتقديمُ الفرائضِ على النوافلِ، وواجبِ الوقتِ على غيره.

١٠ - تعظيمُ أوامرِ اللهِ ونواهِيهِ ونصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ والانقيادِ التامِّ لها.

١١ - تربيةُ أفرادِ الأسرةِ على روحِ الإبداعِ والتفوقِ والتميُّزِ في كافَّةِ مجالاتِ الحياةِ، وهذا من الإحسانِ الذي أَمَرَنَا الله تعالى به: ﴿ z | | { ~ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة:١٩٥].

ج- من ثمراتِ تعظيمِ اللهِ على المجتمعِ:

إن المجتمعَ الذي يغلبُ على أفرادِه خشيةُ اللهِ تعالى وتعظيمُه في الغيبِ والشهادةِ يكثُرُ خيرُه، ويقلُّ شرُّه، وينتفعُ به القريبُ والبعيدُ، والقاصِي والداني، ويصبحُ قدوةً لغيرِه من المجتمعاتِ والشعوبِ، ومن ثمراتِ تعظيمِ اللهِ على المجتمعِ ما يلي:

١- **حفظُ الضرورياتِ الخمسِ** التي جاءَ الإسلامُ بحفظِها؛ وهي: الدينُ، والنفسُ، والعقلُ، والمالُ، والعرضُ.

٢- **التكافلُ الاجتماعِيُّ** بحيثُ لا يبقَى جائعٌ لا يجِدُ طعامًا، ولا مريضٌ لا يَجِدُ دواءً، ولا عَارٍ لا يَجِدُ لباسًا، ولا أُسرةٌ مهددَّةٌ بالطردِ من البيتِ، لأنَّ ربَّ الأسرةِ لا يَجِدُ قيمةَ إيجارِ البيتِ، أو قيمةَ ما تَسْتَهْلِكُهُ الأسرةُ من ماءٍ وكهرباء.

٣- **تعزيزُ الأخلاقِ الإسلامية** بينَ أبناءِ المجتمعِ، وتنفيرُ أبناءِ المجتمعِ من الأخلاقِ السيئةِ، وتكريمُ أهلِ التميزِ في هذا البابِ.

٤- **حملُ رايةِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكر** بالطرقِ الشرعيةِ التي تُثمرُ المطلوبَ من كثرةِ المعروفِ وطرقِ الخيرِ، وإماتةِ المنكراتِ أو تقليلِها.

٥- **محاربةُ البدعِ والمحدثات** المتعلقةِ بالعباداتِ والمعاملاتِ والسلوكِ، والرجوعُ بالناسِ إلى سماحةِ الإسلامِ وبساطَتِه.

٦- **إبرازُ أهلِ الخشيةِ والتعظيم** كنجومٍ للمجتمعِ ينبغي الاستفادةُ منهم، وفي مقدِّمَتِهم أهلُ العلمِ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

﴾ [فطر:٢٨].

٧- إشاعةُ روحِ التناصحِ بين أبناءِ المجتمعِ وبخاصةٍ في أسواقِ المسلمينَ، بحيثُ لا يوجدُ بين الناسِ غشٌّ ولا غررٌ ولَا احتكارٌ.

٨- رفضُ المجتمعِ لكافةِ الاستخداماتِ السلبيةِ لوسائلِ الإعلامِ والتقنيةِ، والاقتصارُ على النافعِ والمفيدِ منها، ويدخلُ في ذلك الصحفُ والمجلَّاتُ والقنواتُ التلفزيونيةُ، والراديو والكمبيوتر، والانترنت والهاتفُ الجوالُ وغيرُ ذلك.

٩- تكاتفُ المجتمعِ في مجابهةِ المشكلاتِ الطارئة قبلَ أن تتفاقمَ ويستفحلَ خَطَرُها، ومن ذلك: العنوسةُ بين الفتياتِ، البَطالةُ، المسكراتُ والمخدراتُ، التدخينُ، التشبُّهُ بالكفارِ، العنفُ والإرهابُ، العلاقاتُ المحرمةُ بين الجنسينِ.

١٠- العملُ على تقويةِ روابطِ الوحدةِ والألفةِ بين المسلمينَ في كلِّ مكانٍ، من أجلِ إقامةِ أمةٍ واحدةٍ قادرةٍ على الحفاظِ على هويةِ الأمةِ والدفاعِ عن كيانِها ضدَّ كافَّةِ الهجماتِ التي تُشَنُّ عليها.

* * *

المعاني الجامعة للأسماء الحسنى

وقال الشيخُ عبدِ الرحمنِ السعديِّ[١]:

«وقد تكررَ كثيرٌ من أسماءِ اللهِ الحسنى في القرآنِ بحسبِ المناسباتِ، والحاجةُ داعيةٌ إلى التنبيهِ إلى معانِيها الجامعةِ، فنقولُ:

قد تكرَّرَ اسمُ «الربِّ» في آياتٍ كثيرةٍ.

«**الربُّ**»: هو المربِّي جميعَ عبادِه بالتدبيرِ وأصنافِ النِّعمِ. وأخصُّ من هذا تربيتُه لأصفيائِهِ بإصلاحِ قلوبِهم وأرواحِهم وأخلاقِهم. ولهذا كَثُرَ دعاؤُهم له بهذا الاسمِ الجليلِ، لأنَّهم يطلبُونَ منه هذهِ التربيةَ الخاصَّةَ.

١ - «**اللهُ**»: هو المألوهُ المعبودُ، ذو الألوهيةِ والعبوديةِ على خلقِهِ أجمعينَ، لما اتَّصفَ به من صفاتِ الألوهيةِ التي هي صفاتُ الكمالِ.

٢، ٣- «**الملكُ، المالكُ**»: الذي لهُ الملكُ فهو الموصوفُ بصفةِ الملكِ، وهي صفاتُ العظمةِ الكبرياءِ، والقهرِ والتدبيرِ، الذي له التصرفُ المطلقُ في الخلقِ والأمرِ والجزاءِ، وله جميعُ العالمِ العلويِّ والسفليِّ، كلُّهُم عبيدٌ ومماليكُ، ومضطرونَ إليه.

٤، ٥ - «**الواحدُ، الأحدُ**»: وهو الذي تَوحَّدَ بجميعِ الكمالاتِ، بحيثُ لا يشارِكُهُ فيها مشاركٌ، ويجبُ على العبيدِ تَوْحِيدُهُ، عقلًا، وقولًا، وعملًا، بأنْ يعترفُوا بكمالِه المطلقِ، وتفرُّدِه بالوحدانيةِ، ويفردُوه بأنواعِ العبادةِ.

---

(١) ملحق بتفسير السعدي (ص:٩٤٥-٩٤٩).

٦ - «**الصَّمَدُ**»: هو الذي يَقْصِدُهُ الخلائقُ كلُّها في جميعِ حاجَاتِها، وضروراتِها وأحوالِها، لما له من الكمالِ المطلقِ في ذاتِه، وأسمائِه، وصفاتِه، وأفعالِه.

٧، ٨ - «**العليمُ، الخبيرُ**»: وهو الذي أحاطَ علمُه بالظاهرِ والباطنِ، والإسرارِ والإعلانِ، وبالواجباتِ والمستحيلاتِ والممكناتِ، وبالعالمِ العلويِّ والسفليِّ، وبالماضِي والحاضِرِ والمستقبلِ، فلا يَخْفَى عليه شيءٌ من الأشياءِ.

٩ - «**الحكيمُ**»: وهو الذي له الحكمةُ العُلْيَا في خلقِهِ وأَمْرِهِ، الذي أحسنَ كلَّ شيءٍ خلقَهُ ﴿**أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾. فلا يَخْلُقُ شيئًا عبثًا، ولا يَشْرَعُ شيئًا سُدىً، الذي له الحكمُ في الأولى والآخرةِ، وله الأحكامُ الثلاثةُ لا يشارِكُهُ فيها مشاركٌ، فيحكمُ بين عبادِه، في شرعِه، وفي قدرِه وجزائِه.

والحكمةُ: وضعُ الأشياءِ مواضعَها، وتنزيلُها منازِلَها.

١٠، ١٦ - «**الرحمنُ، الرحيمُ، البَرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهَّابُ**». هذه الأسماءُ تتقاربُ معانِيها، وتدلُّ كلُّها على اتِّصافِ الربِّ بالرحمةِ، والبِرِّ والجودِ، والكرمِ، وعلى سَعَةِ رحمتِه ومواهبِه، التي عمَّ بها جميعَ الوجودِ، بحسبِ ما تقتضِيهِ حكمتُه، وخصَّ المؤمنينَ منها بالنصيبِ الأوفرِ، والحظِّ الأكملِ، قال تعالى: ﴿ 5 6 7 8 | : ;
> ﴾ الآية.

والنعمُ والإحسانُ كلُّه من آثارِ رحمتِه، وجودِه، وكرمِه، وخيراتُ الدنيا والآخرةِ، كلُّها من آثارِ رحمتِه.

١٧ - «**السميعُ**» لجميعِ الأصواتِ، باختلافِ اللغاتِ على تفنُّنِ الحاجاتِ.

١٨ - «**البصيرُ**» الذي يبصرُ كلَّ شيءٍ وإنْ دقَّ وصَغُرَ، فيبصرُ دبيبَ النملةِ السوداءِ في الليلةِ الظلماءِ على الصخرةِ الصَّمَّاءِ. ويُبصرُ ما تحتَ الأرضينَ السبعِ، كما يبصرُ ما فوقَ السمواتِ السبعِ. وأيضًا سميعٌ بصيرٌ بمنْ يستحقُّ الجزاءَ بحسبِ حكمتِه، والمعنى الأخيرُ يرجِعُ إلى الحكمةِ.

١٩ - «**الحميدُ**» في ذاتِه، وأسمائِه، وصفاتِه، وأفعالِه، فلهُ من الأسماءِ أحسنُها، ومن الصفاتِ أكملُها، ومن الأفعالِ أتمُّها وأحسنُها، فإنَّ أفعالَه تعالى دائرةٌ بينَ الفضلِ والعدلِ.

٢٠-٢٣- «**المجيدُ، الكبيرُ، العظيمُ، الجليلُ**» وهو الموصوفُ بصفاتِ المجدِ، والكبرياءِ، والعظمةِ، والجلالِ، الذي هو أكبرُ من كلِّ شيءٍ، وأعظمُ من كلِّ شيءٍ، وأجلُّ وأعلى. وله التعظيمُ والإجلالُ في قلوبِ أوليائِه وأصفيائِه، قد مُلئَتْ قلوبُهم من تعظيمِه وإجلالِه، والخضوعِ له والتذلُّلِ لكبريائِه.

٢٤-٢٦- «**العفُوُّ، الغفورُ، الغفارُ**» الذي لم يزَلْ، ولا يَزَالُ بالعفوِ معروفًا، وبالغفرانِ والصفحِ عن عبادِه موصُوفًا، كلُّ أحدٍ مُضْطَرٌّ إلى عَفْوِه ومغفرَتِه، كما هو مُضْطَرٌّ إلى رحمتِه وكرمِه، وقد وَعَدَ بالمغفرةِ والعفوِ لمن أتى بأسبابِها، قال تعالى: ﴿ e f g h i j k l m ﴾.

٢٧- «**التوَّابُ**» الذي لم يَزَلْ يتوبُ على التائبينَ، ويغفرُ ذنوبَ المنيبينَ، فكلُّ من تابَ إلى اللهِ توبةً نصوحًا، تابَ اللهُ عليه، فهو التائبُ على التائبينَ أولًا بتوفيقِهم للتوبةِ والإقبالِ بقلوبِهم إليه، وهو التائبُ عليهم بعد توبَتِهم قبولًا لهم، وعَفْوًا عن خطَايَاهم.

٢٨، ٢٩- «**القدُّوسُ، السلامُ**» أي: المعظَّمُ المنزَّهُ عن صفاتِ النقصِ كلِّها، وأن يماثِلَه أحدٌ من الخلقِ، فهو المتنزِّهُ عن جميعِ العيوبِ، والمتنزِّهُ عن أن يقارِبَه أو يماثِلَه أحدٌ في شيءٍ من الكمالِ ﴿ 1 2 3 ﴾، ﴿ . / 0 1 2 ﴾، ﴿ * + , - ﴾، ﴿**فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا**﴾.

فالقدُّوسُ كالسلامِ، ينفيانِ كلَّ نقصٍ من جميعِ الوجوهِ، ويتضمَّنَانِ الكمالَ المطلقَ من جميعِ الوجوهِ، لأنَّ النقصَ إذا انْتَفَى ثَبَتَ الكمالُ كُلُّه.

٣٠، ٣١- «**العليُّ الأعلى**» وهو الذي له العلوُّ المطلقُ من جميعِ الوجوهِ، علوُّ الذَّاتِ، وعلوُّ القدرِ والصِّفَاتِ، وعلوُّ القهرِ. فهو الذي على العرشِ اسْتَوَى، وعلى المُلْكِ احْتَوَى، وبجميعِ صفاتِ العظمةِ والكبرياءِ والجلالِ والجمالِ وغايةِ الكمالِ اتَّصَفَ، وإليهِ فيها المُنْتَهَى.

٣٢- «**العزيزُ**» الذي له العزةُ كلُّها: عزةُ القوَّةِ، وعزةُ الغلبةِ، وعزةُ الامتناعِ، فامتنعَ أن ينالَه أحدٌ من المخلوقاتِ، وقَهَرَ جميعَ الموجوداتِ، ودَانَتْ لهُ الخليقَةُ وخَضَعَتْ لعظمتِه.

٣٣، ٣٤- «**القويُّ، المتينُ**» هو في معنى العزيزِ.

٣٥- «**الجَبَّارُ**» هو بمعنى العليِّ الأعلى، وبمعنى القهَّارِ، وبمعنى «الرَّؤُوفِ» الجابرِ للقلوبِ المنكسِرَةِ، وللضعيفِ العاجزِ، ولمن لاذَ بهِ ولجأَ إليه.

٣٦- «**المتكبِّرُ**» عن السوءِ والنقصِ والعيوبِ، لعظمتِه وكبريائِه.

٣٧-٣٩- «**الخالقُ، البارئُ، المصوِّرُ**» الذي خلقَ جميعَ الموجوداتِ وبَرَأَها وسوَّاها بحكمتِه، وصوَّرَها بحمدِهِ وحكمتِهِ، وهو لم يَزَلْ ولا يَزَالُ على هذا الوصفِ العظيمِ.

٤٠- «**المؤمنُ**» الذي أَثْنَى على نفسِه بصفاتِ الكمالِ، وبكمالِ الجلالِ والجمالِ، الذي أَرْسَلَ رسلَه وأنزلَ كتبَه بالآياتِ والبراهينِ، وصدَّقَ رسلَه بكلِّ آيةٍ وبرهانٍ، يدُلُّ على صدقِهم وصحةِ ما جاؤُوا به.

٤١- «**المهيمنُ**»: المطلعُ على خفايَا الأمورِ وخبايَا الصدورِ، الذي أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا.

٤٢- «**القديرُ**» كاملُ القدرةِ، بقدرتِه أوجدَ الموجوداتِ، وبقدرتِه دبَّرَها، وبقدرتِه سوَّاها وأحكَمَها، وبقدرَتِه يُحيي ويُميتُ، ويبعثُ العبادَ للجزاءِ، ويجازي المحسنَ بإحسانِه، والمسيءَ بإساءَتِه، الذي إذا أرادَ شيئًا قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، وبقدرَتِه يقلِّبُ القلوبَ، ويُصَرِّفُها على ما يشاءُ ويريدُ.

٤٣- «**اللطيف**» الذي أحاطَ علمُه بالسرائرِ والخفايَا، وأدركَ الخبايَا والبواطنَ والأمورَ الدقيقةَ، اللطيفُ بعبادِه المؤمنينَ، الموصلُ إليهم مصالحَهم بلطفِه وإحسانِه، من طرقٍ لا يشعرونَ بها، فهو بمعنى «**الخبيرِ**» وبمعنى «**الرؤوفِ**».

٤٤- «**الحسيبُ**» هو العليمُ بعبادِه، كافي المتوكلينَ، المُجَازِي لعبادِه بالخيرِ والشَّرِّ، بحسبِ حكمَتِه وعِلْمِهِ بدقيقِ أعمالِهم وجليلِها.

٤٥- «**الرقيبُ**» المطلَّعُ على ما أَكَنَّتْهُ الصُّدُورُ، القائمُ على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ، الذي حَفِظَ المخلوقاتِ وأَجْرَاهَا على أحسنِ نظامٍ وأكملِ تدبيرٍ.

٤٦- «**الحفيظُ**» الذي حَفِظَ ما خَلَقَهُ، وأَحَاطَ علمُه بما أوجدَهُ، وحَفِظَ أولياءَه من وقوعِهِم في الذنوبِ والهَلَكَاتِ، ولَطَفَ بهم في الحركاتِ والسكناتِ، وأحصى على العبادِ أعمالَهم وجزاءَها.

٤٧- «**المحيطُ**» بكلِّ شيءٍ علمًا، وقدرةً، ورحمةً، وقهرًا.

٤٨- «**القهَّارُ**» لكلِّ شيءٍ، الذي خَضَعَتْ لهُ المخلوقاتُ، وذَلَّتْ لعزَّتِه وقوَّتِه وكمالِ اقْتِدَارِه.

٤٩- «**المُقيتُ**» الذي أوصلَ إلى كلِّ موجودٍ ما به يقتاتُ، وأوصلَ إليها أرزاقَها وصَرَّفَها كيفَ يشاءُ بحكمتِه وحمدِه.

٥٠- «**الوكيلُ**» المتولِّي لتدبيرِ خلقِه بعلمِه وكمالِ قدرتِه وشمولِ حكمتِه، الذي تولَّى أولياءَه، فيَسَّرَهُم لليُسْرَى، وجنَّبَهُمُ العُسْرَى، وكَفَاهُمُ الأمورَ. فمن اتَّخَذَهُ وكِيلًا كَفَاهُ ﴿ ! " # $ % & '
( ) ﴾.

٥١- «**ذو الجلالِ والإكرام**» أي: ذو العظمةِ والكبرياءِ، وذو الرحمةِ والجودِ، والإحسانِ العامِّ والخاصِّ، المكرمُ لأوليائِه وأصفيائِه، الذين يجلُّونَهُ ويعظِّمُونَهُ ويحبُّونَه.

٥٢- «**الودودُ**» الذي يُحِبُّ أنبياءَه ورسُلَهُ وأَتْبَاعَهُم، ويُحِبُّونَهُ، فهو أَحَبُّ إليهم من كلِّ شيءٍ، قدِ امتلأَتْ قلوبُهم من محبَّتِهِ، ولَهَجَتْ ألسنتُهم بالثناءِ عليه، وانجذَبَتْ أفئدَتُهم إليهِ وُدًّا وإخلاصًا وإنابةً من جميعِ الوجوهِ.

٥٣- «**الفتَّاحُ**» الذي يحكمُ بين عبادِه بأحكامِه الشرعيَّةِ، وأحكامِه القدريةِ، وأحكامِ الجزاءِ، الذي فَتَحَ بلُطْفِهِ بصائرَ الصادقِينَ، وفتحَ قلوبَهم لمعرفتِه ومحبتِه والإنابةِ إليه، وفتحَ لعبادِه أبوابَ الرحمةِ والأرزاقِ المتنوعَةِ، وسَبَّبَ لهم الأسبابَ التي ينالُونَ بها خَيْرَ الدُّنْيَا والآخرةِ ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ ´ | ¶ ﺩ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [فاطر:٢].

٥٤- «**الرزَّاقُ**» لجميعِ عبادِه، فما من دابَّةٍ في الأرضِ إلا على اللهِ رزْقُها. ورِزْقُهُ لعبادِه نوعانِ:

رزقٌ عامٌّ: شَمَلَ البَرَّ والفاجرَ، والأولينَ والآخرينَ، وهو رزقُ الأبدانِ.

ورزقٌ خاصٌّ: وهو رزقُ القلوبِ، وتَغْذِيتُها بالعلمِ والإيمانِ، والرزقُ الحلالُ الذي يعينُ على صلاحِ الدينِ، وهذا خاصٌّ بالمؤمنينَ، على مراتِبِهم منه، بحسبِ ما تقتَضِيهِ حكمتُه ورحمتُه.

٥٥، ٥٦- «**الحَكَمُ، العدْلُ**» الذي يحكُمُ بين عبادِه في الدنيا والآخرةِ بعدلِه وقسطِه. فلا يظلمُ مثقالَ ذرَّةٍ ولا يُحَمِّلُ أحدًا وزرَ أحدٍ، ولا يجازِي العبدَ بأكثرَ من ذنبِه، ويؤدِّي الحقوقَ إلى أهلِها، فلا يدَعُ صاحبَ حقٍّ إلا أَوْصَلَ إليه حقَّهُ، وهو العدلُ في تدبيرِه وتقديرِه ﴿O N M L K﴾ [هود:٥٦].

٥٧- «**جامعُ النَّاسِ**» ليومٍ لا ريبَ فيه، وجامعُ أعمالِهم وأرزاقِهم، فلا

يتركُ منها صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصَاهَا، وجامعُ ما تفرَّقَ واستحالَ من الأمواتِ الأولينَ والآخرينَ، بكمالِ قدرتِه، وسعةِ علمِه.

٥٨- «**الحيُّ القيُّومُ**» كاملُ الحياةِ والقائمُ بنفسِه. القيومُ لأهلِ السمواتِ والأرضِ، القائمُ بتدبيرِهم وأرزاقِهم، وجميعِ أحوالِهم، فـ «**الحيُّ**»: الجامعُ لصفاتِ الذاتِ، و«**القيومُ**» الجامعُ لصفاتِ الأفعالِ.

٥٩- «**النورُ**» نورُ السمواتِ والأرضِ، الذي نَوَّرَ قلوبَ العارفينَ بمعرفتِه والإيمانِ به، ونَوَّرَ أفئدتَهم بهدايتِه، وهو الذي أنارَ السمواتِ والأرضَ بالأنوارِ التي وضَعَها، وحجابُه النورُ، لو كشَفَه لأحرَقَتْ سبحاتُ وجهِه ما انتهى إليه بَصَرُه من خلقهِ.

٦٠- «**بديعُ السمواتِ والأرضِ**» أي: خالقُهما ومبدعُهما، في غايةِ ما يكونُ من الحسْنِ والخلقِ البديعِ، والنظامِ العجيبِ المحكمِ.

٦١، ٦٢- «**القابضُ، الباسطُ**» يقبضُ الأرزاقَ والأرواحَ، ويبسطُ الأرزاقَ والقلوبَ، وذلكَ تبعٌ لحكمتِه ورحمتِه.

٦٣، ٦٤- «**المعطي، المانعُ**» لا مانعَ لما أعطَى، ولا معطِيَ لما منعَ، فجميعُ المصالحِ والمنافعِ منه تُطلبُ، وإليه يرغبُ فيها، وهو الذي يعطِيها لمن يشاءُ، ويمنعُها من يشاءُ بحكمتِه ورحمتِه.

٦٥- «**الشهيدُ**» أي: المطَّلعُ على جميعِ الأشياءِ. سمعَ جميعَ الأصواتِ خفيَّها وجليَّها، وأبصرَ جميعَ الموجوداتِ دقيقَها وجليلَها صغيرَها وكبيرَها، وأحاطَ علمُه بكلِّ شيءٍ، الذي شَهِدَ لعبادِه وعلى عبادِه بما عملُوه.

٦٦، ٦٧- «**المبدئُ، المعيدُ**» قال تعالى: ﴿= < ? @ A B ﴾، ابتدأَ خلقَهم ليبلوَهُم أيهم أحسنُ عملًا، ثم يعيدُهم ليجزيَ الذين أحسنُوا بالحُسْنَى، ويجزِيَ المسيئِينَ بإساءَتِهم. وكذلكَ هو الذي يُبْدِأُ إيجادَ المخلوقاتِ شيئًا فشيئًا، ثم يعيدُها كلَّ وقتٍ.

٦٨- «**الفعَّالُ لما يريدُ**» وهذا من كمالِ قوتِه ونفوذِ مشيئتِه وقدرتِه، أنَّ كلَّ أمرٍ يريدُه يفعلُه بلا ممانعٍ ولا معارضٍ، وليسَ له ظهيرٌ ولا معينٌ، على أيِّ أمرٍ يكونُ، بلْ إذا أرادَ شيئًا قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾. ومعَ أنَّه الفعَّالُ لما يريدُ، فإرادتُه تابعةٌ لحكمتِه وحمدِه، فهو موصوفٌ بكمالِ القدرةِ، ونفوذِ المشيئةِ، وموصوفٌ بشمولِ الحكمةِ، لكلِّ ما فعلَه ويفعلُه.

٦٩، ٧٠- «**الغنيُّ، المغني**» فهو الغنيُّ بذاتِه، الذي له الغنى التامُّ المطلقُ، من جميعِ الوجوهِ والاعتباراتِ لكمالِه، وكمالِ صفاتِه، فلا يتطرقُ إليها نقصٌ بوجْهٍ من الوجوهِ، ولا يمكنُ أن يكونَ إلا غنيًّا، لأن غنَاهُ من لوازمِ ذاتِه، كما لا يكونُ إلا خالقًا، قادرًا، رازقًا، محسنًا، فلا يحتاجُ إلى أحدٍ بوجْهٍ من الوجوهِ، فهو الغنيُّ، الذي بيدِه خزائنُ السمواتِ والأرضِ، وخزائنُ الدنيا والآخرةِ. المغني جميعَ خلقِه غنىً عامًّا، والمغنِي لخواصِّ خلقِه بما أفاضَ على قلوبِهم من المعارفِ الربانيَّةِ والحقائقِ الإيمانيةِ.

٧١- «**الحليمُ**» الذي يدرُّ على خلقِه النعمَ الظاهرةَ والباطنةَ، مع معاصِيهم وكثرةِ زَلَّاتِهم، فيحلُمُ عن مقابلةِ العاصِينَ بعصيانِهم، ويستعتبُهم كي يتوبوا، ويمهِلُهم كي يُنِيبُوا.

٧٢، ٧٣- «**الشاكرُ، الشكورُ**» الذي يشكرُ القليلَ من العملِ، ويغفرُ

الكثيرَ من الزللِ. ويضاعفُ للمخلصِينَ أعمالَهم بغيرِ حسابٍ، ويشكرُ الشاكرينَ، ويذكرُ من ذكرَه، ومن تقرَّبَ إليه بشيءٍ من الأعمالِ الصالحةِ، تقرَّبَ اللهُ منهُ أكثرَ.

٧٤، ٧٥- «**القريبُ، المجيبُ**» أي: هو تعالى القريبُ من كلِّ أحدٍ.

وقربُه تعالى نوعانِ: قربٌ عامٌّ من كلِّ أحدٍ، بعلْمِهِ، وخبرَتِهِ، ومراقبتِه، ومشاهدتِه، وإحاطتِه.

وقربٌ خاصٌّ، من عابدِيه، وسائلِيه، ومحبِّيه، وهو قربٌ لا تُدْرَكُ له حقيقةٌ، وإنما تُعْلَمُ آثارُه، من لطفِه بعبدِه، وعنايتِه به، وتوفيقِه وتسديدِه.

ومن آثارِه: الإجابةُ للداعينَ والإثابةُ للعابدينَ، فهو المجيبُ إجابةً عامَّةً للداعينَ مهما كانُوا، وأينَ كانُوا، وعلى أيِّ حالٍ كانُوا كما وعدَهم بهذا الوعدِ المطلقِ، وهو المجيبُ إجابةً خاصَّةً للمستجيبينَ له المنقادينَ لشرعِه، وهو المجيبُ أيضًا للمضطرينَ، ومن انقطعَ رجاؤُهم من المخلوقينَ وقَوِيَ تعلُّقُهم به طمعًا ورجاءً وخوفًا.

٧٦- «**الكافي**» جميعَ عبادِه ما يحتاجُونَ ويضطرُّونَ إليه، الكافي كفايةً خاصَّةً من آمنَ به، وتوكَّلَ عليه، واستمدَّ منه حوائجَ دينِه ودنياه.

٧٧-٨٠- «**الأولُ، والآخرُ، والظاهرُ، والباطنُ**».

قد فسَّرَها النبيُّ ﷺ تفسيرًا جامعًا واضحًا، فقال: «**أنتَ الأولُ فليسَ قبلَكَ شيءٌ، وأنتَ الآخِرُ فليسَ بعدَكَ شيءٌ، وأنتَ الظاهرُ فليسَ فوقَكَ شيءٌ، وأنتَ الباطِنُ فليسَ دونَكَ شيءٌ**»[1].

---

(١) مسلم (٢٧١٣)، أبو داود (٥٠٥١)، الترمذي (٣٤٠٠).

٨١- «**الواسعُ**» الصفاتِ والنعوتِ ومتعلقاتِها، بحيثُ لا يُحصِي أحدٌ ثناءً عليه، بلْ هو كَمَا أثنَى على نفسِه. واسعُ العظمةِ والسلطانِ والملكِ، واسعُ الفضلِ والإحسانِ، عظيمُ الجودِ والكرمِ.

٨٢، ٨٣- «**الهادي، الرشيدُ**» أي: الذي يهدِي ويرشدُ عبادَه إلى جميعِ المنافعِ، وإلى دفعِ المضارِّ، ويعلِّمُهم ما لا يعلمونَ، ويهدِيهم لهدايةِ التوفيقِ والتسديدِ، ويُلهِمُهم التقوى، ويجعلُ قلوبَهم منيبةً إليهِ منقادَةً لأمْرِهِ.

وللرشيدِ معنىً بمعنَى الحكيم، فهو الرشيدُ في أقوالِه وأفعالِه، وشرائعُه كُلُّها خيرٌ ورَشَدٌ وحكمةٌ، ومخلوقاتُه مشتملةٌ على الرشدِ.

٨٤- «**الحقُّ**» في ذاتِه وصفاتِه، فهو واجبُ الوجودِ، كاملُ الصفاتِ والنعوتِ، وجودُه من لوازمِ ذاتِه، ولا وجودَ لشيءٍ من الأشياءِ إلا به. فهو الذي لم يَزَلْ ولا يَزَالُ بالجلالِ والكمالِ موصُوفًا، ولم يَزَلْ ولا يَزَالُ بالإحسانِ معروفًا.

فقولُه حقٌّ، وفعلُه حقٌّ، ولقاؤُه حقٌّ، ورسلُه حقٌّ، وكتبُه حقٌّ، ودينُه هو الحقُّ، وعبادتُه وحدَه لا شريكَ له هي الحقُّ، وكلُّ شيءٍ ينسبُ إليه فهو حقٌّ ﴿ x y z { | } ~يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ © ﴾ [الحج:٦٢].

﴿ B C D E G H I J K L ﴾ [الكهف:٢٩]، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس:٣٢]، ﴿ i j k l m o p q r ﴾ [الإسراء:٨١].

* * *

قصائد في تعظيم الله

١ - أسماء الله الحسنى

العليُّ

فَهــوَ العَــليُّ بِذَاتِــهِ سُــبحَانَهُ ... إذ يــستَحيلُ خِــلافُ ذَا بِبَيَــانِ
وَهْوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى العَرْشِ استَوى ... قَــد قَــامَ بالتَّــدبيرِ للأَكــوانِ
حَــيٌّ مُرِيــدٌ قَــادِرٌ مُــتكَلِّمٌ ... ذُو رَحمَـــــةٍ وإرَادَةٍ وحَنَـــــانِ
هُــوَ أوَّلٌ هُــوَ آخِــرٌ هُــوَ ظَــاهِرٌ ... هُــوَ بَــاطِنٌ هَــي أربــعٌ بِــوِزَانِ
مَــا قَبلَــهُ شيءٌ كَــذَا مــا بَعــدَهُ ... شَيءٌ تَعَــالى اللهُ ذُو الــسُّلطَانِ
مَــا فَوقَــهُ شيءٌ كَــذَا مــا دُونَــهُ ... شيءٌ وَذَا تَفــسيرُ ذِي البُرهَــانِ
فَــانظُرْ إلى تَفــسيرِهِ بتَــدَبُّرٍ ... وتَبَــصُّرٍ وتَعَقُّــلٍ لِمَعَــانِ
وانظر إلى ما فيهِ مـن أنـواع مَعْــ ... ــرِفَةٍ لخَالِقِنَـا العَظِـيمِ الـشَّانِ
وهُـوَ العَـلِيُ فَكَـلُّ أنـواعِ العُلُــ ... ــوِّ لَــهُ فثابِتَــةٌ بــلا نُكــرانِ

العظيم

وهُوَ العَظِيمُ بِكُلِ مَعنًى يُوجِـبُ ... التَّعظِـيمَ لَا يُحـصِيهِ مِـن إنـسَانِ
وَهُوَ الجلَيلُ فكُلُّ أوصَافِ الجَـلَا ... لِ لَــهُ مُحَقّقَــةٌ بِــلَا بُطــلانِ

الجميل

وَهُوَ الجمِيلُ عَلَى الحقِيقَةِ كَيفَ لا؟! ... وَجَمَــالُ ســائِرِ هَــذِهِ الأكــوانِ
مِـن بَعـضِ آثـارِ الجمَيـلِ فَرَبُّهـا ... أولَى وأجـدَرُ عَنـدَ ذِيَ العِرفـانِ
فَجَمَالُهُ بالذَّاتِ والأوصافِ والــ ... أفعَــالِ والأسـماءِ بالبُرهَــانِ

لا شَيءَ يُــشبِهُ ذَاتَــهُ وَصِــفَاتِهِ سُـبحَانَهُ عَـن إفـكِ ذِي البُهتَـانِ

المجيد

وهُوَ المَجِيدُ صَفاتُهُ أوصَـافِ تـع ظِيمٍ فَشَأنُ الوَصفِ أعظَـمُ شَـانِ

السميع

وهُوَ السَّميعُ يَرى ويَسمَعُ كُـلَّ مَـا فِي الكَـونِ مِـنْ سِرٍّ ومِـنْ إِعـلانِ

ولِكُلِ صَوتٍ مِنهُ سَـمعٌ حـاضِرٌ فالــسِّرُّ والإعــلانُ مُــسْتويانِ

والسمعُ منه واسعُ الأصـواتِ لا يَخْفَـى عليـه بعيـدُها والـدَّاني

البصير

وهُوَ البَصِيرُ يَرى دَبيبَ النَّمَّلةِ الـسْ ودَاءِ تَحْـتَ الـصَّخْرِ والـصَّوانِ

ويَرَى مَجارِي القُـوتِ في أعـضَائِهَا ويَــرَى بَيــاضَ عُروقِهــا بِعيــانِ

ويَرَى خَياناتِ العُيـونِ بِلَحظِهَـا ويَــرَى كَـذَاكَ تَقَلُّـبَ الأجفَـانِ

العليم

وهُوَ العَليمُ أحَـاطَ عِلـمًا بالـذِي في الكَـونِ مـن سِرٍّ ومِـنْ إعـلانِ

وبكُـــلِّ شيءٍ عِلمُـــهُ سُـــبحَانَهُ فَهْــوَ المُحــيطُ ولَـيسَ ذَا نِـسيَانِ

وَكَذاكَ يعْلَمُ مَا يَكـونُ غَـدًا وَمَـا قَــد كَــانَ والموجــودَ في ذَا الآنِ

وَكَذَاكَ أَمرٌ لَمْ يَكُن لَـو كَـانَ كَيْــ ـفَ يَكُـونُ ذَاكَ الأَمـرُ ذَا إمكَـانِ

الحميد

وهُـوَ الحَميـدُ فَكُـلُ حَمـدٍ وَاقـعٍ أو كَانَ مَفروضًـا مَـدَى الأزمَـانِ

مَــلأَ الوجُــودَ جَمِيْعَــهُ ونَظَــيرَهُ مِــن غَــيرِ مــا عَــدٍّ ولا حُــسْبَانِ
هُــوَ أَهْلُــهُ سُــبْحَانَهُ وبِحَمْــدِهِ كُلُّ المَحَامِدِ وَصْـفُ ذِي الإِحسَانِ
وهُوَ المُكَلِّـمُ عَبْـدَهُ مُوْسَـى بتَـك لِـيمِ الخِطـابِ وَقَبلَـهُ الأَبَـوانِ
كَلِماتُهُ جَلَّتْ عـن الإحـصَاءِ والتَّـع دَادِ بَل عَـن حَـصرِ ذِي الحسبَانِ
لو أنَّ أشجَارَ الـبِلادِ جَميعَهَـا الـ أقْــلَامُ تَكْتُبُهَــا بكَــلِّ بَنَــانِ
والبَحـرَ تُلقَـى فِيـهِ سَـبعَةُ أبحُـرٍ لِكَتابَــةِ الكَلِــماتِ كُــلِّ زَمَــانِ
نَفِــدَت وَلَم تَنفَــد بِهَــا كَلِماتُــهُ لـيْسَ الكَـلامُ مِـن الإلـهِ بِفَـانِ

القدير

وهُـوَ القَـدِيرُ ولَـيْسَ يُعجِـزُهُ إذا مَـا رَامَ شَـيئًا قَـطُّ ذُو سُـلطَانِ

القويُّ

وَهُوَ القَوِيُّ لَهُ القُـوَى جَمعًـا تعَـا لَى اللهُ رَبُّ النَّــاسِ والأَكــوانِ

الغنيُّ

وهُــوَ الغَنــيُّ بذاتِــهِ فغِنــاهُ ذا تِيٌّ لَــهُ كَــالجُودِ والإِحــسَانِ

العزيز القاهر

وهُـوَ العَزِيـزُ فَلَـن يُـرامَ جَنَابُـهُ أَنَّـى يُـرامُ جَنَـابُ ذِي الـسُّلطَانِ
وهُـوَ العَزِيـزُ القَـاهِرُ الغـلَّابُ لَمْ يَغلِبْــهُ شَيءٌ هَــذِهِ صِــفَتَانِ
وهُـوَ العَزِيـزُ بقُـوَّةٍ هِـيَ وَصـفُهُ فــالعِزُّ حِينَئِــذٍ ثَــلاثُ مَعَــانِ
وَهْـيَ الَّتـي كَمُلَـت لَـهُ سُـبحَانَهُ مِـنْ كُـلِّ وَجْـهٍ عَـادِمِ النُقـصَانِ

الحكيم

وهُوَ الحَكِـيمُ وذَاكَ مِـن أوصَـافِهِ ... نوعَــانِ أيـضًا مَـا هُمَـا عَـدَمَانِ

حُكــمٌ وإِحكَــامٌ فَكُــلٌ مِــنهُمَا ... نَوعَــانِ أيــضًا ثَابتَــا البُرهَــانِ

والحُكْــمُ شَرعِــيٌّ وَكَــونِيٌّ وَلَا ... يَتلازَمَـــانِ وَمَـــا هُمَـــا سِـــيَّانِ

الحييُّ

وهُوَ الحَيِيُّ فَلَـيسَ يَفـضَحُ عَبـدَهُ ... عِنـدَ التَّجَـاهُرِ مِنـهُ بِالعِـصيَانِ

لَكِنَّـــهُ يُلقِـــي عَلَيـــه سِـــترَهُ ... فَهُوَ الـسِّتِيرُ وَصَـاحِبُ الغُفـرَانِ

الحليم

وهُـوَ الحَلِـيمُ فَـلَا يُعَاجِـلُ عَبْـدَهُ ... بِعُقُوبَــةٍ لِيَتُــوبَ مِــنْ عِــصيانِ

العفو

وَهُوَ العَفُوُّ فَعَفوُهُ وَسِـعَ الـوَرَى ... لــولَاهُ غَــارَ الأَرض بالــسُّكَانِ

الصبور

وَهُـوَ الـصَّبُورُ عَـلَى أذَى أعدائِـهِ ... شَــتَمُوهُ بَــل نَــسَبُوهُ لِلبُهتَــانِ

قَــالُوا لَــهُ ولَــدٌ ولَــيسَ يُعَيــدُنَا ... شَــتمًا وتَكــذِيبًا مِــنَ الإِنــسانِ

هَـــذَا وَذَاكَ بِـــسَمعِهِ وَبِعِلمِـــهِ ... لَـوْ شَـاءَ عَـاجَلهُم بِكُـلِ هَـوَانِ

لَكِــنْ يُعَــافِيهم ويَــرزُقُهُمْ وهُــمْ ... يُؤذُونَـــهُ بالـــشِّرْكِ وَالكُفـــرَانِ

الرقيبُ

وَهَوَ الرَّقِيبُ عَلَى الخَواطِرِ واللَّوَا ... حِـظِ كَيـفَ بالأَفعَـالِ بِالأرْكَـانِ

الحفيظُ الكفيلُ

وَهُوَ الحَفيظُ عَلَيهِمُ وَهُـوَ الكَفِيــ ـلُ بِحِفظِهِمْ مِـنْ كُـلِّ أمـرٍ عَـانِ

اللطيفُ

وَهُــوَ اللَّطِيــفُ بِعَبْــدِهِ وَلِعَبْــدِهِ واللَّطــفُ فِي أوصَــافِهِ نَوعَــانِ

إدرَاكُ أسرارِ الأمُــــورِ بِخِـــبرَةٍ واللُّطفُ عِنـدَ مَوَاقِـعِ الإحسِانِ

فيُرِيــكَ عِزَّتَــهُ ويُبــدِي لُطفَــهُ وَالعَبدُ فِي الغَفَلَاتِ عَن ذَا الـشَّانِ

الرفيقُ

وَهُوَ الرَّفِيقُ يُحِبُّ أهلَ الرِّفقِ بَـل يُعطِــيهُمُ بــالرِّفقِ فَــوقَ أمَــانِ

القريبُ

وهُوَ القَريبُ وقُربُهُ المُختَصُّ بالـدْ داعِــي وعَابِــدِهِ عَــلَى الإِيــمَانِ

المجيبُ

وَهُوَ المُجِيبُ يَقولُ مَنْ يَـدعُو أُجِبْــ ـهُ أَنَـا المُجِيـبُ لِكُـلِّ مَـن نَـادَانِي

وهُوَ المُجِيــبُ لِـدَعوَةِ المـضطَرِّ إذ يَــــدْعُوهُ فِي سِرٍ وفِي إعــــلانِ

الجوادُ

وهُوَ الجَوَادُ فَجُـودُهُ عَـمَّ الوُجُـو دَ جَمِيعَــهُ بالفَــضلِ والإِحــسَانِ

وهُــوَ الجَــوَادُ فَـلا يُخَيِّــبُ سَـائِلًا وَلَــوَ انَّــهُ مِــن أُمَّــةِ الكُفــرانِ

المغيثُ

وهُــوَ المُغيــثُ لِكُــلِّ مخلُوقَاتِــهِ وَكَــذَا يُجِيــبُ إغَاثَــةَ اللَّهفَــانِ

الودودُ

وَهُـوَ الـوَدُودُ يُحِـبُّهُم ويُحِبُّـهُ … أحبَابُـهُ وَالفَـضلُ للمَنَّـانِ
وهُوَ الَّذِي جَعلَ المَحَبَّةَ في قُلُـو … بِهِـمُ وَجَـازَاهُم بِحُـبٍّ ثَـانِ
هَذَا هُـوَ الإِحسانُ حَقًّا لَا مُعَـا … وَضَـةً وَلَا لِتَوقُّـعِ الـشُّكْرَانِ
لَكِن يُحِبُّ شَكُورَهُم وَشُكُورُهُم … لَا لاحِتيـاجٍ مِنـهُ للـشُّكرَانِ

الشكورُ

وَهُوَ الشَّكُورُ فَلَن يُضَيِّعَ سَعيَهُم … لِكِـن يَـضاعِفُهُ بِـلَا حُـسبَانِ
مـا لِلعِبَـادِ عليـه حَـقٌّ وَاجِـبٌ … هُوَ أوجَبَ الأَجرَ العَظِيمَ الـشَّانِ
كَـلَّا وَلَا عَمَـلٌ لَدَيـهِ ضَـائِعٌ … إِن كَانَ بِـالإِخلَاصِ والإِحسَانِ
إن عُـذِّبُوا فِبعَدلِـهِ أو نُعِّمُـوا … فِبفَـضلِهِ وَالحَمـدُ للـرَّحمَنِ

الغفورُ

وهُـوَ الغَفُـورُ فَلَـو أُتِي بقُرَابِهَـا … مِن غَيرَ شِركٍ بَـل مـنَ العِصَيانِ
لاقَـاهُ بـالغُفرانِ مِـلءَ قُرَابِهـا … سُـبحَانَهُ هُـوَ وَاسِـعُ الغُفـرانِ

التوابُ

وكَـذلِكَ التَّـوابُ مِـنْ أوصَـافِهِ … والتَّـوبُ فِي أَوصَـافِهِ نَوعَـانِ
إذنٌ بِتَوبَـةِ عَبـدِهِ وقَبُولَهَـا … بَعـدَ المَتَـابِ بمنَّـةِ المَنَّـانِ

الإلهُ السيدُ الصمدُ

وَهُوَ الإلهُ الـسَّيدُ الـصَّمَدُ الَّـذِي … صَـمَدَتْ إِليـهِ الخَلـقُ بالإِذعَـانِ

الكَامِلُ الأَوصَافِ مِنْ كُـلِّ الوُجُـو ... هِ كَمَالُــهُ مـا فِيــهِ مِــنْ نُقْــصَانِ

القهارُ

وكَــذلِكَ القَهَّــارُ مِــنْ أَوْصَــافِهِ ... فَــالخَلْقُ مَقْهُــورُونَ بالــسُّلْطَانِ

الحيُّ العزيزُ القادرُ

لَــوْ لَمْ يَكُــنْ حَيًّــا عَزِيــزًا قَــادِرًا ... مَــا كَــانَ مِــنْ قَهْــرٍ وَلَا سُــلطانِ

الجبارُ

وَكَــذلِكَ الجَبَّــارُ مِــنْ أَوْصَــافِهِ ... والجَـــبْرُ فِي أَوْصَـــافِهِ قِـــسمَانِ

جَبْرُ الضَّعِيفِ وَكُلُّ قَلْـبٍ قَـدْ غَـدَا ... ذَا كَـــسْرةٍ فَـــالجَبْرُ مِنْـــهُ دَانِ

الثَّــانِي جَـبْرُ الْقَهْـرِ بِـالعِزِّ الـذي ... لَا يَنْبَغِــي لِــسِوَاهُ مِــنْ إِنْــسِانِ

ولَـهُ مُـسَمَّى ثالـثٌ وهُـوَ العُلُـوْ ... فَلَـيْسَ يَـدْنُو مِنْـهُ مِـن إِنْـسَانِ

مِـنْ قَـوْلِهِمْ جَبَّـارَةٌ لِلنَّخلِـةِ الــ ... ــعُلْيَا التـي فاتَــتْ لِكُــلِّ بَنــانِ

الحسيبُ

وَهُــوَ الحَـسِيبُ كِفَايَـةً وحِمَايـةً ... وَالحَـسْبُ كَـافِي الْعَبْـدِ كُـلَّ أَوانِ

الرشيدُ

وَهُــوَ الرَّشِــيدُ فَقَولُــهُ وفِعَالُــهُ ... رُشْــدٌ وَرَبُّــكَ مُرْشِــدُ الحَــيْرَانِ

وَكِلَاهُمَــا حَــقٌّ فَهَــذَا وَصْــفُهُ ... وَالْفِعْــلُ للإِرْشَــادِ ذَاكَ الثَــانِي

العدلُ

وَالْعَــدْلُ مِــنْ أَوْصَــافِهِ فِي فِعْلِـهِ ... وَمَقَالِـــهِ وَالحُكْـــمُ بِـــالمِيزَانِ

فَعَــلى الــصِّراطِ المُـستَقيمِ إِلَهُنَــا ... قَــولًا وَفِعْــلًا ذَاكَ فِي القُــرآنِ

القدوسُ

هَذَا وَمِـنَ أَوْصَـافِهِ القُـدُّوْسُ ذَو التَّنْزِيْـــهِ بِـــالتَعْظِيمِ للـــرَّحْمَنِ

السلامُ

وَهُوَ الـسَّلَامُ عَـلَى الحَقِيقَـةِ سَـالمٌ مِـنْ كُـلِّ تَمْثِيـلٍ وَمِـنْ نُقْـصَانِ

البرُّ

والـــبَرُّ فِي أَوْصَـــافِهِ سُـــبْحَانَهُ هُـوَ كَثْـرةُ الخَـيْرَاتِ والإحْـسَانِ

صَدَرَتْ عَنْ البِرِّ الذي هُوَ وَصْـفُهُ فَـــالبِرُّ حِينَئِـــذٍ لَـــهُ نوعَـــانِ

وَصْـفٌ وفِعْـلُ فَهُـوَ بَـرٌّ مُحْسِنٌ مُـوْلِي الجَميـلِ ودَائِـمُ الإِحْسَانِ

الوهَّابُ

وكَـذلِكَ الوَهَّـابُ مِـن أَسْـمَائِهِ فَـانْظُرْ مَوَاهِبَـهُ مَـدَى الأَزْمَـانِ

أَهْلُ السَّمَواتِ العُلَى والأَرْضِ عَـنْ تِلْـكَ المَواهِـبِ لَـيْسَ يَنْفَكَّـانِ

الفتاحُ

وَكَـذلِكَ الفَتَّـاحُ مِـنْ أَسْـمَائِهِ والفَـتْحُ فِي أَوْصَـافِهِ أَمْـرَانِ

فَـتْحٌ بِحُكْـمٍ وَهْـوَ شَرْعُ إِلهِنَـا وَالْفَـتْحُ بِالأَقْـدَارِ فَـتْحٌ ثـانِ

وَالـرَبُّ فَتَّـاحٌ بِـذَيْنِ كِلَـيْهِمَا عَـدْلًا وَإِحْـسَانًا مِـنَ الـرَّحْمنِ

الرزاقُ

وَكَـذَلِكَ الـرَزَّاقُ مِـنَ أَوْصَـافِهِ والـرِّزْقُ مِـنْ أَفْعَالِـهِ نَوْعَـانِ

رِزْقٌ عَـلَى يَـدِ عَبْـدِهِ ورَسُـولِهِ نوعـانِ أيْـضًا ذَانِ مَعْرُوفَـانِ

رِزْقُ القُلُوبِ العِلمُ والإيمَانُ والر ... زْقُ المُعَـــدُّ لِهَـــذِهِ الأَبْـــدَانِ
هَـذا هُـوَ الـرِّزْقُ الحَـلالُ وَرَبُّنَـا ... رَزَّاقُـــهُ وَالفَـــضْلُ لِلمَنَّـــانِ
وَالثَّانِي سَوْقُ القُوتِ لِلأَعْـضَاءِ فِي ... تِلْـكَ المَجَـارِيْ سَـوقُهُ بِـوَازانِ
هَذَا يَكُونُ مِنَ الحَـلالِ كَـمَا يَكُـو ... نُ مِـنْ الحَـرَامِ كِلاهُمَـا رِزْقَـانِ
واللهُ رَازِقُـــهُ بِهَـــذَا الاعْتَبَـــا ... رِ وَلَـيْسَ بِـالإِطْلَاقِ دُوْنَ بَيَـانِ

القيومُ

هَذَا وَمِـنْ أَوْصَـافِهِ القَيُّـومُ والـ ... ـــقَيُّومُ فِي أَوْصَـــافِهِ أمْـــرَانِ
إِحْـدَاهُمَا القَيُّـومُ قَـامَ بِنَفْـسِهِ ... وَالْكُـونُ قَـامَ بِـهِ هُمَـا الأمْـرَانِ
فَـالأَوَّلُ اسْـتِغْنَاؤُهُ عَـنْ غَـيْرِهِ ... وَالْفَقْـرُ مِـنْ كُـلٍّ إليـهِ الثَـانِي
وَالوْصـــفُ بِـــالقَيُّوْمِ ذُوْ شـــأنٍ ... كَـذَا مَوْصُـوْفُهُ أَيْـضًا عظـيمُ الـشَّانِ

الحيُّ القيومُ

وَالحَــيُّ يَتْلُــوهُ فَأَوْصَــافُ الكَـما ... لِ هُمَــا لأُفْــقِ سَــمَائِها قُطبــانِ
فَالحَيُّ وَالقَيُّـومُ لَـنْ تَتَخَلَّـفَ الـ ... أوْصَــافُ أصَــلًا عَــنهُمَا بِبَيَــانِ

القابضُ الباسطُ الخافضُ الرافعُ

هُوَ قَابِضٌ هُوَ بَاسِطٌ هُوَ خَـافِضٌ ... هُـــوَ رَافِـــعٌ بِالعَـــدْلِ وَالمِيـــزَانِ

المعزُّ المذلُّ

وَهُـوَ المُعِـزُّ لِأَهْـلِ طَاعَتِـهِ وذا ... عِـــزٌّ حَقِيقِـــيٌّ بَــلَا بُطْــلَانِ
وَهُوَ المُـذِلُّ لِمَـنْ يَـشَاءُ بِذِلَـةِ الـدَّا ... رَيْـــنِ ذِلُّ شَـــقَا وَذِلُّ هَـــوانِ

المعطِي المانعُ

هُــوَ مَــانِعٌ مُعْــطٍ فَهَــذَا فَــضْلُهُ وَالمَنْــعُ عَــيْنُ العَــدْلِ لِلْمَنَّــانِ
يُعْطِـي بِرَحْمَتِـهِ وَيَمْنَـعُ مَـنْ يَـشَا ءُ بِحِكْمَــــةٍ وَاللهُ ذُو سُــــلْطَانِ

النورُ

وَالنُّــورُ مِــنَ أَسْــمَائِهِ أَيْــضًا وَمِــنَ أَوْصَــافِهِ سُــبْحَانَ ذِي البُرْهَــانِ
قَالَ ابنُ مَسْعُودٍ كَلَامًا قَـدْ حَكـا هُ الــدَّارِمِيُّ عَنْــهُ بِــلَا نُكْــرَانِ
مَــا عِنْــدَهُ لَيْــلٌ يَكُــونُ ولا نَهَــا رٌ قُلتُ تَحـتَ الفُلْـكِ يُوْجَـدُ ذَانِ
نُورُ الـسَّمَواتِ العُـلَى مِـنْ نُـورِهِ والأرْضِ كَيْفَ النَّجْمُ والقَمَـرانِ
مِنْ نُورِ وَجْهِ الـرَّبِّ جَـلَّ جَلَالُـهُ وَكَـذَا حَكَـاهُ الحَـافِظُ الطَـبْرَانِي
فِيهِ اسْتَنَارَ العَرْشُ والكُرسِيُّ مَـعْ سَـبْعِ الطِبَـاقِ وسَـائِرِ الأكْـوانِ
وكِتَابُــهُ نُــورٌ كَــذلِكَ شَرْعُــهُ نُــورٌ كَــذا المَبعــوثُ بِالفُرْقَــانِ
وَكَذلِكَ الإِيـمَانُ فِي قَلْـبِ الفَتَـى نُــورٌ عَــلَى نُــورٍ مَــعَ القُــرْآنِ
وَحِجَابُهُ نُورٌ فَلَـوْ كَـشَفَ الحِجَـا بَ لأحْـرَقَ الـسُبُحَاتُ للأَكْـوَانِ
وَإِذْا أَتَـى لِلْفَـصْلِ يُـشْرِقُ نُـورُهُ فِي الأرْضِ يَـوْمَ قِيَامَـةِ الأَبْـدَانِ
وَكَذَاكَ دَارُ الـرَّبِ جَنَـاتُ العُـلَى نُــورٌ تَــلَألأُ لَــيْسَ ذَا بُطْــلَانِ
وَالنُّورُ ذُو نَوعَيْنِ مَخْلُـوقٌ وَوَصْـ ــفٌ مَــا هُمَــا وَاللهِ مُتَّحِــدَانِ
وَكَذَلِكَ المَخْلُوقُ ذُو نَـوعَينِ مَحْـ ــسُوسٌ ومَعْقُــولٌ هُمَــا شَــيئَانِ
احْذَرْ تَزِلَّ فَتَحْـتَ رِجْلِـكَ هُـوَّةٌ كَمْ قَدْ هَوَى فِيهـا عَـلَى الأزْمَـانِ

مِـنْ عَابِـدٍ بِالجَهْـلِ زَلَّـتْ رِجْلُـهُ ... فَهَوَى إِلَى قَعْرِ الحَـضِيْضِ الـدَّانِي

لَاحَـتْ لَـهُ أَنْـوَارُ آثَـارِ العِبَـا ... دَةِ ظَنَّهَـا الأَنْـوَارَ لِلـرَّحْمَنِ

فَـأَتَى بِكُـلِّ مُـصِيبَةٍ وبَلِيَّـةٍ ... مَا شِئْتَ مِنْ شَطْحٍ ومِـنْ هَـذَيانِ

وَكَذَا الحُلُـولِيُّ الـذِي هُـوَ خَدْنُـهُ ... مِـنْ هَهُنَـا حَقًّـا هُمَـا أَخَـوَانِ

ويُقَابِلُ الرَجُلِين ذُو التَّعْطِيـل والـ ... ـحُجبِ الكَثيفَـةِ مَـا هُمَـا سِـيَّانِ

ذَا فِي كَثافَـةِ طَبْعِـهِ وظَلامِـهِ ... وبِظُلْمَـةِ التَّعْطِيـلِ هَـذَا الثَـانِي

والنُّـورُ مَحْجُـوبٌ فَـلَا هَـذَا وَلَا ... هَـذَا لَـهُ مِـنْ ظُلمَـةٍ يَرَيَـانِ[1]

* * *

(١) من النونية الكافية الشَّافية في الانتصار للفرقة النَّاجية لابن القيم.

٢- يا من له وجب الكمال بذاته[1]

ابن الفرس الخزرجي

يا مـن لـه وَجَـبَ الكـمالُ بذاتِـه فالكُـلُّ غايـةُ فـوزِهم لُقيـاهُ

أنـت الـذي لمـا تَعَـالى جَـدُّهُ قصُرَتْ خُطا الألبابِ دونَ حِماهُ

أنت الذي امتلأَ الوجودُ بحمـدِهِ لَمَّـا غـدا مَـلْآنَ مـن نُعـماهُ

أنت الذي خلقَ الوجـودَ بـأسرِهِ مـن بـينِ أَعْـلَاهُ إلى أَدْنَـاهُ

أنت الـذي خَصَّـصْتَنا بوجودِنـا أَنَـتَ الـذِي عَرَّفْتَنَـا معنَـاهُ

سُـبْحَانَ مَـن مـلأَ الوجـودَ أدلَّـةً ليلُـوحَ مـا أخفَـى بـها أَبْـدَاهُ

سُبحانَ مَـنْ أَحْيَـا قلـوبَ عبـادِهِ بلـوائحٍ مـن فَـيْضِ نـورِ هُـداهُ

هَـلْ بعـدَ معرفـةِ الإلَـهِ زيـادةٌ إلَّا اسـتدامةُ مـا يُـديمُ رِضَـاهُ

واللهِ لا آوي لغَـيْرِك إنَّـه حُـرِمَ الهُـدَى مَـنْ لم تكـنْ مـأْوَاه

مَوْلاي أُنسُكَ لم يَـدَعْ لي وَحْـشَةً إلَّا مَحَـا ظَلْماءَهـا بِـسَنَاهُ

مولاي جُـودُك لم يَـدَعْ لي مطلبًـا إلَّا وتَمَمَـه إلى أَقْـصَاهُ

لم يَنْقَطِـعْ أحـدٌ إليـكَ محجَّـةً إلَّا وأصـبحَ حامـدًا عُقبـاهُ

عَجَزَ الأنـامُ مِـن اِمتـداحِك إنَّـهُ تَتَـضَاءلُ الأفكـارُ دونَ مَـدَاهُ

مَنْ كَانْ يعرِفُ أَنَّك الحـقُّ الـذي بَهَـرَ العقـولَ فَحْـسبُهُ وكَفَـاهُ

---

(١) تسبيح ومناجاة وثناء (ص:٩٢-٩٣).

٣- أتيتك راجيًا يا ذَا الجَلال[1]

أبو إسحاق الألبيري

أتيتُــك راجيًــا يَــا ذا الجــلالِ ... ففرِّجْ ما تَرَى من سُــوءِ حَــالي

عَصَيْتُك سَيِّدِي ويْـلِي بجَهْـلي ... وَعَيبُ الـذنبِ لم يخطُـرْ ببـالي

إلى مــن يَـشْتكِي المملــوكُ إلَّا ... إلى مَــوْلَاهُ يــا مَــوْلَى المَــوَالي

لَعَمْــرِي ليــتَ أُمِّــي لَم تلِـدْني ... ولم أُغْـضِبْك في ظُلَــمِ اللَّيَــالي

فَهَا أنـا عبـدُك العَـاصي فقـيرٌ ... إلى رُحْمــاكَ فاقبــلْ لي سُــؤَالي

فــإنْ عاقَبْــتَ يــا ربِّي تُعَاقِــبْ ... مُحقًّــا بالعـــذابِ وبالنَّكَـــالِ

وإن تَعْفُــو فعفْــوك قــد أَرَاني ... لِأفعــــالي وأوزاري الثقـــالِ

* * *

---

(١) ديوان أبي إسحاق الألبيري (ص: ١١٠).

٤- إلهي وخالقي

لكَ الحمدُ يا ذا الجودِ والمجدِ والعُلا

تباركتَ تُعطِي من تَشَاءُ وتمنعُ

إِلهي وَخلَّاقي وحرزِي[١] وموئلي[٢]

إِليكَ لَدَى الإعْسَارِ واليُسْرِ أَفْزَعُ

إِلهي لِئِن جَلَّتْ وجَمَّتْ خَطِيئتي

فعفُوُك عَن ذنبي أَجَلُّ وأوسَعُ

إلهي لئن أعطَيْتَ نفسي سُؤَالها

فها أنا في أرضِ الندامةِ أَرْتعُ

إلهي تَرَى حالِي وفَقْرِي وفَاقَتِي

وَأنتَ مُناجَاتِي الخفيَّةَ تَسْمَعُ

إلهي فَلَا تَقْطَعْ رَجَائي ولا تُزِغْ

فُؤَادي فلي في سَيْبِ[٣] جودِك مَطْمَعُ

إلهي لئن خيَّبْتَنِي أو طَرَدْتَنِي

فَمَنْ ذا الذي أرجُو ومن لي يَشْفَعُ

---

(١) الحرز: ما يتقى به المهالك.

(٢) الموئل: الملجأ والملاذ.

(٣) سب: عطاء.

إلهـي أجِـرْني مـن عَـذَابِك إنَّنِـي
أَسـيرٌ ذليـلٌ خـائفٌ لـك أخـضَعُ
إلهـي فآنِـسْنِي بتلقـينِ حُجَّتِـي
إذا كان لي في القبرِ مَثْوَىً ومَـضْجَعُ
إلهـي لَـئِنْ عَـذَّبتَني ألـفَ حِجَّـةٍ
فحبـلُ رَجَـائِي مِنْـكَ لا يتقطَّـعُ
إلهـي أذِقْنِـي طَعْـمَ عَفْـوِك يـومَ لا
بنـونَ ولا مـالٌ هنالِـك ينفـعُ
إلهـي إذا لم تَرْعَنـي[1] كنـتُ ضـائعًا
وإن كنـتَ ترعَـاني فلـستُ أُضـيَّعُ
إلهـي إذا لم تَعْـفُ عـن غـيرِ محسنٍ
فمـن لُمـسيءٍ بـالهَوَىَ يَتَمَتَّـعُ
إلهـي لَـئِنْ فرَّطـتُ في طلـبِ التُّقَـى
فهـا أنـا إثـر العفـوِ أقفُـو وأَتْبَـعُ
إلهـي لَـئِن أخطـأتُ جهـلًا فَطَالمـا
رجوتُك حتـى قِيـلَ هَـا هُـو يجـزَعُ

---

(١) ترعني: تحفظني.

إلهي ذنوبي جَازَتِ الطودَ[1] واعتَلَتْ
وصفحُك عن ذَنْبي أَجَلُّ وأرفعُ

إلهي يُنحِّي ذِكْرُ طَوْلِك[2] لَوْعَتي
وذكرُ الخطايا العينُ منِّي تَدْمَعُ

إلهي أَنِلْني مِنْك رُوحًا ورحمةً
فلستُ سِوَى أبوابِ فَضْلِك أقْرَعُ

إلهي لَئِنْ أقصَيْتَني أو طَرَدتَني
فما حِيلَتي يا ربِّ أم كيفَ أَصْنَعُ؟

إلهي حليفُ الحبِّ بالليلِ ساهرٌ
يُنَادي ويدعُو والمغفَّلُ يهجَعُ

وكلُّهُم يرجُو نوالَكَ راجيًا
لرحمتِك العُظمَى وفي الخُلْدِ يَطْمَعُ

إلهي يُمَنِّيني رَجَائي سلامةً
وقبحُ خطيئَاتي عليَّ يُشيعُ

إلهي فانشُرْني على دينِ أحمدٍ
تقيًّا نقيًّا قانتًا لك أَخْشَعُ[3]

(١) الطود: الجبل.
(٢) طولك: فضلك وإحسانك.
(٣) ديوان علي بن أبي طالب (ص:٧٨-٨٠).

٥- هو اللّه[١]

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

لَكَ الحَمدُ والنَّعْمَاءُ والمُلكُ رَبَّنا ... ولا شَيءَ أعلَا مِنكَ مَجدًا وأمجَدُ

مَلِيكٌ على عَرشِ السَّماءِ مُهيمِنٌ ... لِعِزَّتِهِ تَعنُو الوُجُوهُ وَتَسجُدُ

فَسُبحانَ مَنْ لا يَقدُرُ الخلْقُ قَدرَهُ ... وَمَنْ هُوَ فَوقِ العَرشِ فَردٌ مُوحَّدُ

ومَنْ لَمْ تُنَازِعْهُ الخَلائِقُ مُلكَهُ ... وَإِن لَمْ تُفَرِّدهُ العِبَادُ فَمُفرَدُ

مَليكُ السَّمَاوَاتِ الشِّدَادِ وأرضِها ... وَلَيسَ بِشَيءٍ عَنْ قَضَاهُ تَأَوُّدُ

هُوَ اللهُ بَاري الخلقِ، وَالخَلقُ كُلُّهُم ... إِمَاءٌ لَهُ طَوعًا جَمِيعًا وأَعبُدُ

وأَنَّى يَكُونُ الخَلقُ كَالخَالِقِ الذِي ... يُميتُ ويُحيِي دَائبًا لَيسَ يَهمَدُ

تُسبِّحُهُ الطَّيرُ الجوانِحُ في الخَفَا ... وَإِذْ هِيَ في جَوِّ السَّماءِ تُصَعِّدُ

وَمِن خَوفِ رَبِّي سَبَّحَ الرَّعدُ فَوقَنَا ... وسَبَّحَهُ الأشجَارُ وَالوَحشُ أَبَّدُ

* * *

(١) رائق الزهرة: لأبي داود الأصبهاني (١ /١٤٦)، والشعر منسوب لأمية بن أبي الصلت.

٦- يا من يَرَى ما في الضمير ويسمعُ

السهلي

يا من يرَى ما في الضميرِ ويـسمعُ أنـتَ المعَـدُّ لكـلِّ مـا يُتوقَـعُ
يـا مَـن يُرجَّـى للـشدائدِ كلِّهـا يـا مَـنْ إليـه المُـشتكَى والمَفْـزَعُ
يا مَن خزائنُ مُلكِـهِ في قـولِ كُـنْ أُمـنُنْ فـإنَّ الخـيرَ عنـدَكَ أجمـعُ
ما لي سِوَى فَقْـرِي إليـكَ وسـيلةٌ فبالافتِقَـارِ إليـكَ فَقْـرِيَ أَدْفَـعُ
ما لي سِوَى قَرْعِـي لبابِـك حيلـةٌ فلـئِن رُددتُ فـأيَّ بـابٍ أقـرعُ
ومن الذي أدْعو وأهتفُ باسـمِهِ إن كانَ فضلُكَ عن فقيرٍ يُمنـعُ؟!
حاشَـا لمجـدِك أن تُقـنِّط عاصـيًا فالفَضْلُ أجزلُ والمواهبُ أوسـعُ[1]

* * *

(١) البداية والنهاية (١٢/ ٣٩٠).

٧- عفوك اللهم

الشافعي

حدَّثَ المزنيُّ قال: دخلتُ على الشافعيِّ في مرضِه الذي مات فيه فقلتُ: كيفَ أصبحتَ؟ قال: أصبحتُ من الدنيا راحلًا، وللإخوانِ مفارقًا، ولكأسِ المنيةِ شاربًا، وعلى اللهِ ـ جل ذكرُه ـ واردًا، ولا واللهِ ما أدري روحي تصيرُ إلى الجنةِ أم إلى النارِ؟ ثم بَكَى وأنشأَ يقولُ:

إليـك إلـهَ الخلـقِ أرفـعُ رَغْبَتِـي ... وإن كنتُ ياذا المنِّ والجودِ مجرِمًـا

ولما قَسَا قَلْبِي وضـاقتْ مـذَاهِبي ... جَعَلْتُ الرَّجا مِني لِعفُـوِكَ سُـلَّمًا

تعــاظَمَنِي ذَنْبِــي فلــمَّا قرنتُــهُ ... بعفـوِكَ ربِّي كَـانَ عفـوُكَ أعظَـمَا

فما زلتَ ذا عفوٍ عَنِ الذنبِ لم تَزَلْ ... تجُــودُ وتعفُــو مِنَّــةً وتكرُّمَــا

فلولاكَ لم يَـصْمُدْ لإبليـسَ عابـدٌ ... فكيفَ وَقْدَ أَغْوَى صَـفِيَّكَ آدمَـا

فيا ليت شِعْري هـل أصـيرُ لجنَّـةٍ ... أُهَنّــا وإمَّــا للــسعيرِ فأنْــدَما

فَلِلــهِ درُّ العــارفِ النــذْبِ إنَّــهُ ... تفيضُ لفرطِ الوَجْدِ أجفانُـهُ دمَـا

يُقـيمُ إذا مـا الليـلُ مـدَّ ظلامَـهُ ... على نفسهِ من شِدَّةِ الخَـوْفِ مأتمَـا

فصيحًا إذا مـا كـان في ذِكْـرِ ربِّـهِ ... وفي ما سِوَاهُ في الوَرَى كان أَعْجَمَا

ويذكُرُ أيامًـا مـضَتْ مـن شَـبَابِهِ ... ومـا كـان فيهـا بالجهَالـةِ أجْرَمـا

فـصارَ قـرينَ الهـمِّ طـولَ نهـارِهِ ... أخا السُّهدِ[1] والنجوى إذا الليـلُ أظلَـمَا

---

(١) السهد: قلة النوم.

يقولُ حبيبي أنتَ سُؤلي وبُغيتي ... كَفَى بك للراجينَ سؤلًا ومَغْنَما
عَسَى من لَهُ الإحسانُ يغفرُ زلَّتي ... ويسترُ أَوْزَارِي ومَا قَدْ تَقَدَّما
تعاظَمَني ذَنْبِي فأقبلتُ خاشِعًا ... ولولا الرِّضَا ما كنتَ يا ربِّ مُنعما
فإن تعفُ عني تَعْفُ عن مُتَمَرِّدٍ ... ظلُومٍ غَشُومٍ لا يزايلُ مأثما
وإن تَستقِدْ مني فلستُ بآيسٍ ... ولو أدخلوا نفسي بُجرمٍ جهنَّما
فجرُمي عظيمٌ من قديم وحادثٍ ... وعفوُك يأتي العبدَ أَعْلَى وأَجْسَمَا
حَوَاليَّ فضلُ اللهِ من كلِّ جانبٍ ... ونورٌ من الرحمنِ يفترشُ السَّمَا
وفي القَلْبِ إشراقُ المحبِّ بوصْلهِ ... إذا قاربَ البُشْرى وجازَ إلى الحِمَى
حواليَّ إيناسٌ من اللهِ وحدَهُ ... يطالِعُني في ظلمةِ القبرِ أنجُما
أصونُ وِدَادِي أن يُدَنِّسَه الهَوَى ... وأحفظُ عهدَ الحبِّ أن يَتَثَلَّمَا
ففي يَقْظَتِي شوقٌ وفي غَفْوَتي مُنًى ... تلاحِقُ خَطْوِي نشوةً وترنُّما
ومن يَعْتَصِمْ باللهِ يسْلَمْ من الوَرَى ... ومن يرجُه هيهاتَ أن يتندَّما[1]

* * *

(١) ديوان الشافعي (ص: ١١٤-١١٥).

٨- لك الحمدُ

لكَ الحمدُ حَمـدًا نـستلذُّ بـهِ ذكـرا
وإن كنتُ لا أُحصي ثناءً ولا شكرا
لكَ الحمدُ حَمدًا طيبًـا يَمْـلَأُ الـسَّما
وأقطارَها والأرضَ والبَرَّ والبحرا
لكَ الحمدُ حمـدًا سرمَـديًّا مُباركًـا
يَقِلُّ مِدادُ البحْرِ عن كُنهِـهِ حَـصْرا
لكَ الحمدُ تَعظـيمًا لوجهِـكَ قـائِمًا
بحقِّكَ في السَّرَّاء مِنـي وفي الـضرَّا
لكَ الحمدُ مقرُونًـا بـشكرِكَ دائـمًا
لكَ الحمدُ في الأولى لكَ الحمدُ في الأُخرى
لكَ الحمدُ حمـدًا طيبًـا أنـت أهلـهُ
على كلِّ حالٍ يَشْمَلُ السِرَّ والجهْرا
لـكَ الحمـدُ موصُـولًا بغـيرِ نِهايـةٍ
وأنت إلهي مـا أحـقَّ ومـا أحْـرَى
لكَ الحمدُ يا ذا الكبرياءِ ومن يكُن
بحَمدِكَ ذا شُكرٍ فقد أحْرَزَ الشُّكْرا

لــكَ الحمــدُ حمــدًا لا يُعُــدُّ لحــاصرٍ
أيُحْصِي الحَصَى والنَّبتَ والرَّملَ والقَطْرا

لكَ الحمدُ أضعافًا مُـضاعفةً عـلى
لطائفِ ما أحـلى لـدَينا ومـا أَمْـرا

لكَ الحمدُ ما أَوْلاكَ بالحمدِ والثَّنـا
عــلى نِعَــمٍ أتبَعتَهــا نِعــمًا تَــتْرى

لكَ الحمدُ حمـدًا أنـتَ وفَّقتَنِـي لـهُ
وعلَّمْتَنِي من حَمدِكَ النَّظمَ والنَّثـرا

لــكَ الحمــدُ حمــدًا نبتَغِيــهِ وسِــيلَةً
إليكَ لتجدِيدِ اللَّطائفِ والبُـشرى

لكَ الحمدُ كم قلَّدتَنا مـن صـنيعةٍ
وأبْدَلْتَنَا بالعُـسْرِ يـا سـيدي يُـسرا

لكَ الحمدُ كم من عثرةٍ قد أَقَلْتَنــي
ومــن زلَّــةٍ ألبــستَنا مَعَهــا سِــترا

لكَ الحمدُ كم خصَّصْتَنِي ورفعتَنـي
على نُظرائي من بَنـي زمَنـي قَـدْرا

لكَ الحمدُ حمدًا فيه وردِي ومَشْرَعي
إذا خابتِ الآمالُ في الـسَّنةِ الغَـبْرا

لكَ الحمدُ حمدًا ينسخُ الفقرَ بالغِنَى
إذا خِفتُ يا مَوْلايَ بعدَ الغِنى فَقْرا
إلهــي تغَمَّــدني برحمَتِــكَ التــي
وسِعَت وأوسَعتَ البَرَايـا بِهـا بِـرّا
وقوِّ بِـرُوحٍ منـك ضَـعْفِي وهِمَّتـي
على الحقِّ واغْفِرْ زلَّتي واقبلِ العُذرا
فـإني مـن تَـدْبيرِ حـالي وحِيلَتـي
إليك ومن حَولي ومـن قـوَّتي أَبْـرَا

* * *

٩- مع اللّه

عمر بهاء الأميري

مَــــعَ اللهِ في سُــــبُحَاتِ الفِكَـــر مَـــــعَ اللهِ في لمحَـــاتِ البَــــصَرْ
مَــــعَ اللهِ في زَفَـــراتِ الحَـــشَا مَــــعَ اللهِ في نَبَــضاتِ البَهَــــرْ[1]
مَــــعَ اللهِ في رَعَــشاتِ الهَــوَى مَــــعَ اللهِ في الخَلجــاتِ الأُخَــرْ
مَــــعَ اللهِ في مُطْمَــئنِّ الكَــرَى[2] مَــــعَ اللهِ عنــدَ امتــدَادِ الــسَّهَر
مَــــعَ اللهِ آنَ اجــتلاءِ الــسَّنا[3] ونَيــلِ المُنــى والهَنــاءِ الأغَــرّ
مَــــعَ اللهِ حــالَ اتِّقــادِ الأسَــى ووَقــعِ الأذَى واحتِــدَامِ الخَطَــر
مَـعَ اللهِ في حَمْـلِ عِـبءِ الـضَّنَى مَــعَ اللهِ بالــصَّبر فــيمَن صَــبَرَ
مَــــعَ اللهِ والقَلــبُ في نَــشْوةٍ مَعَ اللهِ والــنَّفسُ تَشكو الـضَّجَر
مَـعَ اللهِ في كُـلِّ بُؤسَـى ونُعمَـى مَــــعَ اللهِ في كُـــلِّ خـــيرٍ وشَر
مَــــعَ اللهِ فِي أَمــسِيَ المُنْقَــضِي مَــــعَ اللهِ فِي غَـــدِيَ المُنْتَظَــــرْ
مَــــعَ اللهِ فِي عُنْفُــوَانِ الــصِّبَا مَـعَ اللهِ فِي الـضَّعْفِ عِنْـدَ الكِـبَرْ
مَــــعَ اللهِ قَبْــلَ حَيَــاتِي وَفِيهَــا وَمَا بَعْـدَهَا، عِنْـدَ سُـكْنَى الحُفَـرْ
مَــــعَ اللهِ في فَْيءِ[4] فِرْدَوْسِــــهِ مَــــعَ اللهِ فِي عَوذِنَــا مِــنْ سَــقَرْ

---

(١) البهر: ما يعتري الإنسان عند السعي الشديد والعدو من النهج وتتابع النفس.
(٢) الكرى: النوم.
(٣) السنا: الضوء.
(٤)فيء: هو الظل.

مَــعَ اللهِ فِي نَبْــذِ مَــا قَــدْ نَهَــى ... مَــعَ اللهِ بِالــسَّمْعِ فِــيمَا أَمَــرْ

مَــعِ اللهِ فِي الجِــدِّ مِــنْ أَمْرِنَــا ... مَــعَ اللهِ فِي جَلَــسَاتِ الــسَّمَرْ

مَــعَ اللهِ فِي خَلَــوَاتِ اللَّيَــالِي ... مَــعَ اللهِ فِي الــرَّهْطِ وَالمُــؤتَمَر

مَــعَ اللهِ فِي حُــبِّ أَهْــلِ التُّقَــى ... مَــعَ اللهِ فِي كُــرْهِ مَــنْ قَــدْ فَجَــرْ

مَــعَ اللهِ فِي مُــدْلَهِمِّ[1] الــدُّجَى ... مَــعَ اللهِ عِنْــدَ انــبِلَاجِ الــسَّحَرْ

مَــعَ اللهِ فِي لَألآتِ النُّجُــومِ ... وَحَبْكِ[2] الغُيُــومِ وَضَــوْءِ القَمَــرْ

مَعَ اللهِ وَالــشَّمْسُ تَكْــسُو الــدُّنَى ... مَــعَ اللهِ وَالــشُّهْبِ كَــرٌّ وَفَــرْ

مَــعَ اللهِ عِنْــدَ هَــزِيمِ الرُّعُــودِ ... وَلمــعِ الــبُرُوقِ وَدَفْــقِ المَطَــرْ

مَــعَ اللهِ فِي الفَلَــكِ المُــستَطِيرِ ... وَفِي الــشَّمسِ تَجْــرِي إِلَى مُــسْتَقَر

مَــعَ اللهِ فِي الأَرْضِ فِي سَــهْلِهَا ... وَأَودَائِهَــا وَالــرَّوَاسِي الكُــبَرْ

مَــعَ اللهِ فِي البَحْــرِ مِلْــحٌ أُجَــاجٌ ... مَــعَ اللهِ فِي سَلــسَبِيلِ النَّهَــرْ

مَــعَ اللهِ فِي نَأَمَــاتِ[3] الوُجُــودِ ... مَــعَ اللهِ فِي كُــلِّ مَــا قَــدْ فَطَــرْ

مَــعَ اللهِ فِي سَــكَنَاتِ الحَيَــاةِ ... مَــعَ اللهِ فِي حَرَكَــاتِ الحَجَــرْ

مَــعَ اللهِ فِي نَــسَمَاتِ الرِّيَــاحِ ... اللَّــوَاقِحِ تَخطُــرُ بَــيْنَ الــشَّجَرْ

مَــعَ اللهِ فِي نَفَحَــاتِ الــشَّذَا ... مَــعَ اللهِ مِــلءَ ثُغُــورِ الزَّهَــرْ

---

(١) مدلهم: شديد الظلمة.

(٢) حبك الغيوم: طرائقها.

(٣) تأمات الوجود: أحواله الخفية.

مَـعَ اللهِ فِي الحَقْـلِ حُلْـوِ الجَنَـى مَـعَ اللهِ فِي الـرَّوضِ دَانِي الثَّمَـرْ

مَعَ اللهِ سَـامِعِ صَـوْتِ الـدَّبِيبِ مِـنَ النَّمْـلِ أَنَّـى وَأَيَّـانَ مَـرْ

مَعَ اللهِ وَالنَّحْـلُ يَحْسُو الرَّحِيـقَ وَيَحْمِـي جَنَـاهُ بَـوخْزِ الإِبَـرْ

مَـعَ اللهِ فِي رَفرَفَـاتِ الفَـرَاشِ تَلَامَـعُ فِي الـشَّمْسِ مِثْـلَ الـدُّرَرْ

مَـعِ اللهِ وَالطَّـيْرُ تَغْـدُو خِمَاصًـا وَتَـنْعَمُ بِـالرِّزْقِ مُنـذُ البُكَـرْ

مَـعَ اللهِ فِي سَـيْرِ وَحـشِ الفَـلَاةِ بِهَـدِي الغَرائِـزِ تَقـضِي الـوَطَرْ

مَـعَ اللهِ يَـنْفُخُ مِـنْ رُوحِـهِ عَـلَى حَمَـأٍ فَيَكُـونُ البَـشَرْ

مَـعَ اللهِ مَـا اخْتَلجَـتْ نُطْفَـةٌ بِـرُوحِ خَفِـيٍّ وَمَـا دَرَّ دَرْ

مَـعَ اللهِ فِـيمَا سَـيَذْرَأُ مِـنْ نُفُـوسٍ و فـيما مَـضَى وَانـدَثَرْ

مَـعَ اللهِ مَـا اخْتَلفَـتْ فِي الأَنَـامِ طَبَـائِعُ أُنثَـاهُمُ و الـذَّكَرْ

مَـعَ اللهِ مَـا افتَرَقَـتْ فِي الـوَرَى لُغَـاهُمْ وَألـوَانُهُمْ وَالـصُّوَرْ

مَـعَ اللهِ نَـوَّعَ أَشـكَالُهُم وَخَـصَّ أَنَـامِلَهُم بِـالأَثَرْ

مَـعَ اللهِ مَيَّـزَ أَذوَاقَهُـمْ فَكُـلٌّ لَـهُ فِي هَـواهُ نَظَـرْ

مَـعَ اللهِ فِي سَـبْرِ كُنْـهِ الوُجُـودِ وَرُوحِ الحَيَـاةِ وَسِرِّ القَـدَرْ

مَـعَ اللهِ فِي عَـالَمِ المُـدْرَكَاتِ وَفِي الغَيْـبِ مِـنْ كَائِنَـاتٍ أُخَـرْ

مَـعَ اللهِ فِـيمَا بَـدَا وَانْتَـشر مَـعِ اللهِ فِـيمَا انْطَـوَى وَاسْـتَتَرْ

مَـعَ اللهِ وَفْـقَ نَوَامِيـسِهِ مَـعِ اللهِ رَهْـنَ القَـضَا وَالقَـدَر

مَـــعَ اللهِ فِي بَعْثِــهِ المُرْسَــلِينَ هُـــدَاةً دُعَـــاةً إِلَى مَـــا أَمَـــرْ

مَـــعَ اللهِ فِي وَحْـــيِ قُرآنِـــهِ مَـــعَ اللهِ فِي آيِـــهِ وَالـــسُّوَرْ

مَـعَ اللهِ فِي قَـــصَصِ الأوَلِـــين وَفِي قَـــصَص الأوَلِـــينَ العِـــبَرْ

مَـعَ اللهِ طَوعًـا مَـعَ اللهِ سَـوقًا فَـــمَا مِـــنْ مَـــلَاذٍ وَلَا مِـــنْ وَزَرْ

مَـعَ اللهِ وَالفَـيْضُ مِـنْ قُدْسِـهِ يُنِــــيرُ بَـــصِيرَتَنَا وَالبَـــصَرْ

وَيَـــدفَعُ أَعْــــمَاقَ إِيمَانِنَــــا فِـــرَارًا إِلَيـــه ونعـــمَ المفـــرّ

* * *

١٠- لك الأمر وحدك

للشاعر محمد العلائي

لك الأمرُ لا يدري عبـادُك مـا بِيَـا
لـك الأمـرُ لا للنَّاصِـحينَ ولا لِيَـا
وهذي مَعَاذِيري وتلكَ صَـحَائفٌ
عليها خَطَايـاي.. وفيهـا اعترافِيَـا
وفيها من الأمسِ الدفينِ وحاضِري
وفيهـا مـن الآتي وفيهـا ابتِهَاليـا
وفيهـا تهاويـلٌ .. ومهجـةُ شـاعرٍ
ينـامُ بهـا يأسًـا ويـصْحُو أَمَانيـا
وفيهـا أعاجيـبٌ يكفِّـرُ همُّهـا
ذنوبي وإن كانتْ جِبَـالًا رواسِـيا!
ونـازعني شـوقٌ إليـك وهَـزَّني
من الغيـبِ مـا يهفُـو إليـه رَجَائيـا
فجئتُ مـن الـدنيا الأثيمـةِ هاربًـا
بـصَفْويَ مـن أكْـدَارِها ونَقَائِيَـا
وناديـتُ أحلَامـي إليـكَ وخَافقًـا
تهيَّـب أسـبابَ المُنَـى والتمادِيـا!

أناديك في ضَعفٍ وأخجلُ أن ترَى
جـــراحَ أمانيـــه ولـــونَ دِمَائيـــا
لك الأمرُ أشـواقي ببابِـك والمنَـى
ولي أمـــلٌ ألَّا يطـــولَ انتظارِيَـــا
لك الأمرُ مـا لي أرتجيـك فيَلْتَـوِي
لـساني وأمـضِي بالتوسُّـلِ شَـاكِيا
ذكرتُـك في نفـسٍ هَـدَاها ضـلالُها
إليـك وعافـتْ وِحْـدَتي وارتِيَابِيـا
ومنَّيتُ رُوحي من سَـنَاك بلمْحَـةٍ
أُضـــمِّدُ آلامـــي بهـــا وجِرَاحِيـــا
تعاليـتَ لم أذكُـرْ سـواك بمِحْنَتِـي
ولم أرجُ إلا مِـــنْ يـــدَيْك جَزَائِيـــا
وفوَّضتُ عـن عِلْـمٍ إليـك إرَادتي
وَحَـسْبي مـا أدَّى إليـه اخْتِيَاريـا
لك الأمرُ شَاقْتنِي سماؤُك وانتَهـى
إليـك بـأحلامِ الـضَّميرِ مَطَافِيـا
وأنزلـــتُ آمـــالي وفيهـــا ملامِـــحٌ
تَــردُّ أمَــامي مــا تركــتُ وَرَائِيــا!

يُطَـالِعُنِي منهـا زمـانٌ عرفتُـهُ
بـريحِ ليالِيـه ولـونِ سُـهَادِيا!!

ضياؤُك أغْرَى بـاليقينِ جَـوَارِحي
وفَجَّـرَ أَعْمَاقـي وأفـضى بِـذَاتِيا

لك الأمرُ أسبابٌ ضعافٌ وخَاطري
ببابِك يخْشَى رَجْعَتِـي وانْحِرَافيـا

دعوتُـك مِـلءَ الـنفسِ ألا تـردَّه
مغيظًـا وألَّا تـستعيدَ سُـؤَالِيا

وحاشَاك أن ترضَى مع النفسِ مذهَبًا
بغـيرِ يقـينٍ منـك يهـدِي شُـعَاعِيا

لك الأمرُ هـذا مـن يـديك عدالـةٌ
وهـذا قليـلٌ في مقـامِ اتِّـصَالِيا

أتيتُـك والحـقُّ الـصريحُ يمُـدُّني
إليـك ولحـنُ البـشرِ مـلءُ فؤاديـا

وفي النفسِ فجْرٌ من يقينٍ ومَوْكِبٌ
مـن الخـيرِ يحـدُوهُ إليـك وَلَائِيـا

وفيها رجـاءٌ فـاضَ منـك جلالُـه
وآفـاقُ نـورٍ يَـسْتَحِيها ضِـيَائيا

وأحببتُ حتى أَسْكَرَتْنِي مَوَدَّتِي
وذابَ يميني رحمةً وشِمَالِيا

وهامَتْ بآلامِ الحياةِ وسَائِلِي
وفاضَتْ على ما ليسَ مني هِبَاتِيا

وأرسلتُ أنسَامي عبيرًا وبهجةً
لتنفحَ أشواكَ الرُّبى والأفَاعِيا

وآمنتُ حتى كادَ يذهبُ خَاطِري
وتصعَدُ أنفاسًا إليك حَيَاتِيا!

ولم يبقَ حرفٌ منك إلا أسرَّهُ
ضَمِيري وأبدتْه إليك سَمَائيا!!

لك الأمرُ آفاقٌ تَرَاءَتْ لخَوَاطِري
وعاوَدَني منها دبيبُ شِكَاتيا!

وذكرني بِشْرُ المساءِ منازلًا
أتيتُك منها عابسَ الوجهِ دامِيَا

أقلِّبُ أَوْهَامي يمينًا ويُسْرَةً
وأرفعُ آمالًا إليك رَوَانِيا!!

ينازِعُني ماضٍ شَرِقْتُ بعَذْبِهِ
وراودتُ فيه ما أشابَ النَّواصِيَا

إذا طافَ منه حـولَ نفـسِي طـائفٌ
ذكـرتُ زمـاني والـسنينَ الخَوَاليـا
هنـاك وفي أرضٍ عليهـا مَلَاعِبِـي
وأطيـافُ آبـائي ولغـوُ دِيارِيـا
وفيهـا تَعِـلَّاتي ورَاحُ مَـشَارِبي
وزلاتُ أَهْـوَائِي ودمـعُ مَتَابِيـا
وأحْلَامِي الموتَى وذاتُ مـواجِعي
وأطـلالُ مأْسـاتِي ورجـعُ بَلَائِيـا
لـك الأمـرُ ألهـاني حـديثٌ أعـادَهُ
عليك ضَمِيري واستحَاه لِسَانِيا!
وأسرفتُ في ذكـرِ المساءِ ولم أكُـنْ
لأُسرفَ لولا رجفـةٌ مـن صَبَاحِيا
لك الأمرُ نادتْ بالرحيلِ خَوَاطري
وهبَّتْ على نَفْـسِي ريـاحُ اغْتِرَابِيـا
وذكَّرتُهـا أنَّ الـشعابَ جديـدةٌ
وأن عليهـا مـن سَـنَاك هَوَادِيـا!
وأنَّ شعابَ الأمسِ واجهتُ غَيَّهـا
على غيرِ إيـمانٍ فكانـت مَهَاوِيـا!!

لك الأمـرُ مـالي في وداعِـك باهتًـا

ومالِي أَخْطُو شاحبَ الـنفسِ نَائِيـا

لك الأمرُ لاحَتْ من بعيدٍ مَذَاهِبِي

وآذنَ حاديهـــا وآنَ ارتحَالِيـــا!!

ورَفَّــتْ عليهــا مــن سَــنَاكَ مــآثرٌ

ورَفَّــتْ عليهــا غَــايَتِي وَصَــلاتِيَا

تنسّمتُ أمواجَ الرحيلِ وأشرفَـتْ

عَــلَيَّ أمانِيــه فبــارِكْ شِرَاعيــا[1]

* * *

(١) الله أهل الثناء والمجد (ص:١٦٦-١٧١).

١١- وإياكَ لا تَجْعَلْ مع اللّهِ غَيْرَه

زيد بن عمرو بن نفيل

إِلَى اللهِ أُهْـدِي مِـدْحَتي وثَنَائِيـا ... وَقَولًا رَضِيًّا لَا يَنِي الـدَّهرَ بَاقِيَـا

إِلَى المَلِكِ الأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ ... إِلَـهٌ وَلَا رَبٌّ يَكُـونُ مُـدَانِيَا

أَلَا أَيُّهَـا الإِنْـسَانُ إِيَّـاكَ وَالـرَّدَى ... فَإِنَّـكَ لَا تُخْفِـي مِـنَ اللهِ خَافِيَـا

وَإِيَـاكَ لَا تَجْعَـلْ مَـعَ اللهِ غَـيْرَهُ ... فَإِنَّ سَبِيلَ الرَّشْـدِ أَصْبَحَ بَادِيَـا

حَنَانَيْكَ إِنَّ الجِنَّ كَانَتْ رجَاءَهُم ... وَأَنْـتَ إِلَهِـي رَبُّنَـا وَرَجَائِيَـا

رَضِيْتُ بِكَ اللَّهُمَّ رَبًّـا فَلَـنْ أُرَى ... أَدِيـنُ إِلَهًـا غَـيْرَكَ اللهُ ثَانِيَـا

وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلِ مَنٍّ وَرَحْمَـةٍ ... بَعَثْتَ إِلَى مُوسَى رَسُـولًا مُنَادِيَـا

فَقُلْتَ لَهُ اذْهَبْ وَهَارُونَ فَـادعُوَا ... إِلَى اللهِ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَـانَ طَاغِيَـا

وَقُـولَا لَـهُ آأَنْـتَ سَـوَّيتَ هَـذِهِ ... بِلَا وَتَدٍ حَتَى اطْمَأَنَّـتْ كَـمَا هِيَـا

وَقُـولَا لَـهُ آأَنـتَ رَفَّعْـتَ هَـذِهِ ... بِـلَا عَمَـدٍ أرفِـقْ إِذًا بِـكَ بَانِيَـا

وَقُولَا لَهُ آأَنْـتَ سَـوَّيْتَ وَسْـطَهَا ... مُنِـيرًا إِذَا مَـا جَنَّـهُ اللَّيـلُ هَادِيَـا

وَقُولَا لَهُ مَنْ يُرْسِلُ الـشَّمْسَ غَـدْوَةً ... فَيُصْبِحُ مَا مَسَّتْ مِـنَ الأَرْضِ ضَـاحِيَا

وَقُولَا لَهُ مَنْ يُنْبِتُ الحَبَّ فِي الثَّرَى ... فَيُـصْبِحُ مِنْـهُ البَقْـلُ يَهْتَـزُّ رَابِيَـا

وَيُخْـرِجُ مِنْـهُ حَبَّـهُ فِي رُؤسِـهِ ... وَفِي ذَاكَ آيَـاتٌ لِمَـنْ كَـانَ وَاعِيَـا

وَأَنْتَ بِفَضْلٍ مِنْكَ نَجَّيْتَ يُونُـسا ... وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَافِ حُوتٍ لَيَالِيَا

وَإِنِي لَـوْ سَـبَّحْتُ بِاسْـمِكَ رَبَّنَـا ... لَأُكْثِـرُ إِلَّا مَـا غَفَـرْتَ خَطَايَـا

فَـرَبَّ العِبَـادِ أَلْـقِ سَـيْبًا وَرَحْمَـةً ... عَـلَيَّ وَبَـارِك في بَنِـيَّ وَمَالِيَـا[1]

* * *

١٢- أسلمت وجهي إليك

زيد بن عمرو بن نفيل

وَأَسْلَمتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمتْ ... لَهُ الأرضُ تَحْمِلُ صَخرًا ثِقَـالا

دَحَاهَـا فَلَـمَّا رآهـا اسـتَوَتْ ... عَلَى المَاءِ أَرسى عليهـا الجِبـالا

وَأَسْلمتُ وَجهِي لَمَنْ أسلمتْ ... لـهُ المُـزنُ تَحْمِـل عَـذْبًا زُلَالًا

إذا هِـــي سِـــيقَتْ إلى بَلـــدةٍ ... أَطَاعَتْ فَصَبَّتْ عليها سِجالا[2]

* * *

(١) الروض الأنف (١/ ٣٨٦).

(٢) الروض الأنف (١/ ٣٨٩).

١٣- قريح القلب

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قريحُ القلبِ من وجَعِ الـذنوبِ ... نحيـلُ الجِـسْمِ يـشهَقُ بالنحيـبِ

أضرَّ بجـــسمِهِ سَـــهَرُ الليـــالي ... فـصارَ الجِـسْمُ منـه كالقـضيبِ

وغـــيَّرَ لونَـــهُ خـــوفٌ شـــديدٌ ... لِمـا يلقـاهُ مـن طـولِ الكُـروبِ

ينـــادي بالتـــضرُّعِ يـــا آلهـــي ... أَقِلنـــي عَثْـــرتي واسْـــتُرْ عُيـــوبي

فزِعـــتُ إلى الخلائِـــقِ مـــستغيثًا ... فلـم أَرَ في الخلائـقِ مـن مُجيـبِ

وأنـتَ تُجيـبُ مـن يـدعُوكَ ربِّي ... وتكـشِفُ ضُرَّ عبـدِكَ يـا حبيبـي

ودائـــي بـــاطنٌ ولَـــديْك طِـــبٌّ ... فمن لي مثـلُ طِبِّـك يـا طَبيبـي[1]

* * *

(١) ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ص:٤٣).

١٤- إلهي وسيدي

رضيّ الدين الغزي

إِلَهِـــي سَـــيِّدِي رَبِي أَغِثنِـــي ... وَخُذْ بِيَدِي وَمِنْ بُعدِي أَجِرنِي

إِلَهِـي قَـدْ جَنَيْـتُ وَأَيُّ عَبـدٍ ... ضَعيفِ الخَلقِ مِثلِي لَيْسَ يَجْنِي

إِلَهِـي لَـيْسَ أَجْـدَرُ بِالخَطَايَـا ... وَبِالتَّقْـصِيرِ والـزَّلَّاتِ مِنِّـي

إِلَهِـي لَـو أَتَيْـتُ بِكُـلِّ ذَنْـبٍ ... فَـلَا أَوْلَى بَعَفـوٍ مِنْـكَ عَنِّـي

إِلَهِـي أَنْـتَ ذُو صَـفْحٍ جَمِيـلٍ ... وَجُـودٍ وَاسِـعٍ وعَظِـيمِ مَـنِّ

إِلَهِي مَـا عَـصَيتُ بِغـيْرِ عِلْـمٍ ... وَلَا أَبَـدًا أَطَعـتُ بِغَـيرِ إِذنِ

إِلَهِي إِنْ أَطِعْ فَـبِمَحضِ فَـضْلٍ ... وَإِنْ أَعصِ فَمِنْ نَقْصٍ وَوَهـنِ

إِلَهِـــي مَـــا لِعَبـــدٍ حُجَّـــةٌ فِي ... تحَمُّلِـــهِ الجِنَايـــةَ والتَّجَنِّـــي

إِلَهِـي إِنَّ حُجَّتَـكَ الَّتِـي قَـدْ ... عَـلَا بُرهَانُهَـا مِـنْ غَـيْرِ طَعْـنِ

إِلَهِـي لَيْتَنِـي لَـوْ كُنـتُ عَبـدًا ... بِلَا خَطَإٍ وَهَلْ يُجْدِي التَّمَنِّـي

إِلَهِـــي ليْتَنِـــي لَا كُنْـــتُ إِذْ لَمْ ... أُطِعْـكَ وَلَيْـتَ أُمِّي لم تَلِـدْنِي

إِلَهِـــي إِنَّ خَـــوفِي زَادَ لَـــولَا ... رَجَائِي مُتُّ مِـنْ هَـمٍّ وَحُـزْنِي

إِلَهِي مَـنْ يُنَـاقَشْ فِي حِسَـابٍ ... يُعَـذَّبْ مِنْـهُ يَـا رَبِّي أَقِلنِـي

إِلَهِـــي أنـــتَ قَهَّـــارٌ حَلـــيمٌ ... بِحَقٍّ مِنْكَ يَـا ذُخـرِي أَعِـذنِي

إِلَهِـــي لَـــيْسَ إِلَّا أنـــتَ رَبِّي ... فَـلَا أَبَـدًا بِغَـيرِكَ تَمتَحِنِّـي

إِلَهِـي إِنْ أَسَـأْتُ بِغَـيرِ عِلـمٍ ... فَإِنِّي فِيكَ قَـدْ أَحسَنْتُ ظَنِّـي

إِلَهِي أَنْتَ قَدْ حَقَّقْتَ فقْرِي ... إِلَيْكَ وَلَيْسَ شَيءٌ عَنْكَ يُغنِي
إِلَهِي إِنَّنِي أَخشَى وَأَرجُو ... أَمَانًا مِنْكَ فَامْنُنْ لِي بِأَمْنِ
إِلَهِي غَيرُ بَابِكَ فِي أُمورِي ... إِذَا مَا ضِقْتُ ذَرعًا لم يَسَعنِي
إِلَهِي قَدْ رَجَعْتُ إليكَ عَمَّا ... سواكَ فلا إلى غيرِك تَكِلْنِي
إِلَهِي مِثْل ما أحْسَنْتَ بدءًا ... ففي العُقبى بِحَقِّك لا تسُؤني
إِلَهِي من يُعينُ على وصُولي ... إلى مَا تَرْتَضِي إن لم تُعِنّي
إِلَهِي مَنْ سِوَاكَ يُزِيلُ هَمِّي ... وَمَنْ أَدعُوهُ مُضطَرًّا يُجِبنِي
إِلَهِي لَستُ أُحصِي مَا بِهِ قَدْ ... مُنِحتُ مِنَ العَطَاءِ بِلَا تَعَنِّي (١)

* * *

١٥ - أفرُّ إليك منك

أبو نواس

أيا مَنْ لَيسَ لي مِنْهُ مُجِيرُ ... بِعَفْوِكَ مِنْ عَذَابِكَ أَستَجِيرُ
أنا العَبدُ المُقِرُّ بِكُلِّ ذَنبٍ ... وأنتَ السَّيِّدُ المولَى الغَفُورُ
فَإِنْ عَذَّبْتَنِي فَبِسُوءِ فِعلِي ... وإِنْ تَغْفِرْ فَأنتَ بِهِ جَدِيرُ
أَفرُّ إليكَ مِنْكَ وأَيْنَ إِلَّا ... يَفِرُّ إِليكَ مِنْكَ المُستَجِيرُ (٢)

---

(١) الكواكب السائرة (١/ ١٥) ط. المكتبة الشاملة الإلكترونية.
(٢) ديوان أبي نواس (١/ ٦٨).

١٦- تبارك ذو الجلال وذو المحال

يحيى بن معاذ

تبارَكَ ذُو الجلالِ وذو المحَالِ ... عَزيزُ الشَّأْنِ مَحْمُودُ الفِعَالِ

سُروري بالسُّؤالِ لكي أراهُ ... فكيف أُسَرُّ منه بالنوَالِ

فيا ذَا العِزِّ! يا ذا الجُودِ! جُدْ لِي ... وغيِّرْ مَا تَرَى من سُوءِ حالِي(١)

* * *

١٧- ولكنني في رحمةِ اللّهِ أطمعُ

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

ذُنوبيَ إنْ فَكَّرتُ فيها كثيرةٌ ... ورحمةُ ربِّي مِنْ ذُنوبيَ أَوْسَعُ

فما طمَعي في صالحٍ قد عملتُهُ ... ولكنَّني في رحمةِ اللهِ أطْمَعُ(٢)

* * *

(١) الحلية (١٠/ ٦٣).
(٢) ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ص:٧٧).

١٨ - إلهى أنت للإحسان أهلٌ

إلهــي أنــتَ للإحــسانِ أهــلٌ ... ومنك الجودُ والفضلُ الجزيـلُ
إلهــي بــاتَ قلبــي في همــومٍ ... وحــالي لا يُــسَرُّ بــه خليــلُ
إلهي تُب وجُد وارحـمْ عُبيْـدًا ... مِــنَ الأَوْزَارِ مدمعُــهُ يــسيلُ
إلهــي ثــوبُ جِــسْمِي دنّــسَتْهُ ... ذنــوبٌ حملُهــا أبــدًا ثقيــلُ
إلهــي جُــد بعفــوِك لي فــإني ... عــلى الأبــوابِ منكَــسِرٌ ذليـلُ
إلهي خانَني جَلَـدي وصَـبْري ... وجاء الشيبُ واقتربَ الرحيلُ
إلهــــي داوِني بــــدواءِ عفــــوٍ ... بــه يُــشفَى فــؤادي والغليــلُ
إلهــي ذابَ قلْبِــي مــن ذُنــوبي ... ومن فِعْلِ القبـيحِ أنـا القتيـلُ
إلهــي قلــتَ ادعُــوني أُجِــبكُمُ ... فهاك العبـدُ يـدعُو يـا وكيـلُ
إلهــي هــذه الأوقــاتُ تمــضِي ... بــأعمارٍ لنــا وبهــا تــزولُ[1]

* * *

(١) مناجاة ختم بها الدكتور علي محمد الصلابي كتابه في السيرة النبوية (ص:٨٩٥).

١٩- عظُمت صفاتُك يا عظيم

الأصمعيّ

يـا فَـاطِرَ الخلـقِ البَـدِيعِ وكَـافِلًا
رِزقَ الجَميعِ سَحَابُ جُودِكَ هَاطِلُ
يا مُسبِغَ البِرِّ الجَزِيلِ ومُـسبِلَ الـ
ـسَّترِ الجَمِيلِ، عَمِيمُ طَولِكَ طَائِلُ
يا عَالِمَ الـسِّرِ الخَفِـيِّ ومُنجِـزَ الـ
ـوَعْدِ الوَفِيِّ، قَضَاءُ حُكمِكَ عَادِلُ
عَظُمَتْ صِفَاتُكَ يا عَظِيمُ فَجَـلَّ أَن
يُحصِي الثَّنَـاءَ عَلَيـكَ فِيهَـا قَائِـلُ
الـذَّنبُ أنـتَ لَـهُ بِمَنِّـكَ غَـافِرٌ
ولِتَوبَـةِ العَـاصِي بِحِلمِـكَ قَابِـلُ
رَبٌّ يُـــرَبِّي العَـــالَمِينَ بِـــبِرِّهِ
ونَوَالُـــهُ أَبَـــدًا إِلـــيهم وَاصِـــلُ
تَعصِيهِ وهوَ يسُوقُ نَحـوَكَ دَائِـمًا
مَـا لا تَكُـونُ لبَعـضِهِ تَـستَأهِلُ
مُتَفَـضِّلٌ أَبَـدًا وأنـتَ لِجُـودِهِ
بِقَبَـائِحِ العِـصيَانِ مِنـكَ تُقَابِـلُ

وإذا دَجَى لَيلُ الخُطُوبِ وأظلَمَتْ

سُبلُ الخَلَاصِ وخَابَ فِيهَا الآمِلُ

وأيستَ من وَجْهِ النَّجَاةِ فَمَا لَهَا

سَببٌ ولَا يَدنُو لَهَا مُتَنَاوِلُ

يَأتِيكَ مِن أَلطَافِهِ الفَرَجُ الذِي

لَمْ تَحتَسِبهُ وأنْتَ عَنهُ غَافِلُ

يا مُوجِدَ الأشيَاءِ مَنْ ألقَى إِلَى

أبوَابِ غَيرِك فَهُوَ غِرٌّ جَاهِلُ

ومَنِ استَرَاحَ بِغَيرِ ذِكرِكَ أو رَجَا

أحَدًا سِوَاكَ فَذَاكَ ظِلٌّ زَائِلُ

عَمَلٌ أرِيدَ بِه سِوَاكَ فَإنَّهُ

عَمَلٌ ـ وإنْ زَعَمَ المُرَائِي ـ بَاطِلُ

وإِذَا رَضِيتَ فَكُلُّ شَيءٍ هَيِّنٌ

وإِذَا حَصَلتَ فَكُلُّ شَيءٍ حَاصِلُ

قد أَثقَلَت ظَهرِي الذُنُوبُ وَسَوَّدَت

صُحُفِي العُيُوبُ وسِترُ عَفوِكَ شَامِلُ

هَا قَدْ أَتَيتُ وَحُسنُ ظَنِّي شَافِعِي
وَوَسَـائِلِي نَـدَمٌ ودَمـعٌ سَـائِلُ[1]
فاغفِر لِعَبدِكَ مَا مَضى وَارزُقهُ تَـو
فِيقًا لِمَـا تَـرضَى فَفَـضلُكَ كَامِـلُ
وافعَـل بِـهِ مَـا أنـتَ أهـلُ جَمِيلِـهِ
والظَّنُّ كُلَّ الظَّـنِّ أَنَّـكَ فَاعِـلُ[2]

* * *

(١) هذه إحدى شروط التوبة: ١ - الندم. ٢ - الإقلاع. ٣ - العزم على عدم المعاودة.
(٢) ذكر القصيدة الدميري في حياة الحيوان الكبرى (١٧/٢)، وقد حكاها الأصمعيُّ عن غلام.

٢٠- عرفتك يا إلهي

عبد الرحمن حبنكة

إِلَهِي

عَرَفْتُكَ مِنَ كُلِّ شَيْءٍ ظَهَرْ عَرَفْتُكَ مِمَا اَختَفَى وَاسْتَتَرْ

عَرَفْتُكَ مِنَ حَاضِرَاتِ الوُجُودِ وَمِمَا مَضَى فِي زَمَانٍ غَبَرْ

عَرَفْتُكَ مِنَ لَفَحَاتِ الرّيَاحْ وَمِنْ نَفَحَاتِ نَسِيمِ السَّحَرْ

عَرَفْتُكَ مِنَ وَطْأَةِ الحَادِثَاتِ وَمِنَ رِقَةٍ مِثْلِ خَمْلِ الزَّهَرْ

عَرَفْتُكَ مِنَ حِكَمٍ غُلِّفَتْ بِمَظْهَرِ خَيْرٍ وَمَظْهَرِ شَرْ

عَرَفْتُكَ مِنَ كُلِّ عُمْقٍ لَدَيّ عَرَفْتُكَ مِنَ مَسْمَعِي وَالبَصَرْ

عَرَفْتُكَ مِمَا وَرَاءَ الشُّعُورِ عَرَفْتُكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ شَعَرْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

إِلَهِي

فَطَرتَ حَيَاتي عَلَى الفَقرِ لَكْ وَفِكرِي وَقَلبِي علَى العِلمِ بِكْ

وَنَفسِي عَلَى حُبِّ مَا قَدْ وَهَبَتْ ورُوحِي عَلَى الأُنْسِ فِي حَضرَتِكْ

لِذَلِكَ يَا رَبِّ آمَنتُ بِكْ خُضُوعًا وَحُبًّا وأسلَمْتُ لَكْ

عَلَى رُغمِ أنفِ الجَحُودِ الكَنُود آمنتُ بِكْ ثُمَّ آمَنتُ بِكْ

رَضِيتُكَ رَبًّا فأَذلَلتُ قَلبًا وَرُوحًا ولُبًّا إلى عِزَّتِكْ

وَأَخضَعتُ نَفسِي وَفِكرِي وَحِسِّي وَوَجهي وَرَأسِي إلى قُدرَتِكْ

وسَلَّمْتُ أمرِي بِجَهرِي وسرِّي ... وَخَـيري وَشَرِّي إلى حِكْمَتِـكْ
صَلَاتِي ونُسكِي خُشُوعِي وَحُبِّي ... خُضُوعي وَقُربِي إلى حَـضرَتِكْ
ومَحيـايَ رَبِّي وغُفـرَانُ ذَنبِـي ... ومَـوتِي وبَعثِـي إلى رَحمَتِـكْ
إِلَهِـي إِلَهِـي تَبَارَكـتَ فِي ... عُـلَاكَ فَـإِنِّي آمنـتُ بِـكْ
إِلَهِـي إِلَهِـي تَعَالَيـتَ فِي ... سَـنَاكَ فـإِنِّي أسـلَمتُ لَـكْ

إلهي

عَرَفْتُـكَ مِـنْ لَامِعَـاتِ الأُفُـقْ ... عَرَفْتُكَ مِنَ مُوحِشَاتِ الغَـسَقْ
عَرَفْتُـكَ مِـنْ نَفَحَـاتِ الفَلَـقْ ... عَرَفْتُـكَ مِـنَ خَلقِـكَ المُتَّـسِقْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُـكَ مِـنْ بَهْجَـةٍ فِي القَمَـرْ ... عَرَفْتُكَ مِـنَ نَـسْمَةٍ فِي الـسَّحَرْ
عَرَفْتُكَ مِـنَ بَـسْمَةٍ فِي الزَّهَـرْ ... عَرَفْتُـكَ مِـنَ نَامِيـاتِ الـشَّجَرْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُـكَ مَـا لَاحَ نُـورٌ وَنَـارْ ... وَمَهْـمَا يَـدُرْ كَوكَـبٌ فِي مَـدَارْ
عَرَفْتُـكَ مَهْـمَا الزَّمَـانُ اسْـتَدَارْ ... وَمَهْـمَا أَتَـى اللَّيْـلُ بَعْـدَ النَّهَـارْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ
وَأَنَّكَ أَنْتَ العَظِيمُ الصَّمَدْ

عَرَفْتُـكَ بِالـسُّحُبِ الهَـاطِلَاتْ ... لِتُحيِـيَ كُـلَّ بِـلادٍ مَـوَاتْ
بِكُـلِّ نَبَـاتٍ عَجِيـبِ النَّبَـاتْ ... بِمُخْتَلِفَـاتٍ وَمُـشْتَبِهَاتْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ حِينَ سَلَكْتُ القِفَارْ وَسَارَ بِنَا فِي السُّهُولِ القِطَارْ

عَرَفْتُكَ حِينَ رَكِبْتُ البِحَارْ وَحِينَ جَرَتْ بِي جَوارٍ كِبَارْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ حِينَ رَكِبْتُ الهَوَاءْ وَطَوَّفْتُ فِي جَنبَاتِ الفَضَاءْ

وَحِينَ تَأَمّلْتُ هَذِي السَماءْ وَكُلَّ عَظِيمٍ بِهَا ذِي بَهَاءْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

وَأَنَّكَ أَنْتَ العَظْيمُ الصَّمَدْ

إِلَهِي

عَرَفْتُكَ مِنَ ذِي جَنَاحٍ يَطِيرْ عَرَفْتُكَ مِنْ ذِي قَوَامٍ يَسِيرْ

عَرَفْتُكَ مِنَ سَابِحٍ فِي الغَدِيرْ عَرَفْتُكَ مِنْ زَاحِفٍ فِي الهَجِيرْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ لَمَّا نَظَرْتُ الجِبَالْ عَرَفْتُكَ مِنْ رَائِعَاتِ الجَمَالْ

عَرَفْتُكَ حِينَ شَرِبْتُ الزُّلَالْ عَرَفْتُكَ إِذْ ظَلَّلَتْنِي الظِلَالْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ مِنْ لَمسِ لِينِ الحَرِيرْ وَمِنْ لَمسِ ذِي قَسْوَةٍ فِي الصّخُورْ

عَرَفْتُكَ مِنْ نَفَثَاتِ السَّعِيرْ وَمِنَ بَارِدٍ قَاتِلٍ زَمْهَرِيرْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

وَأَنَّكَ أَنْتَ العَظْيمُ الصَّمَدْ

إِلَهِي

عَرَفْتُكَ مِنَ نَبَضَاتِ الجَنَانْ وَمِنْ مَنْطِقٍ عَجَبٍ فِي اللّسَانْ

عَرَفْتُكَ مِنْ حَرَكَاتِ البَنَانْ وَأَرْشَدَنِي لِعُلَاكَ اليَدَانْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ مِنَ أَكْبُدٍ ظَامِئَاتْ عَرَفْتُكَ مِنْ مِعَدٍ جَائِعَاتْ

عَرَفْتُكَ مِنْ حَرَكَاتِ الحَيَاةْ عَرَفْتُكَ مِنْ سَكَنَاتِ المَمَاتْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ مِنْ مُعجِزَاتِ السّوَرْ وَمَا جَمَعَتْ مِنْ جَلِيلِ العِبَرْ

وَعَرَّفَنِي بِكَ طَهَ[1] الأَغَرْ رَسُولُكَ أَحْمَدُ خَيْرُ البَشَرْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

وَأَنَّكَ أَنْتَ العَظْيمُ الصَّمَدْ[2]

* * *

(١) طه: ليس من أسماء النبي، ولكنه ورد في القرآن كبقية الأحرف المقطعة في أوائل السور على سبيل الإعجاز.

(٢) ديوان: آمنت بالله (ص:٩-١٢).

٢١- أشكو إليك ذنوبًا

يحيى بن معاذ

أشكُو إليك ذنوبًا لستُ أنكِرُهـا وقد رجوتُك يـا ذا المـنِّ تَغْفرُهـا

من قبلِ سُؤلك لي في الحشرِ يا أمَلي يومَ الجزاءِ على الأهوالِ تـذكرُها

أرجُوك تغِفُرُها في الحشرِ يا أمَـلي إذْ كنتَ سؤْلي كـما في الأرضِ تـسترُها

* * *

٢٢- مسلم يخاطبُ الكونَ

شعر عائض القرني

قف في الحياةِ تَـرَى الجـمالَ تَبَـسُّما والطلُّ من ثغرِ الخمائـلِ قـد هَمَـى

وشَدَتْ مطوّقةُ العروسِ ورجَّعَتْ وترعْرَعَ الفَنَنُ الجميـلُ وقـد نـما

وسرى النسيمُ يهزُّ عطْـفَ عبـيره والمـاءُ في عطْـفِ الجَـدَاوِلِ تَمْـتَمَا

وتفـتّحَ الأزهـارُ واعتنَـقَ النَّـدَى هـدرَ الغـديرُ وكـان قبـلُ ملـثَّما

والنبتُ قـد شـقَّ الثَّـرى فعيونُـه تاقَـتْ إلى ضـوءٍ تـألَّقَ في الـسَّما

والشمسُ أرَسَلتِ الأشعَّةَ في الفَـضَا بَـدَدًا وَقَبَّلَـتِ الجليـدَ فَهَمْهَـمَا

وَسَرتْ طيورُ القاعِ تنشُدُ في الرُّبا بيـتَ القَـصيدِ سـعادةً وتـرنُّما

والنحلُ قـد تَـرَك الخليـةَ مولعًـا برحيقِ زهرٍ ظلَّ يـسكُبُ في اللَّـمَا

وفراشَـةُ البـستانِ ألقـتْ نفـسَها في سـندسٍ فـوقَ البطـائِحِ وسّـما

وبكى الغمامُ من الفراقِ مـشامتٌ في الأرضِ يضحَكُ ترحةً وتلوّما

وتطاولَتْ شممُ الجبالِ ونـافرتْ ... قِمَم التلالِ فلـم تُكُـنْ أبـدًا كـما

والمـؤمنُ اطلـعَ الوجـودَ مـسلَّمًا ... أهـلًا بمـن حـازَ الجـمالَ مـسلّما

فجثَتْ لطلعَتِه الجبـالُ وأذعنـتْ ... إذ كـان منهـا في الحقيقـةِ أعظَـما

وقـد اشْرَأَبـتْ كـلُّ كائنـةٍ لـه ... فكأنــه مَلِــكٌ يــسيرُ مُعَلِّـما

ورأى الحيــاةَ بنظــرةٍ قدســيةٍ ... وبهـا إلى عـزّ المهـيمنِ قـد سـَما

كشفَ الحجابَ عن الغيوبِ فَأَشْرَقَتْ ... ســبلُ الهدايــةِ قبلَــه فتقــدَّما

عـرفَ الحقيقـةَ فاسْتَنَار بنورِهـا ... وتــراهُ في عُمْــقِ التفكُّـرِ مُلَهـمًا

في كــلّ ماثلــةٍ تمــرُّ بعينِــه ... عِــبَرٌ تُعرِّفــه الإلــهَ الأعْظَـما

حَبْـلُ الرجـاءِ غـدا بـه متمسِّكًا ... أنعِـمْ بحَبْـلٍ قـطُّ لـن يَتَـصَرَّما

أَتَرى الجمالَ بغـيرِ منظـارِ التُّقـى ... حسنًا ولو مَلَكَتْ يـداك الأنجُـما

أتظـنُّ أن الأُنـسَ يَـسْكُنُ بُرهـةً ... قلبًا ولم يكُ في الحقيقـةِ مُـسْلِما؟!

لا والـذي جمـعَ الخلائـقَ في مِنًـى ... وبدا فأعطَى مـن أحَـلَّ وأحْرَمـا

ما في ربـوعِ الكـونِ أجمـلُ منظـرٍ ... مـن مـؤمنٍ للـسْعِد جـدَّ ويمَّـمَا

إن مـتَّ يـا جَـامِي الحيـاةِ فـإنَّما ... هـي نقلـةٌ تلقَـى حيـاةً أوسَـما

في ظـلِّ ربٍّ كنـتَ قـد وحَّدتَـه ... تلقـاه في الأخْـرَى أبـرَّ وأكرَمـا

بل كيـفَ ترحَـلُ والحيـاةُ تقـدما ... مـا للعـوالمِ حَـوْلَ قـبرِك جُـثَّما

فاسَعْد فقد ظَفَرَتْ يداك بـصَفْقةٍ ... واهنـأْ فإنـك بعـدُ لـن تَتَنَـدَّما[1]

---

(١) عائض القرني، والإسلاماه (ص:١٨-٢١).

٢٣- الجحود

خير الدين وانلي

يَغذوكَ لكـن أنـتَ تـشكرُ غـيرَهُ ... ويذودُ عنك فتمْـدَحُ الأوثانـا؟!

أَوَ هَكَـــذا ردُّ الجميــــلِ لأهْلـــهِ ... أَوَ هكـذا تَـسْتَقْبِلُ الإحْـسَانا؟!

يا من جحدتَ لذي الصَّنيعِ صـنيعَهُ ... أَوَ مَا تهابُ الـسُّخْطَ والنيرانـا؟!

أتخاصـــمُ الجبَّـــارَ في عَلْيَائِـــه؟! ... يا مـن بَـراكَ مـن الثـرى إنسانا

مـــن نُطفــةٍ ســوّاك ربي مبــصرًا ... تتبـــيَّنُ الأشـــكالَ والأَلْوَانـــا

بل سخَّر الـسَّبعَ الطبـاقَ لخدمـةٍ ... والأرضَ والأنهـــارَ والخلْجَانـــا

والفُلكَ تجـري والريـاحَ لواقحًـا ... والمـاءَ يُحْيِـي الـزرعَ والأَفْنَانـا

والرعـدُ في كبـدِ الـسَّماءِ مُـسَبِّحًا ... والـثلجَ يهطِـلُ يرفِـدُ الغُـدْرَانا

والطـيرُ يبـسُطُ جنحَـه كـسفينةٍ ... فــوقَ الريـــاحِ يــسبِّحُ الرحْمَانــا

في كـــلِّ شيءٍ للمُهـــيمنِ آيـــةٌ ... تـــدعُ الجَحُـــودَ بـــأمرِه حَيْرَانـــا

يا مـن جَحَـدْتَ ألم تفكِّـرْ لحظـةً ... في ذا الوجــودِ وتنظــرِ الأكوانـــا

في قلبِـــكَ الخفَّـــاقِ أكـــبرُ آيـــةٍ ... إن لم تجـدْ مِـنْ حَوْلِـك البُرهانـا

الـسمعُ والأبـصارُ خلـقٌ مُعْجِـزٌ ... يتحـــديانِ الجَحْـــدَ والنُّكْرَانـــا

والـسيرُ منتـصبًا دليـلٌ واضـحٌ ... أن المـــسيِّرَ ميَّـــز الإِنْـــسانا

والنطـــقُ آيـــةُ قـــدرةٍ جبـــارةٍ ... والمـخُّ يحفـظُ كـلَّ مـا قـد كانـا

واللمسُ للأشـياءِ والـشمُّ الـذي ... لا يُخطـــيءِ الأريـــاحَ والرَّيحانـــا

والشَّعرُ يكسُو الجلدَ ثوبًا ناعِمًا متموِّجًا متجدِّدًا أَلْوَانا

كالجلدِ للحِرْباءِ يشبهُ لونُه ما حولَه فتظنُّه أغصَانا

والرأسُ يحْمِي المخَّ في تَجويفِه والصدرُ يَحْمِي القلبَ والشَّريانا

فلِمَ الجُحُودُ وفَضْلُ ربِّك سابقٌ من قبلِ أن تَسْتَرضِعَ الأَلْبانا؟![1]

* * *

(١) ديوان النصر للإسلام (ص:١٢٣).

٢٤- يا منزل الآياتِ والفرقان

أبو محمد الأندلسي القحطاني

يَـا مُنْـزِلَ الآيَـاتِ وَالفُرْقَـانِ بَينِـي وَبَيْنَـكَ حرْمَـةُ القُـرْآنِ
اشْرَحْ بِهِ صَدْرِي لمعرِفَـةِ الهُـدَى وَاعْصِمْ بِهِ قَلْبِـي مِـنَ الـشَّيطَانِ
واحطُطْ بِهِ وِزْرِي وَأَخْلِصْ نِيَّتِـي وَاشدُدْ بِهِ أَزْرِي وأَصْـلِحْ شَـانِي
واكْشِفْ بِهِ ضُرِّي وحقِّقْ تَـوبَتِي أَرْبِـحْ بِـهِ بَيْعِـي بِـلَا خُـسْرَانِ
طهِّر بِهِ قَلْبِـي وصَـفِّ سَرِيـرَتِي أجمِـلْ بِـهِ ذِكْـرِي وَأَعْـلِ مكَـانِي
وَاقْطَعْ بِهِ طَمَعِي وَشرِّفْ همَّتِـي كَثِّـرْ بِـهِ وَرَعِـي وَأحِـي جِنَـانِي
أسهِرْ بِهِ لَـيْلِي وأظْـمِ جَـوَارِحِي أسـبِلْ بِفَـيْضِ دُمُوعِهَـا أجفـاني
وَأمزِجْهُ يَا رَبِّي بلحْمِي مَـعْ دَمِـي وَاغْسِلْ بِـهِ قَلْبِـي مِـنَ الأَضْـغَانِ
أَنْتَ الَّـذِي صَـوَّرْتَنِي وَخَلقتَنِـي وَهَـــدَيْتني لِـــشَرَائِعِ الإِيـــمَانِ
أَنْـتَ الَّـذِي عَلَّمْتَنِـي ورَحمْتَنِـي وَجعلتَ صَدْرِيَ واعِـيَ القُـرْآنِ
أَنْتَ الَّـذِي أَطْعَمْتَنِـي وَسـقَيْتَنِي مِـنْ غَـيْرِ كَـسْبِ يَـدٍ وَلَا دُكَّـانِ
وجَبَرْتَنِـي وَسَـتَرْتَنِي وَنَـصَرْتَنِي وَغَمَرْتَنِـي بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ
أَنْـتَ الَّـذِي آوَيْتَنِـي وَحَبَـوْتَنِي وَهَـدَيْتَنِي مِـنَ حِـيرَةِ الخُـذْلَانِ
وَزَرَعَـتَ لِي بَـيْنَ القُلُـوبِ مَـوَدَّةً وَالعَطْـفَ مِنْـكَ بِرَحْمَـةٍ وَحَنَـانِ
وَنَـشرتَ لِي فِي العَـالمِينَ محَاسِـنًا وَسَتَرْتَ عَنْ أبصَارِهِمْ عِـصْيَانِي

وجعلتَ ذكْرِيَ في البَرِيَّـةِ شَـائِعًا حَتَّى جَعلْـتَ جَمِـيعَهُم إِخـوَانِي
وَاللهِ لَـو عَلِمُـوا قَبِـيحَ سَرِيـرَتِي لَأَبَـى الـسَّلَامَ عـلِيَّ مَـنْ يَلْقَـانِي
ولَأَعْرَضُوا عَنِّي ومَلُّوا صُـحْبَتِي وَلَبُــؤْتُ بَعْــدَ كرامــةٍ بِهَــوانِ
لَكـنْ سَـتَرتَ مَعَـايِبِي ومثَـالِبِي وحَلُمْتَ عَنْ سَقَطِي وعَنْ طُغيَانِي
فَلَـكَ المحَامِـدُ والمـدَائِحُ كُلُّهَـا بَخوَاطِرِي وَجَـوَارِحِي وَلِـسَانِي
وَلقَـدْ مَنَنْـتَ عَـلَيَّ رَبِّ بَـأَنْعُمٍ مَــا لِي بــشُكْرِ أقلِّهــنَّ يَــدَانِ
فَوَحَـقِّ حِكْمَتِـكَ التِـي آتَيْتَنِـي حَتَّـى شَـددتَ بِنُورِهَـا بُرْهَـانِي
لئنِ اجتبَتْنِي مِنَ رِضَـاكَ مَعُونَـةٌ حتــى تُقــوِّيَ أيــدُهَا إِيــمَانِي
لأُسَــبِّحَنَّكَ بُكْــرةً وَعَــشِيَّةً ولتخـدمنَّكَ في الـدُّجَى أَركَـانِي
ولأذْكُرَنَّــكَ قَــائِمًا أَو قَاعِــدًا وَلَأشْــكُرَنَّكَ ســائِرَ الأَحيَــانِ
ولأكــتُمَنَّ عَــنْ البَرِيَّــةِ خِلَّتِــيَ ولاشْـكُوَنَّ إليـك جَهْـدَ زمَـانِي
ولأقْـصِدنَّكَ في جَمِيـعِ حَـوَائِجِي مِــنْ دُونِ قــصدِ فُلانــةٍ وفُــلانِ
ولأحسِمَنَّ عَـنْ الأنَـامِ مَطَـامِعِي بحُــسَامِ يَــأسٍ لم تَــشُبْهُ بَنَــانِي
ولأجعلَـنَّ رِضَـاك أكـبرَ هِمَّتـي ولاضرِبَـنَّ مِـن الهَـوَى شَـيْطَانِي
ولأكسُوَنَّ عُيوبِ نَفسِي بـالتُّقى ولأقبِـضَنَّ عَـنِ الفُجُـورِ عِنَـانِي
ولأمـنَعَنَّ الـنَّفْسَ عَـنْ شَـهَوَاتِهَا ولأجعَلَـنَّ الزُّهْـدَ مِـنْ أعْـوَانِي
ولأتْلُوَنَّ حُرُوفَ وَحْيِكَ فِي الـدُّجَى ولأحْــرِقَنَّ بنُــورِهِ شَــيْطَانِي

أنت الذي يا ربّ قلتَ حروفَه ووصفته بالوعْظِ والتبيانِ
ونَظَمْتَه ببلاغةٍ أزليةٍ تكييفُها يخفَى على الأذْهانِ
وهو المحيطُ بكلِّ شيءٍ عِلْمُه من غير إغفالٍ ولا نِسْيانِ
من ذا يكيِّفُ ذاتَه وصفاتِه وهو القديمُ مكوِّنُ الأكوانِ
سبحانَه ملِكًا على العرشِ استوى وَحَوَى جميعَ الملكِ والسطانِ[1]

* * *

(١) مختارات من نوية القحطاني، ط. مكتبة السوادي - جدة.

٢٥- سبحانك اللهم

مصطفى عكرمة

يا رَبِّ قَدْ أَبدَعتَ مِنْ عَدَمٍ جَميعَ الكائِنَاتِ
وَجَعَلتَ لِلإِنسانِ آياتِ الرَّشادِ البيِّنَاتِ
وأَمَرتَهُ أَلَّا يَحيدَ الدَّهرَ عَنْ دَربِ الهُداةِ
مَنَّيْتَهُ... وأَعَنْتَهُ... لِنَوالِ كُلِّ الأُمنيَاتِ
الأَرضُ كَمْ قد أَعطَتِ الإنسانَ شَتَّى الأُعطِياتِ!
أنتَ الَّذِي أودَعْتَ فيها كُلَّ ألوانِ الهِباتِ
أَنبَتَّنا مِنْها.. كَما أَنبَتَّ أَزواجَ النَّباتِ
شَتَّى نَرَى أَلوانَهُ رَغمَ التَّشابُهِ في الصِّفاتِ
وتَسُحُّ أبوابُ السَّمَواتِ العُلى بالنُّعمَياتِ
قَدَّرتَ رَبِّي الخَلقَ تَقديرًا بِهِ كُلُّ العِظاتِ
وَوَهَبتَ يا رَبَّاهُ كُلَّ الخَلقِ أَسبابَ الحَياةِ
هذي السَّماءُ بِلا دَعائمَ حَيَّرت كُلَّ البُناةِ
أَمسكتَها... فإذا بِها مَثَلُ الثَّباتِ علَى الثَّباتِ
وَزَرَعتَ في الأجواءِ آلافَ النُّجومِ النَّيِّراتِ
تَهدي بِها في الدَّهرِ أصحابَ العُقولِ الراجِحاتِ

وَبَسطتَ فَوقَ المـاءِ أرضًـا لم تَـزَل في الـدّائِراتِ

الكُـلُّ في فَلَـكٍ يـدورُ كـما أرَدتَ بِـلا انفِـلاتِ

لا المـاءُ يَطغـى، لا، ولا يُخْـشَى عَلَيهـا مـن أَذاةِ

سُـبحَانَكَ اللّهُـمَ تُخـرِجُ كُـلَّ حَـيٍّ مـن مَمَـاتِ

يا مَنْ إذا قَدْ قُلتَ: كُنْ... كانتْ جَميعُ المُعجزاتِ

أدعُـوكَ فـامنَحْ أُمَّتـي سُـبُل الهِدايـةِ والنَّجـاةِ[1]

* * *

(١) ديوان حتى ترضى (ص:٤٩-٥٠).

٢٦- سبحان من يعطي المنى

سُبْحَانَ من يُعْطِي المُنَى بخواطرٍ   في النَّفس لم ينطِقْ بهنَّ لِسَانُ
سُبْحَانَ من لاشيءَ يحجُب علمَه   فالسرُّ أجمعُ عندَه إعلانُ
سُبْحَانَ مَنْ هُوَ لا يزالُ مُسبّحًا   أبدًا وليس لغيرِهِ السُّبحانُ
سُبْحَانَ مَنْ تجْري قَضَاياه على   ما شاءَ منها غائبٌ وعيانُ
سُبْحَانَ مَنْ هُو لا يزالُ ورزقُهُ   للعالمينَ به عليه ضَمَانُ
سُبْحَانَ من في ذكرِه طرقُ الرِّضَى   منه وفيه الرَّوحُ والريحانُ
ملكٌ عزيزٌ لا يقارَنُ عِزُّه   يُعصَى ويُرجَى عنده الغفرانُ
ملكٌ له ظهرُ القضاءِ وبطنُه   لم تُبل جِدَّة ملكِه الأزمانُ
ملكٌ هو الملكُ الذي من حِلْمِه   يُعصَى بحسنِ بلائِهِ ويُخانُ
يَبْلَى لكلِّ مسلّطٍ سلطانُه   واللهُ لا يَبْلَى له سُلطانُهُ[1]

* * *

(١) الله أهل الثناء والمجد (ص: ١١٠).

٢٧- إخلاصُ العبوديةِ

خير الدين وائلي

عــلَى المَــولى تَوَكَّلْنَــا	وسـبَّحْنا اسـمَهُ الأعـلَى
وحَسبُ المُسلِمِ المُـؤمِنْ	بنــصرِ اللهِ أن يُــوقِنْ
فــإنَّ العــونَ والنـصْرا	لمــنْ يَــدعوه مُــضطَّرا
ومن يسأَلْ سوى الـربِّ	يُــدنِّس طـاهرَ القَلـبِ
ومِــنْ يُــشرِكْ بمــولاهُ	يكــنْ في النــارِ مَثــواهُ
وكلُّ الـذنبِ قـد يُغفـرْ	سُوَى الإشراكِ بـالأكْبَرْ
ومن يطلـبْ مـن القـبرِ	ينـلْ مـا نـالَ ذو الكفـرِ
فأخْلِصْ يـا أخـي النيَّـةْ	وأنــــواعَ العبوديَّــــةْ
لــربٍّ قــادرٍ قــاهرْ	حكــيمٍ عــالمٍ غــافِرْ
ففي الإخلاصِ للمـولَى	بلــوغُ المِرفَــقِ الأعــلى
لـدَى الـرحمنِ في الجنَّـهْ	ولُقيـا الفـضلِ والمنَّــهْ
فعنـــدَ اللهِ للعابِـــدْ	نعــيمٌ وافــرٌ خالِــدْ
فيـاذا الفـضلِ والجـودِ	وبــاري كــلِّ موجــودِ
أَنِلْنِــي راحــةَ البــالِ	مــعَ المختــارِ والآلِ[1]

---

(١) ديوان النصر للإسلام (ص:١٢٧).

٢٨- إلهي أقلني عثرتي

عَسى من خَفِيِّ اللطفِ سُبحانَهُ لُطْفُ
بِعَطْفَـةِ بِـرٍّ فـالكَرِيمُ لَـهُ عَطـفُ
عَسى مِن لَطِيفِ الـصُّنعِ نَظـرَةُ رَحمَـةٍ
إلى مَنْ جفَاهُ الأهلُ والصَّحبُ والإِلْفُ
عَـسى فَـرَجٌ يـأتِي بِـهِ اللهُ عـاجِلًا
يُـسَرُّ بِـهِ المَلْهُـوفُ إن غَمَّـهُ اللَّهـفُ
عَـسى لِغَريـبِ الـدَّارِ تَـدبِيرُ رَأفَـةٍ
وبِرٌّ مِنَ البـارِي إذا العَـيشُ لَمْ يَـصفُ
عَـسى نَفحَـةٌ فَردِيَّـةٌ صَـمَدِيَّةٌ
بِها تنقَضِي الحاجاتُ والـشَّمْلُ يُلتـفُّ
فـإِنِّيَ والـشَّكوى إلى اللهِ كالَّـذِي
رَمـى نَفـسَهُ في لُجَّـةٍ مَوجُهـا يَطفُـو
فَمِـنْ مِحَـنِ الأَيَّـامِ قَلبِـي مُعَـذَّبٌ
أَلَمَّ بِرَوحِـي قَبـلَ حَتـفِ الفَنـا حَتـفُ
ومِـنْ فُرقَـةِ الأحبـابِ قَلبِـي مُقـسَّمٌ
ثـلاثٌ وأربـاعٌ ونِـصفٌ ولا نَـصفُ

وإني لأرضَى مــا قَــضَى اللهُ لي ولــو
عَبَدْتُ على حَرْفٍ لأَزْرَى بيَ الحـرفُ
ولم أَبنِ حُسنَ الظَّـنِّ في سـيِّدي عَـلى
شـفا جُـرُفٍ هـارٍ فَيَنهـارُ بي الجَـرفُ
ولكِـنْ دَعَـوتُ اللهَ يَكـشِفُ كُربَتِـي
فَـما كُربَــةٌ إلَّا ومِنــهُ لَهَــا كَــشفُ
فكَـمْ بُـسِطت كَـفٌّ بـسوءٍ تُرِيـدُني
فَقـالَ لَهَـا الكـافِي ألا غُلَّـتِ الكَـفُّ
وَكَمْ هَمَّ صَرفُ الـدّهْرِ يَـصرِفُ نابَـهُ
عَلَيَّ فَجاءَ الموتُ وانـصَرَفَ الـصَّرفُ
ولمْ أَعتَـــصِمْ بـــاللهِ إلَّا وَمَـــدَّ لِي
مَنَ الـبِرِّ ظِـلًّا في رضـاءٍ لَـهُ وَكْـفُ[1]
وإني لُمــستغَنٍ بِفَقــرِي وفـــاقَتِي
إليـهِ ومُـستقْوٍ وَإنْ كـانَ بِي ضَـعفُ
وفي الغَيبِ لِلعَبدِ الـضَّعيفِ لَطـائفٌ
بِها جَفَّتِ الأقلامُ وانطَوَتِ الـصُّحفُ

(١) وكْف: الوكف الجريان والتتابع.

بِقُـدرَةِ مَـنْ شَـدَّ الهـوا وبَنـى الـسَّما
طَرائِقَ فَوقَ الأرضِ فَهْي لَهـا سَـقفُ
ومَنْ نَصَبَ الكُرسيَّ والعَرشَ واستَوى
على العَرشِ، والأملاكُ مِن حَولِهِ حَفُّوا
ومَـنْ بَـسَطَ الأرضِـينَ فَهـيَ بِلُطفِـهِ
لِحَـيٍّ بَنِـي الـدُّنيا ومَيِّـتِهِمْ ظَـرفُ
وألقـى الجِبـالَ الـشُّمَّ فِيهـا رَواسِـيًا
فَلَيسَ لهـا مِـنْ قَبـلِ مَوعِـدِها نَـسفُ
وأَلبَـسَها مـن سُـندُسِ النَّبـتِ بَهجَـةً
مِنَ النـورِ مـا صِـنْفٌ يُـشابِهُهُ صِـنفُ
وسَخَّرَ مـن نَـشْرِ الـسَّحابِ لواقِحًـا
إذا انتشَرَت دَرَّت سَحائِبُها الوَطفُ(١)
وأَنـشَأ مـن أَلفافِهـا كُـلَّ حَبَّـةٍ
به الأبُّ والريحانُ والحَـبُّ والعَـصْفُ
ويعلـمُ مَـسْعَى كـلَّ سـارٍ وسـارِبٍ
وما أعلنوه مـن خِطـابٍ ومـا أخْفُـوا

---

(١) الوطف: الماء المنهمر.

ويَدرِي دَبِيبَ النَّملِ فِي اللَّيلِ إن سَعَت
وإن وَقَفَتْ ما أمكَنَ السَّعيُ والوقـفُ
ووزنُ جِبـــالٍ كَــمْ مَثاقِيـــلَ ذَرَّةٍ
وكَيْـــلُ بِحـــارٍ لا يُغَيِّــضُها نَــزفُ
وكَمْ فِي غَرِيبِ المُلكِ والمَلَكُـوتِ مِـنْ
عَجائِبَ لا يُحـصِي لأيـسَرِها وصـفُ
فَـسُبحانَ مَــنْ إن هَــمَّ وَهْــمٌ يَقِيـسُهُ
بِكُــفءٍ وتكييــفٍ يُلَجِّمُــهُ الكَــفُّ
إِلَهِـــي أَقِلنِـــي عَثـــرَتِي وتَـــوَلَّنِي
بعفــوٍ فــإنَّ النائِبــاتِ لهــا عُنَــفُ
خَلَعــتُ عِــذَارِي ثُــمَّ جِئتُـكَ عائِـذًا
بِعُذرِي فإن لم تَعفُ عَنِي فَمَـنْ يَعفُـو

* * *

٢٩- رحمتك اللهم

الإمام الشافعي

قَلبِـي بِرَحْمَتِـكَ اللَّهُـمَّ ذُو أُنُـسِ ... في السِّرِّ والجَهرِ والإصبَاحِ والغَلَسِ

ومَا تَقَلَّبتُ مِنْ نَـومِي وَفي سِـنَتي ... إلَّا وذكرُكَ بين الـنَّفْسِ والـنَّفَسِ

لقَـدْ مَننـتَ عـلَى قَلبـي بمعرِفَـةٍ ... بأنَّـكَ اللهُ ذُو الآلاءِ والقُـدسِ

وقَـد أَتَيـتُ ذُنُوبًـا أنـتَ تَعلمُهـا ... ولم تَكُنْ فاضحِي فِيهَا بِفعلِ مُسِي

فَامنُنْ عَـلَيَّ بِـذكرِ الـصَّالحينَ ولا ... تجعَل عَلَيَّ إذًا في الدِّينِ مـن لَـبَسِ

وكُنْ مَعِي طُولَ دُنيـاي وآخِـرتي ... ويَومَ حَشرِي بِما أنزَلت في عَبَس[1]

* * *

(١) ديوان الشافعي (ص:٨٥).

٣٠- إلهنا ما أعدلك

أبو نواس

إلهنـــا مـــا أعـــدَلكْ مَلِيــكَ كــلِّ مــن مَلَــكْ
لبيــك قــد لبيــتُ لــكْ لبيــكَ إنَّ الحمــدَ لــكْ
والملــكُ لا شريــكَ لــكْ والليــلُ لَمَّــا أن حَلَــكْ
والــسَّابِحَاتُ في الفَلــكْ عــلى مجــارِ المنــسَلِكْ
مــا خــاب عبــدٌ أمّلَــكْ أنــت لــه حيــثُ سَــلَكْ
لــولاك يــا ربّ هَلَــكْ كــلُّ نبــيٍّ ومَلَــكْ
يــا مخطئًــا مــا أغْفَلَــكْ عجّــل وبــادِرْ أجَلَــكْ
واخــتِمْ بخــيرٍ عَمَلَــكْ لبيــك إن الملــكَ لــكْ
والحمــدُ والنِّعمــةُ لــكْ والعزُّ لا شريــكَ لــك[1]

* * *

(١) أناشيد فتية الحق (ص:٤٦).

٣١- لك المجدُ في كل الوجودِ

عبد الرحمن حبنكة

لكَ المجدُ في كلِّ الوجودِ لك الحمدُ ... إلهي. فأنتَ الخالقُ الصَّمَدُ الفـردُ

إلهي وأنت الـربُّ تخلُـقَ مَـا تـشَا ... وأنتَ مُعينُ العبدِ ما التجأَ العبـدُ

لــديكَ إلهــي رزقُنَــا وحياتُنــا ... ومنكَ إلهي السعدُ ما أقبلَ السَّعدُ

وكلُّ تصاريفِ الوجودِ قـضاؤُها ... لديكَ ومَا تقضِيهِ حقَّ لـهُ الحمـدُ

ولا خـير إلا في يـديكَ قـضاؤُهُ ... وكـم سـاءنَا خـيرٌ إذا ألمَّ الجِلْـدُ

وكـم مـؤلمٍ للـنَّفسِ نَكْـرهُ مـسَّهُ ... وفيـهِ لنـا خـيرٌ وفيـهِ لنـا مجـدُ

فأنــتَ حَكـيمٌ والحكِـيمُ بفعْلـهِ ... حميدٌ وعلمُ النـاسِ صـغَّرهُ الحَـدُّ

* * *

٣٢- تسبيحات[(١)]

حازم القَرْطَاجَنِّي

سُـبحانَ مـن سَـبَّحَتْهُ أَلْـسُنُ الأمـمِ

تَـسْبيحَ حَمْـدٍ بِـمَا أَوْلَى مِـنَ الـنِّعَمِ

سُبحانَ مَـن سـبَّحَتْهُ أَلْـسُنٌ عَرفـتْ

بـأَنَّ تـسبيحَهُ مِـنَ أَفْـضلِ العِـصَمِ

سُبحانَ مَـنْ سـبَّحتْهُ أَلـسنٌ نطقَـتْ

من عالَمٍ في حِجَـابِ الغيـبِ مُكْتَـتَمِ

سُبحانَ مـن سـبَّحَت حمـدًا ملائِكَـةٌ

لــهُ بِــلَا فــترةٍ تَعْــرو وَلَا سَــأَمِ

سُبحانَ مَن سَبَّحَتْ سَبعٌ له سَبَحَتْ

مِنَ الـسمواتِ ذاتِ الأنجُـمِ العُـتُمِ

سُبحانَ مَن سبَّحَتْ شمسُ النهارِ لهُ

والبدرُ بدرُ الدُّجَى والشُّهْبُ في الظُّلـمِ

سُبحانَ من سـبَّحَ الليـلُ البهـيمُ لـه

وسبَّحَ الـصُّبحُ يُبـدي ثَغْـرَ مُبْتَـسَمِ

(١) تسبيح ومناجاة وثناء (ص:٩٩-١٠١).

سُبحَانَ من سبَّح الجِسْمُ الجمادُ له
بمنطقٍ من لسانِ الحالِ مُنفهِمِ

سُبحَانَ مَن سبَّح الحيُّ الفَصِيحُ لهُ
بمنطقٍ مِنْ صَريحِ اللَّفظِ مُلْتَئِمِ

سُبحانَ مَنْ فجَّر الأنهارَ أسفَلَها
وَأَنْشأَ السُّحْبَ منها في ذُرَى القِمَمِ

سُبحَانَ عالمِ ما في العالمينَ معًا
من كلِّ ما دَقَّ أو ظَلَّ ذا ضِخَمِ

سُبحَانَ مَنْ كُلُّ حينٍ في الوجودِ لهُ
إعدامُ موجودٍ أو إيجادُ منعَدَمِ

سُبحَانَ مَن خَلَقَ الإنسانَ من عَلَقٍ
وردَّه بعدَ أمشاجٍ إلى رِمَمِ

سُبحَانَ من شاءَ سُكنى الروحِ في جسدٍ
باقٍ إلى أمدٍ لا بدَّ مُختَرِمِ

سبحانَ مَنْ كُلُّ شيءٍ عندَهُ لِمَدًى
مثلُ الشبابِ الذي يُفْضِي إلى الهرَمِ

سُبحانَ من جعلَ الدنيا وصورَتَها
مثلَ الخيالِ سَرَى والعيشَ كالحُلُمِ

سُــبحَانَ مــن جَعَــل الــدنيا مُحببــةً
ملتَّــذةً مــعَ مــا فيهــا مِــنَ الألَمِ
سُبحَانَ من حَبَّبَ الأخـرى لطائفـةٍ
سَـمَتْ إلى أشرفِ الـدَّارينِ بـالهِمَمِ
سُبحَانَ مـن ينـشُرُ المـوتَى ويبعَـثُهم
للفـصْلِ مـا بـين ظَـلَّام ومُظَّلـمِ
سُبحَانَ مَنْ بينَهم بالعـدلِ يحكُـم في
يـومٍ بـه لـيسَ غـيرُ اللهِ مـن حَكَـمِ
سُبحَانَ من جـلّ في سـلطانِه وعـلا
عـن أن يُـرى معـه حُكْـمٌ لمحْـتَكِمِ
سُبحَانَ من شاء تدبيرَ الأمـورِ عـلى
مـا خـطَّ تقريـرُه في اللـوحِ بـالقلَمِ
سُبحَان من ألهَـمَ العبْـدَ الـسعيدَ لمـا
أضـحَى الـشَّقِيُّ إليـه غـيرَ مُلْـتَهَمِ
سُبحَانَ من ضَلَّل الأشقَى بِمَعْـصِيةٍ
فضَلَّ عن طرُقِ التوفيـقِ وهْـو عَـمِ
سُبحَانَ من إن يشأْ يجْـزِ المـسيءَ وإن
يَشَأْ عفـا عـن كبـيرِ الإثـم واللَّمـمِ

سُبحَانَ من منه نرجُو عَفْوَ مقْتَدِرٍ

ونستعيذُ به من بطْشِ مُنْتَقِمِ

سُبحَانَ من يُعدِمُ الموجودَ حين يَشَا

سبحان من أوجَدَ الأشياءَ من عَدَمِ

سُبحَانَ من لم يُحِطْ خلقٌ به وله

إحاطةٌ بجميعِ الخلْقِ كلِّهِمِ

سُبحَانَ من بدليلِ الوحْيِ زادَ هُدًى

من اهتدَى بدليلِ العقل والفِهَم

سُبحَانَ من شاء إمدادَ العقولِ بما

أوحَى إلى رُسْلِه في الأعصُرِ القِدَم

سُبحَانَ من تَمَّم الحسنَ بخاتَمِهم

محمدٍ خيرِ مبعوثٍ ومختَتَمِ

* * *

٣٣- بكلِّ الشوقِ

محمد التهامي

بكُـلِّ الـشَّوقِ في قَلْبـي طرقــتُ البــابَ يــا رَبِّي
وفي شَــفَتي ضَرَاعــاتٌ لقلــبٍ ذابَ في جَنْبِــي
دُعَــــاءٌ في تألُّقِـــــهِ ضِــيَاءٌ غــيرُ ذي لَهَــبِ
يَسِيلُ الطُّهـرُ في دمعـي ليغــسِلَ صِــدقُهُ ذَنبــي
وحَـسْبي أَنَّــك الرَّحمـــ ــنُ في رضـوانِهِ حسبي
تُجيــب ضراعــةَ المُحتــا ج عِندَ الموقفِ الـصَّعْبِ
وتَهْـدِي خُطْـوَةَ الحْـيرا نِ إن ضَلَّتْ على الدَّربِ
طلبتُ رضـاكَ يـا رحمـا نُ واسـترحَمْتُ في طَلَبـي
قصدتُكَ يا حِمَى رُوحـي ويا غَـوثِي مـن الكُـرَبِ
ويـا حِـصْني مِـنَ الأيَّـا مِ والأيَّــامُ تَعْــصِفُ بي
ويـا عَـوني عَـلَى الإنـسا نِ والإنــسانُ يغْــدِرُ بي
ويَلْـبَسُ ثـوبَ إنـسانٍ ليُخْفِـيَ صـورةَ الـذِّئبِ
ســألتُ اللهَ أن ترتــا حَ دُنيانــا مِــنَ اللَّهَــبِ
وأن يرتـاحَ صِـدقُ النَّـا سِ مِـنْ دوَّامـةِ الكَـذِبِ
وأن يخلُـو رحـابُ الأرْ ضِ مـن حَمَّالـةِ الحَطـبِ

وأن يـرضَى رضـاءً يُنــ ـقِذُ الدُّنيا مـن الغـضَبِ

ســـألتُ اللهَ أن يَهْـــدِي إلينـــا نعمَـــةَ الحُـــبِّ

وأن يَـسقي ظِـمَاءَ الـرُّو حِ مـــن تيَّـــارِهِ العَـــذْبِ

وأن يسري رحيـقُ الحُــ ـبِ من قلـبٍ إلى قلـبِ

فَنَـسْعَدُ كُلـما ضـمَّت خُطانــا لمـسةُ القُــربِ

ســـألتُ اللهَ والمـــسئُو لُ فوقَ الـشَّكِّ والرِّيَـبِ

هــو المُعطــي بــلا مــنٍّ عطــاءً غــيرَ مُقتَــضَبِ

دعوتُ وحُلمـيَ المـأمُو لُ يبدو اليومَ عن كَثَـبِ

تعــــالى اللهُ مــــن دانٍ إلى الـدَّاعي ومُقـتربِ[1]

* * *

(١) من ديوان يا إلهي، لمحمد التهامي (ص:٧-٨)، وانظر: رائق الشهد (ص:٤٥١-٤٥٢).

٣٤- ربٌّ لا يقهر

خير الدين وانلي

آمنــــتُ بـــــربٍّ لا يُقهَــــرْ سُـــبوحٍ قُـــدوسٍ أكـــبرْ
بالجبــتِ كفــرتُ وبالطــاغو تِ فدعْوَى الشّركِ هي المنكرْ
لا ربَّ لهذا الكونِ سوى الـ ـــخلّاقِ القيّـــومِ الأقْـــدَرْ
الخلــــقُ جميعًـــا قبَـــضتُهُ في الحشرِ ويا هولَ المحْـشَرْ
أبـــوابُ الخُلـــدِ مفتَّحـــةٌ والنـــارُ بمـــن يَهْـوِي تُـسعَرْ
وملائكــةُ النـيرانِ عـلى الــ أبـــوابِ تنفِّـــذُ مـــا تُـــؤمَرْ
وأمـــامَ الجنَّـــةِ ترحيـــبٌ من رضوانَ الملَكِ الأشْـهَرْ
والرسْـلُ بفـردوسٍ أَعْـلَى والـصِّدِّيقونَ ومـن شَـمَّرْ
الخلـــدُ طريـــقٌ مفـــروشٌ بالـشوكِ طويـلٌ مـسْتَوْعَر
والنـــارُ بلـــذّاتِ حُفَّـــتْ وبِمَكْـــروهٍ حُـــفَّ الكَـــوْثَر
لا يغفـــــرُ ربّي إشراكًـــــا والأدنَـــى مـــن ذَنْـــبٍ يُغْفَـــرْ
وشــفاعةُ أحمــدَ للعــاصي مـــن أهـــلِ الملَّـــةِ لا تُنكَـــرْ
وكـــذاكَ شـــفاعةُ قـــرآنٍ وشــفاعةُ طِفـلٍ مُستَـصْغَرْ
للهِ سَـــجَدْتُ ولم أســـجُدْ يومًـــا للطـــاغوتِ الأكفَـــرْ
للهِ نَـــــذَرْتُ ولم أنـــــذُر للقــــبرِ ومـــن فيـــهِ يُقـــبرْ

بـــاللهِ حَلَفْــتُ ولم أحْلِــفْ	بـــسواهُ فـــاللهُ الأكـــبرْ
للهِ عَمِلـــتُ ومـــا راءيـــتُ	فذاكَ هو الـشركُ الأصْـغَرْ
في اللهِ أُجاهِـــدُ لا أبغِـــي	أجـــرًا أو أبغِـــيَ أن أُذكَـــرْ
والعـونَ مـن المـولى أرجُـو	نعـــمَ المرجُـــوُّ المستنـــصَرْ
أدعُـــو الـــرحمنَ ولا أدعُـــو	ميتًـــا أو جنِّيًـــا أحمَـــرْ
وأخـــافُ الجبّـــارَ الأعـــلى	لا أخـــشَى جبـــارًا أصـــغَرْ
وأُحـــبُّ حبيبًـــا لا يفْنَـــى	لا ينـسى الحِـبَّ ولا يَبْهَـرْ
للهِ ذبحـــــتُ ولم أذبَــــحْ	لـسواهُ الهَـدْيَ ولم أَنحَـرْ
وعـــلى القيّـــومِ توكلـــتُ	عَـلَّامِ الغيـبِ ومـا يَظهَـرْ
ربّي الـــرزاقُ هـــو المعبـــودُ	هـو المقـصودُ هـو الأظهَـرْ
الكـــونُ جميعًـــا قبـــضَتُه	جـلَّ الفعَّـالُ المُـستقدَرْ[1]

* * *

(١) ديوان النصر للإسلام (ص:١٢٩-١٣٠).

٣٥- للّه الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ[1]

إلى اللهِ كـلُّ الأمـرِ في الخلـقِ كلّـه
ولـيس إلى المخلـوقِ شيءٌ مـن الأمـرِ

إذا أنا لم أقبَـلْ مـن الـدَّهرِ كـلَّ مـا
تكَرهْتُ منـه طـالَ عتبـي عـلى الـدهْرِ

تَعَـوَّدتُ مـسَّ الـضُّرِّ حتـى أَلِفْتُـهُ
وأحْـوجَنِي طـولُ العـزاءِ إلى الـصَّبْرِ

وصيَّرني يـأسي مـن النـاسِ راجيًـا
لِـسُرْعةِ لُطـفِ اللهِ مـن حيـثُ لا أدْرِي

* * *

(١) الله أهل الثناء والمجد (ص: ٦٧٠).

٣٦- إلهي وجاهي

لك الحمدُ طوعًا... لـك الحمـدُ فرضًـا

وثيقًـــا عميقًـــا... ســـماءً وأرضًـــا

لك الحمدُ صَـمْتًا... لـك الحمـدُ ذِكْـرًا

لــك الحمــدُ خَفْقًــا حثيثًــا... ونبـضًا

لـــك الحمـــدُ مـــلءَ خلايـــا جَنَـــاني

وكـــلّ كِيـــاني... رُنـــوًّا وغَمْـــضًا

إلهـــي وجـــاهي إليـــك اتِّجَـــاهي

وطيـــدًا مديـــدًا... لـــترضَى فـــأرضَى

فأنـــتَ قِـــوَامي... وأنـــت انـــسِجَامي

مـــع الكـــونِ والأمـــرُ لـــولاكَ فـــوضى[1]

* * *

(١) من ديوان قلب ورب لعمر بهاء الدين الأميري (ص:١٩٧-١٩٨).

٣٧- سبحانك يا الله

لكَ الحمدُ يا مُستوجِبَ الحمدِ دائـمًا
على كـلِّ حـالٍ حمـدَ فـانٍ لـدائمِ
وسـبحانكَ اللهُـمَّ تـسبيحَ شـاكرٍ
لمعروفِـكَ المعـروفِ يـا ذا المـراحِمِ
فكم لكَ من سترٍ عـلى كُـلِّ خَـاطِئٍ
وكـم لـكَ مـن بـرٍّ عـلى كـلِّ ظـالمِ
وجُودُكَ موجـودٌ وفـضلُكَ فـائضٌ
وأنتَ الذي تُرجَى لكـشفِ المظـالمِ
وبابُـكَ مفتـوحٌ لكُـلِّ مُؤمِّـل
وبـرُّك ممنـوحٌ لكـلِّ مُـصَارِمِ
فيا فالِقَ الإصباحِ والحَـبِّ والنَّـوى
ويـا قاسـمَ الأرزاقِ بـين العـوالِمِ
ويـا كافـلَ الحيتـانِ في لُـجِّ بحْرِهـا
ويا مُؤنسًا في الأفقِ وحـشَ البهـائِمِ
ويا مُحصي الأوراقِ والنبتِ والحصَى
ورمـلِ الفَـلا عَـدًّا وقطـرِ الغَمَائـمِ

إليـكَ توسَّـلنا بـكَ اغْفِـر ذُنُوبَنـا
وخفِّفْ عَنِ العَاصـينَ ثِقْـلَ المظَـالِمِ
وحبِّبْ إلينا الحـقَّ واعِـصْم قُلُوبَنَـا
من الزَّيغِ والأهواءِ يا خـيرَ عاصـمِ
ودمِّـر أعادِينـا بـسُلطانِكَ الـذي
أذلَّ وأفنَـى كُـلَّ عـاتٍ وغاشـمِ
ومُـنَّ علينـا يـومَ ينكَـشِفُ الغطـا
بـسترِ خَطَايَانـا ومَحْـوِ الجَـرَائمِ
وصـلِّ عـلى خـيرِ البرايـا نبيِّنـا
مُحمَّـدٍ المبعُـوثِ صـفوةِ آدمِ

* * *

٣٨- ربِّ رحماك!

لـكَ محيــايَ خالـصًا.. ومـمـاتي يـا إلهـي.. ويـا عظـيمَ الـصَّفِاتِ

لكَ سَعْيي.. وفيـكَ غايـةُ حُبِّي ونجَـاوَى ضرَاعتـي.. وصـلاتِي

وسُجُودي.. معـرَاجُ رُوحـي وعَقـلي وانعِتـاقي.. ولـذَّتي.. وحَيـاتِي

وكـأنّي في بحـرِ نـورِكَ طيـفٌ هـائمُ الـشَّوقِ.. واكِـفُ[1] العـبَراتِ

وأرى الكـونَ.. الفـضاءَ.. كِتَابًا سُـطِّرَتْ فيـه أروعُ الآيـاتِ

كـلُّ شيءٍ مرآتُـهُ عنـكَ تحْكِـي وتُرينـا الإبـداعَ.. والمعجـزَاتِ

ولسانُ الوجـودِ يلهَـجُ بالحمـدِ اعـ ـترافًا مِنـهُ بفـيضِ الهِبـاتِ

ربِّ رُحماكَ!.. كـلُّ نبـضَةِ عِـرقٍ مـن فُـؤادي تجـيشُ بالـدَّعواتِ

قصُرَتْ هِمَّتـي.. وهِـيضَ جَنـاحِي أيـنَ مِنّـي النُّهـوضُ بالواجبـاتِ

أين بذلي من أجلِـكَ الـنَّفسَ وَالمَـا لَ.. ومَعنَـى تجَـرُّدي.. وثَبَـاتِي

طَالمَا قد ظلَمـتُ نَفْـسِي.. فعَفـوًا وأعِنِّـي ربِّي عـلَى الطَّاعـاتِ

ورجَائي.. وحُسنُ ظَنِّـي.. وصِـدْقي هُـو يـومَ الحسَابِ حبـلُ نجَـاتي[2]

* * *

(١) واكف: منهمر.

(٢) ديوان (جراح وكلمات)، انظر: رائق الشهد (ص: ٧٠-٧١).

٣٩- أطيار

مصطفى عكرمة

هُنــا في الــرَّوضِ أطيــارٌ بحَمْـــدِكَ ســبَّحت رَبِّي
أَرىَ أَشْــكَالَهَا اختَلَفــتْ ولكـــن كُلُّهــا تَــصْبِي
تنــاغَمَ صــوتُها.. وحَكَــى لنـــا في رِقَّـــةِ الــصَّبِّ
بألحـــــانٍ تبايُنُهــــــا بأفــصَحِ مَنطــقٍ يُنْبِــي
بأنَّــكَ أنــتَ مُبــدِعُها ومُبــدعُ لَحْنِهــا العَــذبِ
وأنــتَ هــديتَها طَبعًــا يُحَــيِّرُ كُــلَّ ذي لُــبِّ
وأنــتَ منحتَهــا عَزمًــا عــلى التَّحليــقِ يــا رَبِّي
تَــسَاوَى عِنــدَ أصــغَرِها قَــصِيُّ البُعــدِ بــالقُربِ
أقامَــت في الــذُّرَى وكــرًا لتَــأمنَ كُــلَّ ذي رُعْــبِ
تطــيرُ لَــهُ عــلى أمــنٍ وتَهْـدِي البِـشْرَ للزَّغْـبِ[1]
وتُخــرجُ مــن حَوَاصِــلِها وتُطعِمُهــا مــن الحَــبِّ
وترعاهــا لِكــي تَقْــوَى وتمــرَحَ في المَـدَى الرَّحْـبِ
وتهتِــفُ باسـمِكَ الأعــلَى مُــــسبِّحةً أيــــا رَبِّي
فكـــم مـــن آيـــةٍ فيهـــا غَفَا عـن وَعْيِهـا صَـحْبي!

---

(١) الزغب: صغار الطير التي لا ريش لها.

وإدراكُ الـــذِي تُـــوحِي ... هِ كـــانَ.. ولم يَـــزَل دَأبي

فمَـــنْ إلّاكَ أرشَـــدَها ... لتَحيـا العُمـرَ في حُـبِّ!

ومـــن إلَّاكَ سَـــوَّاها ... تُحَـــيِّرُ كـــلَّ ذِي لُـــبِّ!

إلهـي إنَّ بعـضَ الطَّيْـ ... ـرِ في تـسبيحِها.. قَلبـي

وحَـسْبي اليَـومَ إيـمانِي ... بقُـدرةِ خـالِقي حَـسْبي[1]

* * *

(١) حتى ترضى (ص: ٤٢-٤٤).

٤٠ - يكفيك ربٌّ لم تَزَل في حفظِه

ابن قيم الجوزية

يكفيكَ من وَسِع الخلائِقَ رَحمةً ... وكفايَةً ذُو الفضلِ والإحسانِ

يكفيكَ من لم تَخْلُ من إحسانِهِ ... في طَرْفَةٍ كتقلُّبِ الأجفانِ

يكفيكَ ربٌّ لم تَزلْ ألطَافُهُ ... تَأتِي إليكَ برحمَةٍ وحَنانِ

يكفيكَ رَبٌّ لم تَزلْ في سِترِهِ ... ويَراكَ حينَ تَجِيءُ بالعَصيانِ

يكفيكَ ربٌّ لم تَزلْ في حِفظِهِ ... وَوِقَايةٍ منهُ مَدَى الأزمَانِ

يكفيكَ ربٌّ لم تَزلْ في فَضلِهِ ... مُتقَلِّبًا في السِّرِ والإعْلانِ

يدعُوهُ أهلُ الأرضِ مَعْ أهلِ السَّما ... ءِ فكلُّ يومٍ ربُّنا في شَانِ

وهُو الكفيلُ بكُلِّ ما يَدعُونَهُ ... لا يَعتَرِي جدوَاهُ من نُقصانِ[1]

* * *

(١) الكافية الشافية

٤١- تسبحُ كلُّ الكائناتِ بحمدهِ

تَباركَ مَنْ شُكْرُ الوَرَى عنهُ يقصُرُ
لكونِ أيادي جُودِهِ ليسَ تُحْصَرُ

وشَاكرُها يحتاجُ شُكرًا لشُكرِهَا
كذلكَ شُكرُ الشُّكرِ يحتاجُ يُشكرُ

ففي كلِّ شُكرٍ نعمَةٌ بعدَ نعمةٍ
بغيرِ تناءٍ دُونهَا الشُّكرُ يصْغُرُ

فمن رَامَ يقضِي حقَّ واجبِ شُكرِهَا
تحَمَّلَ ضمنَ الشُّكرِ ما هُو أكبرُ

تُسبِّحُهُ الحيتانُ في الماءِ وفي الفَلَا
وحُوشٌ وطَيرٌ في الهَوَاءِ مُسخَّرُ

وفي الفُلكِ والأملاكِ كُلٌّ مُسبِّحٌ
نهَارًا وليلًا دائمًا ليسَ يفتُرُ

تُسبِّحُ كلُّ الكائناتِ بحَمدِهِ
سَمَاءٌ وأرضٌ والجبَالُ وأبحُرُ

جميعًا ومن فِيهنَّ والكُلُّ خاشِعٌ
لهيبَتِهِ العُظمَى وَلَا يتكَبَّرُ

لــهُ كُــلُّ ذرَّاتِ الوجُــودِ شَــواهدٌ

عــلى أنــهُ البَــاري الإلَــهُ المُـصوِّرُ

دَحَا الأرضَ والسَّبعَ السَّماواتِ شَادَهَا

وأتقنَهَـــا للعـــالمينَ ليَنظُـــرُوا

وأبــدَعَ حُــسنَ الــصُّنعِ في ملكُوتِهَــا

وفي مَلَكوتِ الأرضِ كــي يَتَفكَّــرُوا

وأوتَــدَهَا بالرَّاسِــيَاتِ فلَــم تَمِــدْ

وشَــقَّقَ أنهــارًا بِهَــا تتفَجَّــرُ

وأخــرجَ مرعَاهــا وبــثَّ دوابَّهَــا

وللكُــلِّ يــأتِي منــهُ رِزقٌ مُقــدَّرُ

من الحَبِّ ثمَّ الأبِّ والقـضْبِ والكَـلَا

ونخْــلٍ وأعْنَــابٍ فَواكِــهُ تُثمِــرُ

فأضحَت بِحُسنِ الزَّهرِ تَزْهُو ريَاضُها

وفي حُلَــلٍ نــسجُ الرَّبيــعِ تَبَخــتَرُ

وزَانَ سَــمَاءً بالمــصَابيحِ أصــبحَتْ

وأمستْ تُبَاهِي الحُسْنَ تزهُو وتَزهَرُ

ترَاهَــا إذا جَــنَّ الــدُّجَى قــد تقلَّــدَت

قلائِــــدَ دُرِّيٍّ لِــــدُرٍّ تُحَقَّــــرُ

فيَـا نَـاظِرًا زهـرَ البَـسَاتِين دُونَهَـا
أظُنُّكَ أعمَى ليسَ للحُسنِ تُبصِرُ[(١)]

* * *

٤٢- اللّه سندنا

خير الدين وانلي

مـا غـيرُ اللهِ لنـا سَـندُ ... فعليـهِ دومًـا نعتَمِـدُ
لم نـشركْ يومًـا بالبـاري ... فهو الأحـدُ الفـردُ الـصَّمدُ
مـن للمـضْطرِّ إذا نَـادَى ... كي يكْشِفَ عنـهُ مـا يجـدُ؟
مـن للمحْـزونِ وللمكـرو ... بِ وللمَلْهـوفِ المعتَمَـدُ؟
مـن غـيرُ اللهِ يُؤيِّـدُنا ... بالنـصرِ ومـن منـهُ المـدَدُ؟
فعـلى الـرحمنِ توكلّنـا ... وإليـهِ نَجِـدُّ ونجتَهِـدُ
ولـه أسـلَمْنا عـن طـوعٍ ... وبـهِ نعتـزُّ ونعتَـضِدُ
وإليـهِ أنبْنـا في ذلٍّ ... مـن هَـوْلِ جهـنمَ نرتَعِـدُ
نـدعُوه نرجُـو جنَّتَـهُ ... فالخلـدُ منـالٌ مبتَعَـدُ
لكـنَّ الرحمـةَ واسـعةٌ ... يُؤتَاهـا العبـدُ المجتَهِـدُ[(٢)]

* * *

(١) رائق الشهد (ص:٨٥-٨٦).
(٢) ديوان النصر للإسلام (ص:١٣١).

٤٣- أمّن ينجيكم في ظلمات البر والبحر

عبد الرحمن حبنكة

رَكِبــتُ البِحــارَ وأهوالَهــا وحَمَّلــتُ في الفُلْــكِ أحمَالَهــا
وخُـضْتُ العُبـابَ وأمواجَـهُ وقــد زُلزِلَــتْ فيــهِ زلزالَهَــا
وهاجَـتْ عواصِـفُهُ في الـضَّبا بِ وجــرَّتْ ليالِيــهِ أذيالَهَــا
وخفَّـت عـلَى موجِـهِ الجَاريـا تُ وقطَّعــتِ الــنَّفسُ آمالَهَــا
ولم يبـقَ مـن سَـبَبٍ يُرتجَـى وأوقَفَــتِ النَّــاسُ أعمالَهَــا
ونـادَى المُنـادِي: إلهِـي أغِـثْ فإنَّــكَ وحــدَكَ تُرجَــى لَهَــا
فأرخَى المُهـيمِنُ حَبْـلَ النَّجَـا ةِ ونَــالَ الــسَّلامَةَ مــن نَالَهَــا
وأرْسَتْ علَى الشَّاطيءِ المُرتجَى وألقَــتْ عــلَى الــبَرِّ أثقَالَهَــا
وأثنت علَى اللهِ نَفسُ الـشَّكُورِ ولم يُنــسِها الأمــنُ أحوَالَهَــا
وكـم أنفُـسٍ جَحَـدت رَبَّهـا ومــرَّتْ تُجَــرِّرُ أذيَالَهَــا
وساوِسُ شيطَانِهَا اسـتحْوَذَتْ علَيهَــا مــن الــوَهمِ فاجتالَهَــا
فيَـا ويلَهَـا أنفُـسًا بـالجُحُو دِ تُقَابِــلُ أنعُــمَ مــن عَالَهَــا
وتتبَـعُ أوهَامَهَـا البَـاطِلا تِ وتَعبُــدُ بالــذُّلِّ مُغتالَهَــا

***

٤٤- زهرةُ الروض أجيبي

شَـدَّني الحُـسنُ وأغـرَى إذ رَأت عينَـايَ زهــرَه
تنـشُرُ العِطـرَ وتُـضفِي من شَـذَا العِطـرِ المسَرَّه
بهجَــةُ العــينِ ولُطفًــا رَفَّ إحــساسًا وفِكــرَه
يــأسِرُ الــرَّائينَ طَوْعًــا يـنفُحُ الأرجَـاءَ سِـحرَه
زهـرَةَ الـرَّوضِ أجيبِـي من تُـرَى أهـدَاكِ نَـضْرَه
مـن تُـرَى أنـشاكِ أُنـسًا لمُحِـــبٍّ زَادَ صَـــبْرَه
مـن تُـرَى أهـدَاكِ ألـوَا نًـا لَهَـا في الـسِّحرِ قُـدرَه
تَجْــذِبُ الــرَّائين طُــرًّا تَفْــتِنُ الألبَــابَ بُكــرَه
مـــن أُنـــاسٍ وطُيُــورٍ رَاقَهَــا الحُــسنُ بزَهْــرَه
أو هَــوَامٍ تنقُــلُ الطَّلْــعَ فتَزهُــــو مِنــــهُ دُرَّه
من تُـرَى أهـدَاكِ عِطـرًا تنـشُدُ الأحيَـاءُ سِـحرَه
من تُـرَى سَـوَّاكِ شـكلًا يُرهِـفُ الحِـسَّ بنَظـرَه
من تُـرَى أجـرَى حيـاةً فيكِ إذ مـا كُنـتِ بِـذْرَه
من تُرَى أنبَـتَ مـن مَـيْ تٍ حيـــاةً ومَـــسَرَّه
من تُرَى أسرَى بـكِ المَـا ءَ فكَانـت مِنـهُ خُـضرَه
زهرَةَ الرَّوضِ تُرَى مـن فيــكِ قــد أودَعَ خَــيرَه

من تُرَى أهـدَاكِ سِـحْرًا زاهيًــا يُحْــسِنُ أسرَه

فأَمَالــت زهــرَتي رَأ سًــا وأَومَــت لي بنَظْـرَه

خـــالِقي اللهُ تعَــالى فِيَّ قــــد أودَعَ سِرَّه

خـــالِقي اللهُ تجَـــلَّى مُبــدعًا في كُــلِّ ذَرَّه[1]

* * *

(١) رائق الشهد (ص: ٣٣٤-٣٣٥).

٤٥ - توبة وإقبال

ربّ قــد أقبلــتُ في ظــلِّ رحابِــكْ
خاشعَ الطرفِ لـدى نـورِ شِـهَابكْ
خاضــعَ الــنفْس ذلــيلًا صــاغرًا
وفــؤادي ســاجدٌ يَجْثُــو ببابِــكْ
كــم بكــى يــا ربّ في سَــجْدَتِه
إذ يهــابُ الهــولَ في يــومِ حِـسَابِكْ
يرقُــبُ الغفــرانَ في يــومِ الظَّــمَا
وهو يرجُو الوردَ من فَيْضِ شَرَابِـكْ
كلـــما وَسْــوَسَ شــيطانُ الهَــوَى
قلــتُ يــا شـيطانُ سُـحْقًا لِـسَرَابِكْ
أو دَعَــــاني خــــاطرٌ يعْــــصِفُ بي
قلــتُ يــا شــاعِرُ رِفْقًــا بِـشَبابِكْ
كيــف تَــشْرِي ضَــلَّةً بعــدُ هــدًى
وتُمَنِّــي الــنفسَ ظلــمًا بِخَرَابِــكْ
أنــت مــا زلــتَ فَتًــى لا تَرْعَــوِي
ضَــلَّتِ الحكمــةُ في غَــضِّ إِهَابِــكْ

عُــــدْ إلى اللهِ وَرَتِّـــــلْ آيَــــهُ
فلعــــلَّ الله يــــرضَى بمَتَابِــــكْ
ربِّ لــــن يَهْــــدِيَنِي في حَــــيْرَتِي
غــيرُ نــورٍ وَســنَاءٍ مــن كتابِــكْ[1]

* * *

٤٦- رحماك يا ربَّ العبادِ

رحْمَــاك يــا ربَّ العبــادِ رجَــائي ... ورِضَاك قَصْدِي فاستجِبْ لِـدُعَائي
وحَمِــاك أَبْغِــي يــا إلهــي راجيًــا ... منــك الرِّضــا فَجُــدْ بــوَلائي
ناديتُ باسْمِك يـا إلهـي ضـارِعًا ... إن لم تُجِبْنــي فمــن يُجيــبُ بُكــائي
أنتَ الكــريمُ فـلا تَـدَعْني تائِهًـا ... فلقَـدْ عَييـتُ مـن البِعَـادِ النَّـائي
ما لي سِوَى أعتابِ جُودِكَ مَوْئِـلٌ ... فلئِن رُدِدتُ فمن سِوَاكَ رَجَـائِي
ولقد رجوتُـك يـا إلهـي ضَـارِعًا ... متــذللًا فــلا تَــرُدَّ رجَــائِي[2]

* * *

(١) يوسف العظم (السلام الهزيل) (ص: ١٤-١٦).
(٢) أناشيد فتية الحق (ص: ٣٧).

٤٧ - توكلتُ على اللّهِ

توكلــتُ في رِزقِــي عــلَى اللهِ خــالقِي
وأيقنـــتُ أن اللهَ لا شَـــكَّ رازِقـــي
ومـا يَـكُ مـن رزقِـي فلـيسَ يفـوتُني
ولــو كــانَ في قَــاعِ البِحــارِ الغوامِــقِ
ســـيأتي بـــهِ اللهُ العظـــيمُ بِفَـــضْلِهِ
ولــو لم يكــنْ مِنــي اللــسانُ بنَــاطِقِ
ففــي أيِّ شيءٍ تــذهَبُ الــنفسُ حــسرَةً
وقــد قــسَّمَ الــرَّحمنُ رِزقَ الخلائِــقِ[1]

* * *

(١) ديوان الشافعي (ص:٩٩).

٤٨ - حبيبُ القلوب

هبِ الرسلُ لم تأتِ من عندِه ... ولا أخْبرتْ عن جمالِ الحبيبِ
أليس من الواجبِ المسْتَحَقِّ ... محبتُه في اللِّقَا والمغيبِ؟
فمن لم يكنْ عقلُه آمرًا ... بذا ما له في الحِجَى من نَصِيبِ
وإن العقولَ لتدعُو إلى ... محَبةِ فاطرِها من قريبِ
أليستْ على ذاك مجبولةً ... ومفطورةً لا بكسْبٍ غريبِ؟
أليس الجمالُ حبيبَ القلوبِ ... لذاتِ الجمالِ، وذاتِ القلوبِ؟
أليس جميلًا يحبُّ الجمالَ؟ ... تعالى إلهُ الورَى عن نَسِيبِ
أما بعدَ ذلك إحْسَانُه ... بداعٍ إليه الفُؤاد المنيبِ؟
فمن ذا يُشَابِهُ أوصَافَه؟ ... تعالى إلهُ الورَى عن ضَرِيبِ[1]
ومن ذا يكافئُ إحسانَه ... فيألُهُ قلبُ عبدٍ منيبِ؟
وهذا دليلٌ على أنَّه ... إلى كلِّ ذي الخَلْقِ أولى حبيبِ
فيا منكرًا ذاك واللهِ أنت ... عينُ الخصيمِ وعينُ الحريبِ[2]
ويا من يُحِبُّ سواه كمثـ ... ـلِ محبتِه أنت عبدُ الصَّلِيبِ
ويا من يوحِّدُ محبوبَه ... ويُرضيه في مَشْهدٍ، أو مغيبِ
حَظَيْتَ وخَابوا فلا تَبْتئسْ ... بكيدِ العدوِّ وهجرِ القريبِ[3]

---

(١) ضريب: يقال: فلانٌ ضريب فلان: إذا كان شبيهًا له.

(٢) الحريب: المحارب والمسلوب.

(٣) الله أهل الثناء والمجد (ص:٣٦٣-٣٦٤).

٤٩ - آياتٌ من الدُّرر

محمد عبد الله القولي

تبـــاركَ اللهُ زانَ الأرضَ بالـــدُّررِ ... واستنطَقَ الحُسنَ في زَهرٍ وفي شَجَرِ

وهَزْهَزَ الأرضَ من نومٍ ليُوقِظَهَـا ... ورشَّ في وجهِهَا الوسنَانِ بـالمطَرِ

وأرسلَ الشَّمسَ تُذكيهَا بقُبلتِهَـا ... فاستعذَبَتْ دفئَهَا المحفوفَ بالخَدَرِ

وحرَّكَ الرِّيحَ مسَّت شَـعْرَهَا بيـدٍ ... كأنهَّا الطَّيـفُ يغـشَاهَا بـلا كَـدَرِ

وأرسلَ النَّهرَ تُطفِي فيـهِ حُرقَتَهـا ... وتـستَقي رَغَـدًا ينـسَابُ بـالنَّهرِ

وأبهجَ الطَّـيرَ فـاهتزَّت مَعَازِفُهَـا ... تُدغدِغُ السَّمعَ في لحـنٍ بـلا وتَـرِ

وغـرَّد البُلبُـلُ الـصَّدَّاحُ يُطربُهَـا ... فينتشِي الحسُّ ما في الكأسِ من سكَرِ

ففتَّحَـتْ عينَهَـا والنَّـومُ يجـذِبُهَا ... ومسَّحَتْ ذَيلَ طيفٍ عَادَ للـسَّفرِ

وسبَّحتْ ربَّهَا الوهَّابَ واتَّكـأتْ ... وأعتدَتْ مجْلِسًا كم طَابَ للبَـشرِ

وفكَّـرتْ أيَّ ثـوبٍ تنتَقِـي لهُمُـو ... تحـيَّرَ القلـبُ مـن أثوابِهَـا الكُثُـرِ

تنهَّدَتْ نـشَرَتْ أزهَـى ملابِـسَهَا ... وقلَّبـت تَـصْطَفِي الفتَّـانَ للنَّظـرِ

وسـارَعتْ لِحِلَاهـا تنتَقِـي قمَـرَا ... عِقْـدًا تـألَّقَ في نَجْماتِـهِ الزُهُـرِ

تقلدَّتـــهُ وفي حبَّاتِـــهِ بَهَـــرٌ ... قد هيَّجَ اللؤلؤَ الوضَّـاءَ كـالقمَرِ

تبـسَّمتْ وارتـدَتْ ثوبًـا يُزيِّنُهـا ... وصفَّقَتْ للجَواري إقتفِي أثَـري

تباركَ اللهُ أعطَى الحُسنَ مُقتَـدِرًا ... فاختَالتِ الأرضُ في وَشيٍ من الزَّهَرِ

وجَرجَرتْ ثوبَهَا المعطُورَ مَنْسَجُهُ ... وأفرَدَت ذَيلَهُ المرشُوشَ بالـصُّورِ

وأشرقَــتْ بعَطــاءِ اللهِ تلبَــسُهُ ... وتزدَهِـي بجـَمالٍ سـارَ في زُمَـرِ[1]

ترنو إلى المَاءِ تلقَـى فيـهِ صُـورتَهَا ... وتَنْتَـشِي فرَحًـا مـن آيِهَـا الغُـرَرِ

شتَّى من النَّبتِ هذِي الأرضُ قَد وَلَدَتْ ... وأودَعَتها الـدُّنا للعـيشِ والنَّظـرِ

ففي الرُّبا شَجَرٌ أفنانُـهُ ضَـحِكَتْ ... ويبسُمُ الزَّهـرُ مَطْوِيًّـا عـلى ثَمَـرِ

وفي البحـارِ نبـاتٌ راقَ سَـاكنَهَا ... تحيَـا عليـهِ ويحمِيهـا مـن الخطَـرِ

والنَّهرُ قِيعَانُهُ بالنَّبتِ قد فُرِشَـتْ ... تبـاركَ اللهُ بـثَّ الخَـيرَ في النَّهَـرِ

والماءُ مُدْهِشَةٌ في الأرضِ صـنعَتُهُ ... والنَّبتُ مُختَلِفٌ في الذَّوْقِ والصُّورِ

تباركَ اللهُ أَعطَـى الأرضَ فتنَتَهـا ... واستنطقَ الشِّعرَ آياتٍ من الـدُّرَرِ[2]

* * *

(١) زمر: جماعات.

(٢) رائق الشهد (ص: ٣٣٢-٣٣٤).

٥٠- الإبداعُ

خير الدين وانلي

تفــوحُ روائــحُ الرَّيحــانِ ... لا أزْكَـــى ولا أطْيَـــبْ

ويـشْدُو الطـيرُ في البستانِ ... لا أنْـــدَى ولا أطْـــرَبْ

ويزهــو الزهــرُ في الرّمــانِ ... لا أبْهَـــى ولا أعْجَـــبْ

فَجَلَّـــتْ قُـــدرةُ الـــرحمنِ ... لا أَقْـــوَى ولا أغْـــرَبْ

يُنــادي البلبــلُ الــشَّادي ... رفيقتَـــــه ويُغرِيهـــــا

وتثغـو[1] الـشاةُ في الـوَادِي ... فـــلا تُنـــسَى بوادِيهـــا

ومــاءُ البركـــةِ الهـــادي ... يعـــانِقُ رمْـــلَ شَـــاطِيها

وألحـــانٌ مـــن الحَـــادِي ... إلى الغَـــيْماتِ يُهـــديها

يـــدُ الإبـــداعِ في الكـــونِ ... بكـــلِّ خليقـــةٍ تظهَـــرْ

مـــن الأصـــواتِ واللـــونِ ... إلى الأعـــراضِ فـــالْجوهَرْ

فَـــسِرْ في الأرضِ في هَـــوْنِ ... ولا تَـــسْتَعْلِ أو تفخَـــرْ

فأنـــتَ أحـــقُّ بـــالعَوْنِ ... وأنت الأضْـعَفُ الأصْـغَرْ

كتـــابُ اللهِ مَفْتـــوحٌ ... لمـــن يَـــسْتَوْضِحُ الـــسِّرَّا

ونـــصرُ اللهِ ممنـــوحٌ ... لـــراجٍ عنـــدْ النَّـــصْرَا

---

(١) تثغو: تصيح.

ورزقُ اللهِ مَطْـــــروحٌ لمـن قـد قـدَّمَ الـشُّكْرَا
وفعـلُ الخـيرِ مَـسْموحٌ بـهِ فاسـتكثرِ الأجْـرَ
عـن الأرواحِ لا تَـسْأَلْ فـسرُّ الـروحِ مجهـولُ
ولا تُهْمِـلْ ولا تَكْـسَلْ فراعـي الـضأنِ مَـسْؤولُ
وسـلْ عـن كـلِّ مـا تجهَـلْ فهـذا العِلـمُ مبـذولُ
ويَلْقَـى المـرءُ مـا يَعْمَـلْ وفَـضْلُ اللهِ مـأمولُ
تأَمّـلْ صَـنْعَةَ الخـالِقْ وكـلُّ الخلـقِ آيـاتُ
فهـذا كَوْكَـبٌ سـامِقْ وهـذي الأرضُ ذرَّاتُ
وهـذا شـامخٌ شـاهِقْ وذاكَ الـسهلُ جَنَّـاتُ
ومـوجٌ زاخـرٌ دافِـقْ وأحيـاءٌ وأمـواتُ
وكـلُّ الكـونِ إحْكَـامٌ مِـنَ الأسْـمَى إلى الأصـغَرْ
وديـنُ اللهِ إسـلامٌ عـلى أدْيـانِهم يظهَـرْ
وشرعُ اللهِ أحكـامٌ جَلِيَّـاتٌ لمـن أبـصَرْ
ووحـيُ اللهِ إلهـامٌ فجـلَّ الخـالِق الأكْـبَرْ[1]

* * *

---

(١) ديوان النصر للإسلام (ص: ١٤٠-١٤١).

٥١- عجائب أصناف النبات

عبد الرحمن حبنَّكة

عجائـبُ لا تنتَهِـي في النَّبـاتْ ... تـدلُّ عـلى الخـالقِ المقتـدِرْ

عجائـبُ في أصـلِ تكوينِـهِ ... عجائـبُ في نَجْمِـهِ والـشَّجَرْ

عجائبُ لا تنقَضِي في الجُـذُورْ ... وفي السُّوقِ ثـمَّ بفَـيْضِ الثَّمـرْ

عجائـبُ تبـدُو بأوراقِـهِ ... ومـا جَمَّعَـتْ مـن ثُغـورٍ كُثُـرُ

نـسيجٌ بـهِ يُـدْهِشُ النَّـاظرينْ ... وتحتـارُ فـيهَا حَـوَاهُ الفِكَـرْ

ومختَلِفَـاتٌ بـهِ لا تُعـدُّ ... فتحلُو صُـنُوفٌ وأُخـرى تَمُـرّ

وكـلٌّ لـهُ مَيْـزةٌ في الحَيـا ... ةِ يعـرِفُ قيمتَهَـا مـن خَـبَرَ

***

٥٢- سبحانك ربي

أُســـبِّحُ ربي مثـــلَ الطيـــور ... وأهتـــفُ باســـمِ إلهـــي كبـــيرْ

أرى كبريـــاءً بلـــونِ الـــسَّماءْ ... ووَمْـضِ النجـومِ وبُعْـدِ المسيرْ

وفي شَـــفَقٍ مُـــشْفِقٍ كـــالجراحْ ... يُـــذَكِّرُ مـــن أبـــصَروا بالـــسَّعير

وحـين يـساقُ الـسَّحَابُ الجـوادْ ... ليُحْيِيَ في الأرضِ مَـوْتَى القبـورْ

وفي الشمْسِ لُفَّتْ بخِـدْرِ الحيـاءْ ... تُنـــادِي الأحبَّـــةَ عنـــد البُكُـــورْ

وفي النخـــــلِ دانٍ بِقنوانِـــــهِ ... وفي النَّحْـلِ يجمَـعُ حُلْـوَ العبـيرْ

بـــصوتٍ تَرَقْـــرَقَ بـــين الحَـــصَا ... بِكَـــفِّ الحبيـــبِ البـــشيرِ النَّـــذِير

بغِبْطَـــةِ بـــشرٍ بليـــلٍ حَـــزِين ... بَبَـــسْمةِ طفـــلٍ حبيـــبٍ صَـــغير

أبيـــعُ وربّي منـــي اشْـــتَرَى ... أبيـــع الحيـــاةَ ولا أستَـــشِير

وأُشـــهِدُ خَلْقَـــكَ أَني عبـــدٌ ... أَحَـــبَّ المليـــكَ العزيـــزَ الغفـــور

وأُســـلمَ عنـــد لِقَـــاك الرِّحَـــا ... لَ وأُلْقِـي لـديْك عَنَـاءَ المـسِير[1]

* * *

---

(١) أناشيد دعوة الحق (ص:١٣٦).

٥٣- قف بالخضوع

البرعي

قـــف بالخـــضُوعِ ونـــادِ يـــا اللهُ إنَّ الكـــريمَ يُجيـــبُ مـــن نـــاداهُ

واطلُب بطاعَتِهِ رِضاهُ فلـم يـزَلْ بـالجودِ يُـرضِي طـالبينَ رِضَـاهُ

واســأَلْهُ مغفــرةً وفــضْلًا إنَّـهُ مبـــسوطَتَانِ لـــسَائليهِ يـــداهُ

واقصِدْهُ منقطِعًا إليـه فكـلُّ مـن يرجُـــوهُ مُنقطِعًـــا إليـــه كفـــاهُ

شَـمِلَتْ لطائِفُـهُ الخلائِـقَ كلَّهَـا مـــا للخَلَائـــقِ كافـــلٌ إلَّا هُـــو

فعزيزُهـــا وذليلُهـــا وغنيُّهـــا وفقيرُهـــا لا يرتَجُـــون سِـــوَاهُ

مَلِكٌ تـدينُ لـهُ المُلـوكُ ويَلْتَجِـي يـــومَ القيامـــةِ فقـــرُهُم بغِنـــاهُ

هــو أوَّلٌ هــو آخــرٌ هــو ظــاهرٌ هــو بــاطنٌ لــيسَ العيُــونُ تــراهُ

حجَبَتْــهُ أسرارُ الجَــلالِ فدونَــهُ تَقِـفُ الظُّـنونُ وتَخْـرُسُ الأفْـواهُ

صَـــمَدٌ بـــلا كـــفْءٍ ولا كيفيَّـــةٍ أبـدًا فـما النُّظَـراءُ والأشْـبَاهُ؟!

شَهِدَتْ غرائبُ صُـنعِهِ بوجُـودِهِ لـــولاهُ مـــا شَـــهِدَت بـــهِ لـــولاهُ

وإليـهِ أذعَنـتِ العُقـولُ فآمنَـتْ بالغيـــبِ تـــؤثِرُ حُبَّهـــا إيَّـــاهُ

سُبحانَ من عَنَتِ الوُجُوهُ لوجْهِهِ ولـــهُ سُـــجُودٌ أوجـــهٌ وجبـــاهُ

طوعًـا وكرهًـا خاضِـعينَ لعِـزِّهِ ولــهُ عليهــا الطَّــوْعُ والإكْــرَاهُ

سَـلْ عنـهُ ذرَّاتِ الوجُـودِ فإنهـا تـــدعُوهُ معبُـــودًا لهـــا ربَّـــاهُ

أبدي بمُحْكَمِ صَنِيعِهِ مـن نُطفـةٍ بَـشَرًا سـويًّا جـلَّ مَـنْ سَـوَّاهُ

وبنى السَّمواتِ العُلا والعَـرشَ وال كُـرسيَّ ثـمَّ عـلا عليـه عُـلاهُ

ودَحا بساطَ الأرضِ فرشًـا مُثبتًـا بالرَّاسِـيَاتِ وبالنَّبـاتِ حَـلاهُ

تجري الرِّياحُ على اختلافِ هبُوبِها عـن إذنِـهِ والفُلـكُ والأمـواهُ

ربٌّ رحـيمٌ مُـشْفِقٌ متعطِّـفٌ لا ينتَهِـي بالحَـصْرِ مـا أعطـاهُ

كـم نعمـةٍ أولى وكـم مـن كُربَـةٍ أجـلَى وكـم مـن مُبـتلًى عافـاهُ؟!

وإذا بُليـتَ بغُربـةٍ أو كُربـةٍ فـادعُ الإلـهَ ونـادِ يـا اللهُ

لا تُحسنُ الظنِّ الجميـلِ بـهِ يَـرى سُـوءًا ولا راجِيـهِ خـابَ رجـاهُ

ولحِلْمِـهِ سُـبحانهُ يُعـصَى فلـم يَعْجَـلْ عـلى عبـدٍ عَـصَى مـولاهُ

يأتيـهِ مُعتَـذِرًا فيقبـلُ عُـذْرَهُ كرمًـا ويغفـرُ عمـدَهُ وخَطَـاهُ

يا ذا الجلالِ وذا الجمالِ وذا البَقَـا يـا مُـنعِمًا عـمَّ الأنـامَ نَـدَاهُ

* * *

٥٤- روعة الخلق

خير الدين وانلي

بـديعٌ كـلُّ مـا في الكَـوْ ... نِ خلـقُ المبْـدعِ القـادرْ
جميـلٌ كـلُّ مـا في الكـوْ ... نِ للمُـسْتَمْتِعِ الـشَّاعِرْ
تأَمَّـلْ هـل تَـرَى عيبًـا ... بـصُنعِ المـتقِنِ الفـاطِرْ
تعـالى اللهُ ربُّ العَـرْشِ ... جـلَّ البـاطنُ الظَّـاهِرْ
تأَمَّــلْ زَهْــرةَ التفَّــاحِ ... ذاتَ الـسِّحْرِ والعِطْـرِ
وتـابِعْ شَـدْوَ شَـحْرورٍ ... يُنـاجي بَـسْمَةَ الفجـرِ
وراقــبْ نَمْلَــةً تــسعَى ... ونَحْلًا غـاصَ في الزهْـرِ
ونهــرًا فِــضَّةً يجــرِي ... عـلى حَـصْباءَ كالـدُّرِّ
تأمَّــل طــائرًا يَــسْعَى ... عـلى أفراخِـهِ الزُّغـبِ
وبطًّــا سَــابحًا يَجْــرِي ... مـع التيـارِ في حَـرْبِ
وشــاةً طِفْلَهــا تَــدْعُو ... ثُغَـاءً مفـرحَ القَلْـبِ
ومُهْــرًا قــافزًا يَلهُــو ... على بُسُطٍ من العُشْبِ[1]

* * *

(١) ديوان النصر للإسلام (ص:١٤٢).

٥٥- سبحان اللّه

يوسف العظم

لا تمـــــتَرُوا في ذاتِـــــهِ فـــالكَونُ مـــن آياتِـــهِ
إن ضـــجَّ في حَركاتِـــهِ أو نـــــامَ في ســـــكَناتَهِ
والـــصُّبحُ في إشراقِـــهِ واللَّيـــــلُ في ظُلُماتِــــهِ
والشَّمسُ في كبِـدِ الـسَّما والـــنَّجمُ في رَعَـــشَاتِهِ
والجـــوُّ في إعـــصارِهِ إن هَـــبَّ أو نَـــسَماتِهِ
والرَّعــدُ دوَّى قاصِــفًا والـــبرقُ في ومَـــضَاتِهِ
واللَّيـــثُ في فَلَواتِـــهِ يختَـــالُ في خُطُواتِـــهِ
والطَّيرُ حلَّـقَ في الفـضَا أو نـــامَ في وَكَناتِـــهِ
والوردُ والعِطرُ الـشَّذِيُّ يفُـــوحُ مـــن روضَـــاتِهِ
دَانت لـهُ الأزهـارُ والـ أشـوَاكُ بعـضُ حُماتِـهِ
لا تَمـــتَروا في ذاتِـــهِ أو تهـــزَءُوا بدُعاتِـــهِ
سُـبحانهُ قـد حقَّـقَ الـ إعجَـــازَ في كَلِماتِـــهِ
لا تمـــترُوا في ذَاتِـــهِ فـــالرِّزقُ مـــن آياتِـــهِ
سُـــبحانهُ مـــن خـــالقٍ بـــــرٍّ بمخْلُوقَاتِـــــهِ
غَمَـرَ الوجُـودَ بفـضلِهِ وأفـاضَ مـن خَيْراتِـهِ

مـن نَبعِـهِ الثَّـرِّ الغَزيـرِ يجُـودُ مـن بَركاتِـهِ
ناءَت بِهِ السُّحُبُ الثِّقا لُ فسَالَ في رَبواتِـهِ
والحقْلُ حانَ حصادُهُ نَقْتَاتُ مـن غَلَّاتِـهِ
والنَّهرُ في السَّهل الفَسِيـ ـحِ يَرِقُّ عذبُ فُراتِـهِ
والغَابُ ظِلٌّ وارفٌ والرَّوضُ في ثَمَراتِـهِ
والماءُ صافٍ في الغَديـ ـرِ يشِفُّ في مِرَآتِـهِ
لا تقنطُوا من رحمَةِ الـ ـرَّحمنِ أو مَرضاتِهِ
فالحِلمُ والغُفرانُ والـ ـرضوانُ بعضُ صِفاتِهِ
لا تمتَرُوا في ذاتِـهِ فالرُّوحُ من آياتِـهِ
والصَّدرُ في أنفاسِـهِ والقلبُ في خَفَقاتِـهِ
والثَّغرُ في تسبيحِهِ والثَّغرُ في بسَماتِهِ
والصَّومُ في رمَضَانِهِ والحجُّ في ميقَاتِـهِ
والمُؤمنُ البَرُّ الكَريـ ـمُ مُصدِّقًا بزَكاتِـهِ
والصَّالحُ العَفُّ التَّقيُّ يهيمُ في صَلواتِهِ
يرجُو الرِّضى من ربِّـهِ ليُقيمَ في جَنَّاتِـهِ
والفاجِرُ الغِرُّ الجهُو لُ يَتِيهُ في نزَوَاتِـهِ
لا يَسْتَقِيمُ ولا يسيـ ـرُ على طَريقِ هُداتِـهِ

والمـــــرءُ في أفراحِــــهِ	والمــــرءُ في مأسَـــاتِهِ
يمضِي عـلَى دَرْبِ الحيَـا	ةِ وينتَهِــــي بمَمَاتِـــــهِ
لا تَمـــــتَروا في ذَاتِـــــهِ	فـالموتُ بعـضُ عظَاتِـهِ
لا تَمـــــتَروا في ذاتِـــــهِ	فـــالوَحْيُ مـــن آياتِــهِ
والحـــقُّ مـــن إلهَامِـــهِ	والنُّــورُ مــن مِــشْكاتِهِ
والعَقـــلُ في إبداعِـــهِ	والفِكــرُ في سَـــبَحاتِهِ
والعلمُ في العَصرِ الحديـ	ـــثِ يـضِجُّ في آلاتِـــهِ
يرتَـــادُ آفــاقَ الفــضَا	ءِ ويمتطِـــي طيَّاتِـــهِ
والبَحْـرُ يهـدِرُ صـاخبًا	والفُلـــكُ في جنبَاتِـــهِ
والذَّرَّةُ الصُّغْرى مَـصِيـ	ـــرُ الكـونِ في ذَرَّاتِـــهِ
فخرَابُـــهُ ودَمَـــارُهُ	إن ســادَ حِقْــدُ طُغاتِــهِ
وعَـــمَارُهُ وَصَـــلَاحُهُ	إن ســادَ عقــلُ تُقاتِــهِ
كم مِجْهَـرٍ قَرُبـت لنـا ال	أبعـــادُ في عَدَســـاتِهِ
أو هــاتِفٍ حَمَـل الحديـ	ـــثَ مُــردِّدًا همــساتِهِ
لا تمـــتَروا في ذَاتِـــهِ	فالكُـــلُّ مـــن آياتِــهِ[1]

* * *

(١) قصيدة سبحان الله من ديوان في رحاب الأقصى ليوسف العظم، (٥٣١. ٢٤١)، المكتب الإسلامي. وانظر: رائق الشهد (ص:٣٢٥-٣٢٧).

٥٦- إلا ببابكَ

مصطفى عكرمة

إِلَّا بِبابِـك مـا أطلـتُ وقـوفي ... يـا مـن تُلبّـي حاجَـة الملهـوفِ
ذلُّ الوُقـوفِ ببـابِ عِـزِّكَ عِـزَّةٌ ... يـا ربِّ فاقَبْـل ذِلَّتـي ووقُـوفي
عمَّرتُ بـالأَحْلامِ قَلْبـي.. يـا لـهُ ... مـن خَـافقٍ بِـضَلالِهِ مـشغوفِ!
صرفَتْهُ أهواءُ الحيـاةِ عـن الهُـدَى ... ولكم لها في النَّاسِ من تَـصْريفِ!
هـي عـونُ إبلـيسٍ وعـدَّةُ جُنـدهِ ... ولكـم يُـساقُ المـرءُ بالتَّـسويفِ!
غالتْ وأغْرَى وصفُها فاسْتَرْسَلَتْ ... والوصفُ كم يُغريكَ بالموصوفِ!
كم ذا وقفتُ ولم أنلْ من وعْـدِها ... إلَّا بريـقَ الوعـدِ والتَّرجيـفِ
ومضيتُ لا العِـبَرُ الكبـارُ تهُـزُّني ... يومًا.. وإن بلَغَتْ أُلـوفَ أُلـوفِ
والصَّحْبُ قد عكَفوا على لذَّاتِهم ... ولكم على اللذاتِ طالَ عُكـوفي!
أَلِفوا الحياةَ كما اشتهَت أهواؤهُم ... بئسَت حيـاةُ اللَّهْـوِ مـن مـألوفِ
ربـاهُ إنّي مـا ارتَـضَيْتُ سـبيلَهُم ... ولكم عزفتُ وطالَ عنهُ عُـزوفي!
لكنَّهـا الأهـواءُ والهفـي لمـا ... عانيـتُ في الأهـواءِ مـن تَلْهيـفِ
ربـاهُ إن قَطَفـوا لَذَائِـذَهُم هُنـا ... ربـاهُ فاجْعَـل في الجِنـانِ قُطُـوفي
هي حقبةٌ عاشَ الفؤادُ بها الأَسَى ... مـا بـينَ حَـالَيْ خـائفٍ ومُخيـفِ
واليومَ تـابَ وجـاءَ تحدُوهُ المُنـى ... مـن غـيرِ إبطـاءٍ ولا تزييـفِ

غُفرانَــكَ اللهُــم إنِّي تائــبٌ ... يـدعُو بقلْـبٍ خاشـعٍ وضـعيفِ
يــا ربِّ رُدَّ المُــسلمينَ وردَّهُ ... للدِّينِ يا مـن أنـتَ خـيرُ لطيـفِ
وانصُر بحقِّكَ أُمَّتي والطُـف بهـا ... يا مـن تُلبّـي حاجَـةَ المَلهـوفِ[1]

* * *

(١) حتى ترضى (ص:٣٢-٣٤).

٥٧- بك أستجير

إبراهيم بديوي

بك أستجيرُ فمن يجيرُ سِوَاكا ... فأجِرْ ضعيفًا يَحْتَمِي بِحَمَاكا
إِنِّي ضعيفٌ أستعينُ على قِوى ... ذَنْبي ومَعْصِيَتي بفيضِ قِوَاكا
أذنبتُ يا ربي وآذَتْني ذنوبٌ ... مَا لَهَا من غافرٍ إلَّا كَا
دنْيَايَ غَرَّتني وعفوُك غَرَّني ... وا حَيْرَتي في هذه أو ذاكَا
يا مدرِكَ الأبصارِ والأبصارُ لا ... تَدْري له ولكُنهِهِ إِدرَاكا
إن لم تكنْ عَيْنِي تَرَاك فإنني ... في كلِّ شيءٍ أستبينُ عُلاكا
يا منبتَ الأزهارِ عاطرةَ الشَّذَا ... هذا الشَّذَا الفوَّاحُ نفحُ شَذَاكا
ربَّاهُ ها أنا ذا خَلُصْتُ من الهَوى ... واستقبلَ القلبُ الخليُّ هَوَاكا
وتركْتُ أُنْسِي بالحياةِ ولهوِها ... ولقيتُ كلَّ الأنسِ في نَجْواكا
ونسيتُ حُبِّي واعتزلتُ أحِبَّتي ... ونسيتُ نَفْسي خوفَ أن أنسَاكا
أنا كنتُ يا ربي أسيرَ غِشاوةٍ ... رانَتْ على قَلْبِي فَضَلَّ سَنَاكا
واليومَ يا ربِّ مَسَحْتُ غِشَاوتي ... وبدأتُ بالقلْبِ البصيرِ أَرَاكا
يا غَافِرَ الذنبِ العظيمِ وقابلًا ... للتَّوبِ قلبٌ تائبٌ ناجَاكا
يا ربِّ جئتُك ثاويًا أبْكِي على ... ما قَدَّمَتْه يَدَايَ لا أَتَباكى
أخشَى من العَرْضِ الرهيبِ عليك يا ... ربي وأخْشَى منك إذ ألقَاكا

يا ربّ عـدتُ إلى رِحَابِـك تائبًـا ... مُسْتَـسْلمًا مسْتَمْـسِكًا بعُراكـا

مـا لي ومـا للأغنيـاءِ وأنـت يـا ... رَبِّي الغنـيُّ ولا يُحَـدُّ غِنَاكـا

مـا لي ومـا للأقويـاءِ وأنـت يـا ... ربي عظـيمُ الـشَّأنِ مـا أقْوَاكـا

إني أويْتُ لكـل مـأوًى في الحيـاةِ ... فـما رأيـتُ أعـزَّ مِـنْ مَأْواكـا

وتلمسَتْ نفسي السبيلَ إلى النَّجَاةِ ... فلم تجِدْ منجًى سِـوَ ى مَنْجَاكـا

وبحثتُ عن سِرِّ السعادةِ جاهـدًا ... فوجـدتُ هـذا الـسرَّ في تَقْوَاكـا

فليرضَ عنِّي الناسُ أو فليسْخَطوا ... أنا لم أعُـدْ أسْـعَى لغـيرِ رِضَـاكا

أدعـوك يـا ربي لتغْفِـرَ حَـوْبَتي ... وتُعَيننَـي وتمـدَّني بهُـدَاكا

فاقْبَلْ دعائي واسْتَجِبْ لرجَاوَتي ... ما خابَ يومًا مـن دَعَـا ورجَاكـا

يا ربّ هذا العـصرُ ألحـدَ عنـدما ... سـخَّرتَ يـا ربِّي لـه دُنياكـا

ما كـاد يُطْلِـقُ للعُـلا صـاروخَه ... حتـى أشـاحَ بوجِهـه وقَلَاكـا

أَوَ مَا دَرَى الإنـسانُ أن جميـعَ مـا ... وصَـلَتْ إليـه يَـدَاه مـن نُعْماكـا

يـا أيُّهـا الإنـسانُ مهـلًا واتَّئـدْ ... واشكُر لربِّك فـضلَ مـا أوْلَاكـا

أفـإنْ هَـدَاك بعِلْمِـه لعَجِيبـةٍ ... تَـزْوَرُّ عنـه ويَنْثَنِـي عِطْفَاكـا

قلْ للطبيـبِ تخطَّفَتْه يـدُ الـرَّدَى ... يا شَافِيَ الأمْـراضِ مـن أرداكـا؟

قلْ للمريضِ نَجَا وعُـوفي بعـدَما ... عَجَزَتْ فنونُ الطِبِّ، من عَافَاكا؟

قل للصحيحِ يموتُ لا مـن علـةٍ ... مـن بالمنايـا يـا صـحيحُ دَهَاكـا؟

قلْ للجنـينِ يعـيشُ معـزولًا بـلا ... راعٍ ومرعًى مـا الـذي يَرْعَاكـا؟

قل للوليدِ بكَى وأجهَـشَ بالبُكَـا ... عند الـولادةِ مـا الـذي أبكَاكـا؟

وإذا تَـرَى الثُّعبـانَ ينفُـثُ سُـمَّهُ ... فاسألْه مَن ذا بالسُّمومِ حَـشَاكا؟

واسألْه كيف تعيشُ يـا ثعبـانُ أو ... تَحْيَـا وهـذا السُّمُّ يمـلأُ فَاكـا؟

واسألْ بطونَ النحلِ كيفَ تَقَـاطَرَتْ ... شَهْدًا وقل للشَّهْدِ مـن حَلَّاكـا؟

بل سَائِلْ اللبنَ المصَفَّى كـان بيـ ... ـن دمٍ وفَرْثٍ ما الـذي صَـفَّاكا؟

وإذا رأيـتَ الحـيَّ يخـرجُ مِـن ... ثَنَايا مَيِّتٍ فاسْـأَلْه مـن أحْيَاكـا؟

قلْ للهَـوَاءِ تحسُّه الأيـدي ويخـ ... ـفى عن عيونِ الناسِ من أخْفَاكا؟

وإذا رأيـتَ البـدَر يَـسْري نـاشرًا ... أنــوارَه فاســأَلْه مــن أسْرَاكــا؟

وإذا رأيتَ النخْلَ مشقوقَ النَّوَى ... فَاسْأَله مَن يا نخـلُ شـقَّ نَوَاكـا؟

وإذا رأيـتَ النـارَ شـبَّ لهيبُهـا ... فَاسْأَل لهيبَ النـارِ مـن أورَاكـا؟

وإذا ترى الجبلَ الأشَـمَّ مناطِحًـا ... قِمَمَ السَّحَاب فَسَلْه من أرسَاكا؟

وإذا تَرى صَخْرًا تفجَّر بالمياهِ فَسَلْه ... مِــن بالمــاءِ شَــقَّ صَــفَاكا؟

وإذا رأيتَ النهرَ بالعذبِ الزُّلالِ جَرَى ... فــسَلْه مَــن الــذي أجْرَاكــا؟

وإذا رأيتَ البحرَ بالملحِ الأُجَاجِ طَغَى ... فــسَلْه مــن الــذي أطْغَاكــا؟

وإذا رأيـتَ الليـلَ يغْـشَى داجِيًـا ... فاسْأَلْه مَن يا ليلُ حَـاكَ دُجَاكـا؟

وإذا رأيت الصُّبْحَ يُسْفِرُ ضَـاحِيًا ... فاسأله مَن يا صبحُ صاغَ ضُحَاكا؟

هذي العجائِبُ طالما أَخَذَتْ بها عينـاكَ وانفَتَحَـتْ بهـا أُذنَاكـا

واللهُ في كـلِّ العَجَائِـبِ مبـدعٌ إن لم تكُـنْ لِـتراهُ فهـو يَرَاكـا

يـا أيُّهـا الإنسانُ مهـلًا مالـذي بـاللهِ جَـلَّ جَلَالُـه أغْرَاكـا

فاسـجُدْ لمـوْلاك القـديرِ فـإنَّما لا بـدَّ يومًـا تَنْتَهـي دنياكـا

وتكـونُ في يـومِ القيامـةِ مـاثلًا تُجْـزَى بـما قَـدْ قدَّمَتْـه يَـدَاكا[1]

* * *

(١) الله أهل الثناء والمجد (ص:٥٤٥-٥٥٠).

٥٨- يسبحُك الخلقُ في كلِّ آن

الدكتورة عاتكة الخزرجية(١)

يـــسبحُك الخلـــقُ في كـــلِّ آنِ ويَعْنـــو لهيبَتِـــك القَـــانِتون
ويَـــسْأَلُك الرحمَـــةَ الأتقِيَـــاء ويـــأوي إلى ظِلِّـــك المـــذنبون
وتُحنـــى الجبـــاهُ لعـــزِّ الإلـــهِ ويخـــضَعُ للأكـــبرِ الكـــابرون!
تباركـــتَ سُـــبِّحْتَ يـــا ذا الجـــلالِ ويـــا مـــن إليـــه غـــدًا يَنْـــسِلُون
ويـــا مجـــريَ الفُلْـــكَ فـــوقَ البحـــارِ ومن باطنِ الصَّخْر ثجَّ العُيُـون
ويـــا مُجـــري الـــشمسَ في أُفْقِهـــا وكـــلٌّ عـــلى فَلَـــكٍ يَـــسْبَحُون
تباركـــتَ كيـــف سَـــلَخْتَ النهـــارَ من الليل كيف مَسَخْتَ القُـرون؟
وكيـــف بَـــرَيتَهُمُ مـــن رُغَـــام وكـــلٌّ إلى أجـــلٍ ســـائرون؟
وَسَرَّيْـــتَ بيـــنهُمُ بـــالحِمام ورَوَّضْتَ فيهم جماحَ الحَرون(٢)
تباركت كيف قَسَمْتَ الجُـدود(٣) وكيـــف يُقـــال بهـــا العَـــاثرون
وسـعتَ بحِلْمِـك طـيشَ الجَهُـول وغـيَّ الكفـورِ ولُـؤْمَ الخـؤُون
ولم توصِـــدِ البـــابَ دونَ الجَمُـــودِ ولا دونَ مـــا أمَّـــل التَّـــائبون
حكمـــتَ فأقـــسطْتَ في العـــالمين وبالعَـــدْلِ فلـــيحْكُم الحَـــاكِمون

---

(١) تسبيح ومناجاة وثناء - حسن موسى الشريف (ص:١٣٢-١٣٤).
(٢) الحرون: المكابر والمعاند.
(٣) الجدود: الحظوظ.

فنـــارُك يَــصْلَى بهـــا الكــافرون وجنـــاتُ عَــدْنٍ بهـــا المؤمنـــون

تباركـــتَ يـــا ربِّ هـــذا الوُجُــود ومـــن باســـمِه ســـبَّح العَـــالمون

ويـــا موقِـــدَ النـــارِ مـــن أخـــضرٍ ومُعْطي مِنَ الأرضِ مـا يـشْتَهون

ويـــا مخـــرجَ الحـــيِّ مـــن ميـــتٍ ومن قال للشيءِ كنْ كـيْ يكُـون

تباركْـــتَ يـــا فـــاطرَ الكائنـــاتِ ومـــن هُـــمْ إليـــه غـــدًا يَنْـــسِلون

فزعـــتُ لبابِـــك أرجـــو حِمـــىً لـــضَعْفي فأنـــتَ حِمـــايَ المـــصُون

عبـــادُك يـــا ربِّ ضَـــلّوا الـــسبيلَ وحَـــارَ الـــدليلُ فـــما يهتَـــدون

تَـــشَامَخَ في أرضِـــك الأدنيـــاءُ فأيـــانَ عـــن غَـــيِّهم ينتهُـــون

وجَـــارتْ بأحكامِهـــا الأقويـــاءُ فَـــسِيمَ الـــضعيفُ عـــذابًا وهُـــون

ولم يُعـــطِ مـــن مالِـــكَ الأغنيـــاءُ وراحوا عـلى شُـحِّهم يَحْرِصُـون

ولم يبـقَ في النـاسِ معنَـى الحيـاءِ فأمـــسُوا بآثـــامِهم يفخَـــرون

وضـــجَّتْ مـــواخِيرُهم بالحيـــاةِ وباتَـــتْ محـــاريبُهم في سُـــكون!

عِبَـــادُك يـــا ربّ ضَـــلّوا الـــسبيلَ فـــأين الـــدليلُ؟ عَـــسَى يهتـــدون

أخـــافُ علـــيهم وأرجُـــو لهـــم فغفـــرًا لهـــم إنهـــم لا يعُـــون!

وأنت اللطيفُ الرؤوفُ الـرحيمُ وأنـــت الرفيـــقُ الـــشفيقُ الحنـــون

* * *

٥٩- يا مجيب السائلين

عبد الرحمن حبنكة

ربّ إني قـدْ سـألتُك يـا مُجيـبَ الـسَّائلينْ

لم يَخِـب دَاعِـكَ ربِّي وهــو يـدعُو بيقِـينْ

إنَّنـي أدْعُـوكَ يـا اللهُ مَـعْ إخـلاصِ دِيـنْ

* * *

ربِّ إني قــد سـألتُكْ إذ تُحِــبُّ الـسَّائلينْ

بـدُعائي قـد عبَـدتُكْ إذ تُحِـبُّ العابِـدينْ

أنــتَ أولَى بِيَ مِنِّــي فــأعِنّي يــا مُعــينْ

أنــتَ بي أعلَــمُ مِنِّــي أنــتَ خـيرُ الأكـرمينْ

فاصْــطَنِعْني لــكَ يــا ربِّي اصــطِنَاعَ الأقــربينْ

واتَّخِــذْني لــكَ ضــمنَ الــصّالِحِين الطــاهِرينْ

وبفــضلٍ منــكَ فــارفَعْنِي لأوجِ المُحــسِنينْ

أنت رَبِّي في تـصَاريفِكَ خَــيرُ الأحْكَمِــينْ

ورجَــائي باســتجَابَاتِكَ لي حــقُّ اليقــينْ

لستُ أخشى ردَّ سُـؤلي ولــكَ الوَعــدُ المتــينْ

أنــا يــا ربِّي بألطافِــكَ في حِــصْنٍ حَــصِينْ

فــاقضِ لي الخــيرَ وأكرِمنــي بــسُلطانٍ مكــينْ

تنــصُرُ الحــقَّ بــهِ والخــيرَ بــينَ العــالَمِينْ

وبـــهِ تنــصُرُ قُــرآ نَــكَ ذا النُّــورِ المُبــينْ

تنصرُ الدِّينَ الـذي جَـا ءَ بِـهِ الـدّاعي الأمِـينْ

أحمــدُ المُختــارُ خــيرُ الخلــقِ خــيرُ المُرسَــلينْ

وبـــهِ تنــصُرُ في الــدُّ نيــا جُمُــوعَ المــؤمنينْ

وبِـــهِ تهـــزِمُ يــا ربِّي حُـــشُودَ الكَــافِرينْ

ربِّ واجعلنِــي إمامًــا للهُــداةِ المتَّقــينْ

* * *

ربِّي إنِّي قـد سـألتُكَ يـا مُجِيـبَ الـسَّائلينْ

بدُعائي قـد عبَـدتُكْ إذ تُحِـبُّ العابِـدينْ[1]

* * *

(١) ديوان ترنيمات إسلامية (ص:٥٨-٥٩).

٦٠- كتاب الكون

خير الدين وانلي

كـم في كتـابِ الكـونِ مـن عِـبرٍ لأولي النُّهــى والبحْـثِ والنَّظـرِ
في الأرضِ في الآفـــاقِ قاطبـــةً في النفسِ في الأصواتِ في الصُّورِ
في ذرةٍ عَمْيــــــاءَ هائجــــــةٍ في الشمسِ ذاتِ الوهْجِ والـشَّررِ
في الــنَّجْمِ في الأفــلاكِ ســابحةً في الشُّهْبِ ذاتِ الخَطْـفِ للبـصَرِ
في الزهـــرةِ الأخـــاذِ رونقُهـــا في الطـيرِ صـدّاحًا عـلى الـشَّجَرِ
في البحـــرِ والأمـــواجُ صـــاخبةٌ تعلـــو تَـــرومُ تَنَـــاولَ القمَـــرِ
في الراسِــياتِ الــشمِّ عمَّمَهـــا ثلـــجُ الــشتاءَ يــسيلُ في النَّهــرِ
في الـسَّفْحِ والأعـشابُ مائـسةٌ[١] ترنـــو إلى الوديـــانِ في خَفَـــرِ

* * *

مـــاذا أقـــولُ لغافـــلٍ لاهٍ عن كـلِّ مـا في الكـونِ مـن عِـبَرِ
أيظـنُّ خلـقَ الكـونِ عـن عَبَـثٍ كـلَّا فخلـقُ الكـونِ عـن قَـدَرِ
مـا فيــهِ مــن وَهَــنٍ ولا خَلــلٍ مـــا فيـــه مـــن واهٍ ومُنفطِـــرِ
الـــشمسُ في الأفـــلاكِ جاريـــةٌ كـــالأرضِ ذات المـــاءِ والمَـــدَرِ[٢]
لا الليـــلُ يـــسبقُ لا النهـــارُ ولا تُفنـــي البحـــارُ رواسِيَ الجُـــزُرِ

---

(١) مائسة: مائلة متبخترة.
(٢) المَدَر: الطين.

النبتَـــةُ الخَـــضْراءُ ضـــاربةٌ أطْنَابَهـــا في الـــصَّخْرِ والحَجَـــرِ
والزهـــرةُ البيـــضاءُ فائحـــةٌ والجـــذْرُ بـــين الطـــينِ والكَـــدَرِ
والغيمـــةُ الـــسوداءُ مُثْقَلَـــةٌ تجْـــرِي بأطنـــابٍ مـــن المطـــرِ
والهـــرةُ الـــسَّمراءُ حانيـــةٌ فوق الصِّغارِ العُمْـي عـن خَطَـرِ
الكـــونُ متَّـــسِقٌ ومنـــتظِمٌ كـــم فيـــهِ مـــن ذِكْـــرَى لُمعتَـــبِرِ
ســـبحانَ مـــن بـــاللُّطْفِ قـــدَّرَهُ أعظِـــمْ بقيـــومٍ ومُقتَـــدِرِ[1]

* * *

(١) ديوان النصر للإسلام (ص:١٣٤).

٦١- إلهي أنت تعلم كيف حالي

أغيبُ وذُو اللَّطائفِ لا يغيبُ ... وأرجُوهُ رجَاءً لا يخيبُ
وأسألهُ السَّلامةَ من زمانٍ ... بُليتُ بهِ نوائبُه تُشيبُ
وأُنزلُ حَاجتي في كلِّ حالٍ ... إلى من تَطمئِنُّ بهِ القلُوبُ
ولا أرجُو سواهُ إذا دَهَاني ... زمانُ الجَوْرِ والجارُ المُريبُ
فكم للهِ من تدبيرِ أمرٍ ... طوتهُ عن المُشاهدَةِ الغيُوبُ
وكم في الغيبِ من تيسيرِ عُسرٍ ... ومن تفريجِ نائبةٍ تنُوبُ
ومن كرمٍ ومن لطفٍ خفيٍّ ... ومن فرجٍ تزُولُ بهِ الكُروبُ
وما لي غيرُ بابِ اللهِ بابٌ ... ولا مولى سواهُ ولا حبيبُ
كريمٌ مُنعمٌ برٌّ لطيفٌ ... جميلُ السّترِ للدَّاعي مُجيبُ
حليمٌ لا يُعاجِلُ بالخَطَايا ... رحيمٌ غيثُ رحمتِهِ يَصُوبُ
فيا ملكَ المُلوكِ أقِلْ عِثَاري ... فإني عنكَ أَنْأَتْني الذُنوبُ
وأمرضَني الهَوى لهوانِ حظِّي ... ولكن ليسَ غيرَكَ لي طبيبُ
وعَانَدَني الزمانُ وعِيلَ صَبري[1] ... وضاقَ بعبدِكَ البلدُ الرَّحيبُ
فآمن رَوْعَتي واكْبِتْ حسُودًا ... يُعاملُني الصَّدَاقةَ وهو ذيبُ

---

(١) عيل صبري: غُلِب.

وآنِـــسْني بـــأولادِي وأهْـــلِي فقد يَسْتَوْحِشُ الرجـلُ الغريـبُ

ولِي شَـــجَنٌ بأطفـــالٍ صِـــغَارٍ أكـــادُ إذا ذكـــرتُهُم أذوبُ

ولكنـــي نَبَـــذْتُ زِمَـــامَ أمْـــرِي لمـــن تـــدبيرُهُ فينـــا عَجيـــبُ

هـــو الـــرحمنُ حَـــوْلِي واعْتِـــصَامي بـــهِ وإليـــهِ مُبـــتَهِلًا أُنيـــبُ

إلهـــي أنـــتَ تعلـــمُ كيـــفَ حـــالي فهـــل يـــا ســـيِّدي فـــرجٌ قـــريُ

* * *

٦٢- حبيبي أنت رحمن

يحيى بن معاذ

أنـــا إن تُبـــتُ منَّـــاني وإن أذنبـــتُ رجَّـــاني
وإن أدبَـــرْتُ نـــادَاني وإن أقبلْـــتُ أدنَـــاني
وإن أحْبَبْـــــتُ والاني وإن أخْلَـصْتُ نَاجَـاني
وإنْ قَـــصَّرتُ عافَـــاني وإن أَحْـسَنْتُ جـازَاني
حبيبـــي أنـــتَ رَحْمَـــاني أَلَا اصرِفْ عني أحْـزَاني
إليك الشَّوقُ مـن قَلْبـي عَـــلَى سرِّي وإعْـــلَاني
فيـا أكـرَمَ مـن يُرجَـى وأنـــتَ قـديمُ إحـسانِ
ومـا كُنـتَ عـلى هـذا - إلهَ النَّـاسِ - تنسَاني
لَدَى الـدُّنيا وفي العُقبَـى على ما كانَ من شَـاني[١]

* * *

(١) الحلية، (١٠/ ٦٢).

٦٣- ربِّ سبحانك

محمود حسن إسماعيل

ربِّ سُــبحانكَ في أعــلَى عُــلاك

كلَّــما نــدعوكَ.. تُعطينــا يــدَاك

خَــيَّمَ اللَّيــلُ، فنادَيــتُ.. إلَهــي

فـــإذَا الكـــونُ ضـــياءْ

وجــرَى الــدمعُ فناديــتُ.. إلهــي

فـــإذا الـــدُّنيا صَـــفاءْ

والرِّضــا يغمُــرُ قَلْبــي وشِــفَاهي

وتُنــــاجِيني الــــسَّماءْ

ربِّ ســبحانكَ في أعــلى عُــلاك

كلَّــمَا نــدعُوكَ تُعطينــا يــدَاك

كلَّــمَا تُــشرِقُ شــمسٌ أو تغيــبْ

يمــــلأُ القلــــبَ ضِــــيَاك

وإذا ضَــاقَتْ مــن اليــأسِ القُلُــوب

يغمُــــرُ الــــرُّوحَ هُــــدَاك

وإذا ملَّــتْ مــن العَفــوِ الــذُّنوب

صَـــافَحَ الـــنَّفسَ رِضَـــاك
ربِّ سُـــبحانكَ في أعْـــلَى عُـــلاك
كُلَّـــما نـــدعُوك.. تعْطينـــا يـــدَاك[1]

* * *

٦٤- يا أرحم الرحماء

محمد الحامد

يــا أرحــم الرُّحمــاءِ مــا لي حيلــةٌ … إلا الرُّجــوعُ إليــكَ يــا ربَّــاهُ
أنا قد أســأتُ، وأنــتَ ربٌّ غــافرٌ … غوثَــاهُ ممَّــا قــد عَــرَا غَوْثَــاهُ
يا سيِّدي يــا مــن إليــهِ شِــكَايتي … أوَّاهُ ممَّـــــا نـــــابني أوَّاهُ
أدرِكْ بلُطْفِــك نادمًــا ذا حــسرةٍ … مُـــسْتَغْفرًا ممـــا جَنَتْـــهُ يَـــدَاهُ
مــا للــضَّعيفِ إذا ألَمَّــت كُربــةٌ … إلا الـــــدُّعاء: اللهُ يـــــاالله
يا ربِّ نفِّــس عــن عُبيــدِكَ كُربــةً … وأرِحْــهُ ممــا قــد عنَــا ودَهَــاهُ[2]

* * *

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل (٤/ ١٧٨٣ - ١٧٨٤).
(٢) مجلة حضارة الإسلام، العدد ٣، (ص:٨٣)، من السنة العاشرة، من جمادي الأولى سنة ١٣٨٩هـ، وانظر: رائق الشهد (ص:٢٢٢-٢٢٣).

٦٥- تأملات إيمانية

عبد الرحمن حبنكة

لستُ أدْري ما حَيَاتِي　　لا. ولا ما هُو آتِ

أنا من أينَ؟ ومِمَّن　　قبستْ نفسِي صِفَاتي؟

أنا لا أملكُ نفسِي　　في انتقالٍ أو ثَبَاتِ

إن ربًّا هو أعطَاني وجُودي وحَيَاتي

مثلما أعطَى جميعَ الكائناتِ الحادِثَاتِ

وهَداني أن أرَى زَادِي لما بعدَ المماتِ

خيرُ زادٍ لي تَقْوَاي وفِعْلُ الصَّالحاتِ

واعْتِرَافي بالذي أبدَعَنِي في الكائناتِ

قَد عَرَفْتُ اللهَ ربي　　حينما أدركْتُ ذاتي

أفَلَا أملأُ فِكْرِي　　وفَمِي بالصَّلواتِ

ووجُودي وصِفَاتِي　　منهُ بعضُ النَّفحاتِ

إن شُكري يا إلهي　　لك يُعلي دَرَجَاتي

فلكَ الشُّكرُ على ما　　جُدتَ لي من أُعْطِياتِ[1]

* * *

(١) ديوان ترنيمات إسلامية (ص:١٢٩).

٦٦- تبارك الله

خير الدين وانلي

تباركَ اللهُ كم في الكونِ من عَجَبٍ؟!
في البرِّ والبحرِ والأفلاكِ والشهُبِ
طيرٌ يُهاجرُ من أقصى الشمالِ إلى
أقصى الجنوبِ ولا يهتمُّ بالسَّغَبِ[1]
ويقطعُ السَّمكُ الشِّلالَ مُتجهًا
إلى ا لمنابعِ كي يفنَى من التعَبِ
وينشرُ النملُ حبًّا كي يُجفِّفَه
ويصنعُ النحلُ شكلًا مُنتهى العجَبِ
ويحملُ (الكنغرُ) الأبناءَ يحفظُها
في جيبهِ سائرًا وَثْبًا على الذَّنَبِ
ويرفَعُ القردُ أولادًا على كَتِفٍ
ويزقمُ[2] الطيرُ أفراخًا ذَوِي زَغَبِ[3]
ويَجْأرُ الحوتُ في الأعماقِ مبتهجًا
ويُنْقِذُ الصوتُ خَفَّاشًا من العَطَبِ

---

(١) السغب: الجوع.
(٢) يزقم: يلقم.
(٣) الزغب: الريش الصغير.

ويَـسْبَحُ الـبطُّ في أعقـابِ مَوْلـدِهِ
بـلا مـرانٍ ومـاءُ النهـرِ في صَـخَبِ
وَيْلقَـمُ الشـديَ والعينـانِ مُغْمَـضَةٌ
هِرٌّ وليـدٌ ومـا في الثّـديِ مـن حَلَـبِ
ويقفـزُ المهـرُ خلـفَ الأمِّ مرتَجِفًـا
ولم يزلْ عَظْمُـه أوهَـى مـن القَـصَبِ
ويتبعُ الكلبُ ريحًا غـابَ صـاحبُها
ويسمعُ الهرُّ همـسَ الفـأرِ في الخِـرَبِ
ويُبـصرُ الـصَّقرُ مـن عَلْيائِـهِ جُـرُذًا
ويُمْسِكُ القنفذُ الأفْعَى مـن الـذَّنَبِ
وينقرُ الطـيرُ دودًا غـابَ في غَـصْنٍ
تحتَ اللّحَاءِ وما في الغُصْنِ من ثُقَبِ
ويُمـسِكُ البجَـعُ الأسـماكَ سـابحةً
ويُرسِلُ الأخطبوطُ الرجْلَ عن جُنْبِ
ويـنفخُ الثعلـبُ الأحـشاءَ مرتميًـا
حتـى تُهاجِمَـهُ الغِربـانُ عـن كَثَـبِ
ويلْسَعُ العَنْكبـوتُ الجُعـلَ في عُنـقٍ
حتـــى يخـــدِّرَه تخـــديرَ مُرتَقِـــبِ

ويُمسِكُ الضَّبُّ غُصْنًا حين تدرِكَهُ
أفعَى ليمنَعَ بلعَ الرأسِ كالذَّنَبِ
تبارك اللهُ لا تُحصَى خلائِقُه
وكلُّ آلائِهِ تدعو إلى العَجَبِ[1]

* * *

٦٧- ما شئت كان

الشافعي

ما شئتَ كانَ، وإن لم أَشَأْ ... وما شِئْتُ إن لم تشأَ لم يكُنْ
خلقتَ العبادَ لما قد عَلِمتَ ... ففي العلمِ يجري الفَتَى والمُسِنْ
فمنهُم شقيٌّ، ومنهم سعيدٌ ... ومنهُم قبيحٌ، ومنهم حَسَنْ
على ذا مننتَ، وهذا خذلتَ، ... وذاكَ أعنتَ، وذا لم تُعنْ[2]

* * *

(١) ديوان النصر للإسلام (ص:١٣٦).
(٢) ديوان الشافعي (ص:١١٨).

٦٨- يا كافل الرزق

مصطفى عكرمة

قــدَّرتَ أرزاقَ كــلِّ الخلــقِ مــن عَــدمِ
وزدتَ في الــرِّزقِ يــا ذا الجــودِ والكــرمِ

أبــوابُ جــودِكَ مــا تنفــكُّ مــشرعَةً
حتــى طَفَوْنــا عــلى بَحْــرٍ مــن الــنِّعمِ

هــذي الملايــينُ مما قــد خَلَقْــتَ تَــرى
مــن حَوْلهــا الــرِّزقَ موفُــورًا عــلى أَمَــمِ

فالنَّمــلُ، والطَّــيْرُ.. والأســماكُ أجمعُهــا
من عاش في النُّورِ، أو من عاشَ في الظُّلَــمِ

والآدميــونَ نــالوا فــوقَ مــا ســألوا
عَــبرَ الزَّمَــانِ.. كــأنَّ الكُــلَّ في حُلُــمِ

وكــلُّ ذي مُهجــةٍ في الأرضِ زاحفــةٍ
أو غــيرِ زاحفــةٍ تَــسْعَى عــلى قَــدَمِ

تَــسْعَى.. وللــسَعي أوقــاتٌ محــدَّدةٌ
ورزقُهــا غــيرُ محــدودٍ ومُنقَــسمِ

لم ينفَــدِ الــرِّزقُ يومًــا رَغْــمَ كَثرَتِهــا
وربَّــما قــد قَــضَتْ يومًــا مــن الــتُّخَمِ

آلافُ آلافِ أعــــوامٍ ومـــا بَرِحَـــت
كــلُّ الخلائِــقِ تَلْقَــى غايــةَ الكــرمِ
لا عقلُهـــا كافِـــلٌ أرزاقَهـــا أبـــدًا
ولا قُواهـــــا تُنجِّيهـــــا مـــــن الأَلَمِ
يــا ربِّ أنــتَ الــذِي أعطيتَهــا كَرمًــا
وأنــتَ مــن قــدَّر الأرزاقَ مــن قِــدَمِ
وأنـــت يـــا ربِّ هاديهـــا.. وكافِلُهـــا
وأنــت كافِــلُ رزقِ الكُــلِّ مــن عَــدَمِ
وأنــتَ تعلــمُ عنهــا فــوقَ مــا عَلِمَــتْ
عن نَفْسِها.. وهي كالــذَّراتِ في الــرَّحِمِ
وأنتَ وحــدَكَ مــن يُرجَــى.. ومــن يــدُهُ
تُعطــي.. فتُغنِــي وتكفِــي ســائِرَ الأُمَّــمِ
فـــامنُن عـــليَّ بـــرزقٍ وافـــرٍ أبـــدًا
واجعَلْـــهُ ربِّي حَـــلالًا ســـائغًا بِفَمِـــي
ورُدَّ يـــا ربِّ للإســـلام عزَّتـــهُ..
وابعــث بنــا مــن يُــصحِّينا مــن الــرِّمَمِ
حتـــى تعـــودَ إلى مـــا كـــان أُمَّتُنـــا
بنَهْجِــكَ الحــقِّ تَهْــدِي أقــوَمَ القِــيَمِ[1]

(١) حتى ترضى (ص:٦٢-٦٤).

٦٩- إليك جميع الأمر

ابن الوزير الصنعاني(١)

إليـكَ جميـعُ الأمـرِ يُرْجَـعُ كلُّـهُ ... ومنكَ الأمَـاني تُرتَجَـى والبـشائرُ

وبعضُ أياديـكَ العـوالمُ والـذِي ... بهَـا والبحـارُ والثقـالُ المـوَاطِرُ

ومنكَ العطَا والمنـعُ والأمـرُ كلُّـهُ ... إليكَ ومَا في الكـونِ غـيرُكَ قـادرُ

فمنْ شاءَ فليمنعْ سواكَ فـلا أذًى ... إذَا يَبِسَ الضَّحْضَاحُ فـالبحرُ زاخـرُ

وعفْوُكَ يـا ربَّ الخلائـقِ واسـعٌ ... تـضيعُ الخطَايـا عنـدهُ والكبـائرُ

فلو يعلمُ الخلقُ الذي أنـتَ أهلُـهُ ... من العفوِ لم يقنُطْ منَ العفوِ فاجرُ

ورحمتُكَ العظمَى كتبتَ بـسَبقِهَا ... كتابًا كـريمًا فهـوَ عنـدَكَ حـاضرُ

وأنت تحبُّ الحمدَ والمـدْحَ والثَّنـا ... ووصفُ محبِّ الحمدِ والمدحِ ظاهِرُ

فوعدُكَ أولَى من وعيـدِكَ بالوَفـا ... لذاكَ وحظُّ الفضْلِ للعدلِ قـاهرُ

وقد جاءتِ البُّشرى وصَحَّتْ بأننَا ... لَنَـا ظنُّنـا فـالظنُّ أنَّـك غـافرُ

ولي حـينَ يـشتدُّ الوعِيـدُ ذخـيرَةٌ ... سريرةُ حـبٍّ يـومَ تُـبلَى الـسَّرائرُ

تجَـلى همُـومي في فُـؤادِي قرَارَهـا ... وأرجُو بقاهَا يومَ تَفْنَـى الـذَّخائرُ

وديعــتُكم أن تحفظُوهَــا فإنهَــا ... صَـنيعتُكُم والجـودُ بـالحفظِ آمِـرُ

* * *

(١) رائق الشهد (ص:١٦٢-١٦٤).

٧٠- الكون البديع

خير الدين وانلي

اقــرأْ ســطورًا مــن كتــا ... بِ الكونِ مــنْ دنيــا الجــمالْ
فالحــــسنُ فيـــهِ كـــامنٌ ... والحــسنُ مــرآةُ الخيـــالْ
في الزهــرةِ الخالــصةِ الطُّهـ ... ـــرِ وفي المـــاءِ الـــزلالْ
في الغُــصنِ يرنُــو للمــرو ... جِ نديـــةً مثـــلَ الـــلآلْ
في السَّلْسَلِ العـذبِ النميـ ... ـرِ تحفُّــه خُــضْرُ الــتلالْ
في الموجِ يغشى الأفـقَ تعـ ... ـــلوه نُــسَيْماتُ الــشَّمالْ
عــرِّجْ عــلى النبــعِ الوقــو ... رِ وسـلهُ يُنبئْـكَ العُجـابْ
واســأَلْ زُرافــاتِ الطيــو ... رِ عن الفضَاءِ عنِ السَّحابْ
واســتَلْهِمِ الــنجمَ النــشيـ ... ــدَ الــشَّجِيَّاتِ العِــذابْ
كــمْ مــنَ جمــالٍ في رحــا ... بِ الكونِ والكـونُ كتـابْ
ســـبحانكَ اللهـــمَّ يـــا ... ربَّ المحاسِـــنِ والجَـــمالْ
أنــت الجميــلُ خَلَقْــتَ هـ ... ـذا الكـونَ في أبهَـى مِثَـال
لا يــستطيعُ العقــلُ إحــصا ... ءَ المحامِــــدِ والكـــمالْ
لا تُـــدُركُ الأفهـــامُ سرَّ ... الخلــقِ أو كُنْــهَ الــزَّوال[1]

---

(١) ديوان النصر للإسلام (ص:١٣٧).

٧١- يا ربنا لك الصلاة

محمود حسن إسماعيل

يــا ربَّنــا لــكَ الــصَّلاهْ
والحمدُ مـن كـلِّ الحيَـاهْ

من زهرةٍ على الغـصُونْ لَهَفَانـــــةٍ إلى نـــــدَاكْ
منْ دَمْعَـةٍ عـلَى الجفُـونْ ظمآنـــةٍ إلى رضَـــاكْ
مـــنْ تائـــبٍ إلى حِمـــا كَ هلَّلـــتْ خُطَـــاهْ

يــا ربَّنــا لــكَ الــصَّلاهْ
والحمدُ مـن كـلِّ الحيَـاهْ

يـــا راحمًـــا للتَّـــائبينْ للعَفْوِ لا نرجُـو سِـوَاكْ
يـــا مَـــوئلًا للحَـــائرينْ طُوبى لَمـن يلقَـى هُـدَاكْ
يـا غـوثَ كـلِّ العـالمين حمـدًا لمـا تُعطِـي يـداكْ

بكُـلِّ مـا تحيَـا الحيـاةُ نعبُـدُك
وكلُّ ما فوقَ الثَّـرَى يُوحِّـدُك
وكلُّنـــا نـــدعُوكَ يـــا ربَّـــاهْ
يـــا ربَّنـــا لـــكَ الـــصَّلاةْ
والحمـدُ مـنْ كُـلِّ الحيـاةْ![1]

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج(٤/ ١٧٧٩-١٧٨١)، انظر: رائق الشهد (ص: ٢١٣-٢١٤).

٧٢- يا ربِّ إني مذنبٌ أواهُ

عبد الرحمن حبنكة

ناديـــتُ يـــا مـــولايَ يـــا اللهُ ... يــــــا ربِّ إنِّي مُــــــذنبٌ أواهُ

أرجُـو عطايـاكَ الحـسانَ وإنَّ لي ... قلبًـا دعــاكَ فــلا تَــرُدَّ نــدَاهُ

مـا في العـوالمِ مـن يلبـي داعيًـا ... إلاكَ يـــا مـــولايَ يـــا اللهُ

داءُ الفــؤادِ غــرورُهُ بلــذاذةٍ ... مـن عاجـلِ الـدنيَا وأنـتَ دوَاهُ

فامسحْ برحمتـكَ التـي تجلُـو بهَـا ... قلبـي فيُـشرِقُ في الـسُّلُوكِ سَـنَاهُ

فـأكونُ عبـدكَ مـثلمَا تـرضَى لنَـا ... وأجـدُّ في إحـسانِ مـا تَرْضَـاهُ

وأكـونُ بـالتوفيقِ منـكَ مُحـصَّنًا ... وينـالُ قلبـي مـن رِضـاكَ مُنـاهُ

وأعيشُ في سَـعْدِ الحيـاةِ وطيبِهـا ... وأصيرُ حيـثُ يـصيرُ مـن ترعـاهُ

ويـضُمُّني الفـردوسُ في أكنافـهِ ... مع من وهبـتَ مـن الخِيَـارِ عُـلاهُ

مـولاي أنـتَ، ولا يهـونُ بـدهرِهِ ... من كنتَ يا ربَّ الورَى مـولاهُ[1]

* * *

---

(١) ترنيمات إسلامية (ص:١٤٦).

٧٣- يا سروري

رابعة العدوية

يـــا سُروري ومُنْيَتِـــي وعِـــمادي

وأَنِيــــسي وعُـــدَّتي ومُـــرَادي

أنـــتَ روحُ الفُــؤادِ أنــتَ رجــائي

أنـــتَ لي مُؤنـــسي وشـــوقُكَ زادي

كــم بــدَتْ منَّــةٌ وكــمْ لــكَ عنــدِي

مـــن عَطَـــاءٍ ونعْمـــةٍ وأيَـــادِي

حُبُّـــكَ الآنَ بُغيتـــي ونَعيمـــي

وجَـــلَاءٌ لعـــينْ قلبـــي الـــصَّادي

لـــيسَ لي عنـــكَ مـــا حييـــتُ بـــراحٌ

أنـــتَ منِّـــي مُمكَّـــنٌ في الفـــؤادِ

إن تكـــن راضـــيًا عـــليَّ فـــإني

يــا مُنــى القلــبِ قــد بــدا إسْــعَادي

* * *

٧٤- سبحان اللّه

أبو العتاهية

سبحانَ من يُعطي المُنَى بخـواطرٍ ... في الـنفسِ لمْ ينطـقْ بِهِـنَّ لـسانُ
سبحانَ من لا شيءَ يحجُبُ علمَهُ ... فالـسرُّ أجمـعُ عنـدهُ إعـلانُ
سبحانَ من هـوَ لا يـزالُ مـسبَّحًا ... أبـدًا ولـيسَ لغـيرِهِ الـسُّبحانُ
سبحانَ من تجـرِي قـضاياهُ علَى ... مـا شـاءَ منهَـا غائـبٌ وعيَـانُ
سبحانَ من هـو لا يـزالُ ورزقُـهُ ... للعـالمينَ بـهِ عليـهِ ضَـمانُ
سبحان من في ذِكرهِ طُرُقُ الرضَى ... منـهُ وفيـهِ الـرَّوحُ والرَّيحـانُ
ملـكٌ عزيـزٌ لا يُفـارِقُ عـزَّهُ ... يُعـصَى ويُرجَـى عنـدهُ الغفـرانُ
ملـكٌ لـهُ ظهـرُ القـضاءِ وبطنُـهُ ... لم تُبـلِ جِـدَّةَ مُلكِـهِ الأزمَـانُ
مَلِكٌ هو الملكُ الذي مـن حِلْمِـهِ ... يُعـصَى بحُـسنِ بلائِـهِ ويخـانُ
يَـبْلَى لكُـلِّ مـسلَّطٍ سُـلطانُهُ ... واللهُ لا يـبلَى لـهُ سُـلطانُ
كم يَسْتَصِمُّ الغافلونَ وقد دُعُـوا ... وغـدَا وراحَ علـيهِمِ الحـدِثانُ[1]

* * *

---

(١) رائق الشهد (ص:٨٧).

٧٥- أنا الفقير

ابن الوزير الصنعاني

إليـكَ وجَّهـتُ يـا مـولاي آمـالي
فاسمَعْ دُعائي وارحَمْ ضَعْفَ أحوالي
أرجُوك مولاي لا نفسي ولا وَلَـدي
ولا صَـديقي ولا أهْـلي ولا مَـالي
لَمـا عرفتُـكَ لم أنظُـرْ إلى أحـدٍ
فـلا الرعيـةَ أرجُوهـا ولا والـوالي
فـلا تَكِلْنـي إلى مـن لـيس يكْلَـؤُني
وكن كَفيلي فأنت الكافـلُ الكـالي(١)
ولتَسْقِني كأسَ حُبٍّ مـن وِدَادِكَ يـا
مـولايَ فهـو شرابٌ سَلْـسَلٌ حـالي
فلا وحقِّكَ ما للقلـبِ مـن شَـغَفٍ
إلا بحبِّـكَ فـاشْرَحْ لي بـه بَـالي
أنـا الفقـيرُ إلى مـولايَ يَرْحمُنـي
إذا تقـضَّى بهـولِ المـوتِ إمهـالِي

(١) الكالي: الحافظ.

أنــا الفقــيرُ إلى مــولايَ يَرْحمُنــي

في بطنِ لحـدٍ وَحِـيشٍ مُظلـمٍ خـالِي

هُنـاكَ لحمِـي لِـدُودِ القـبرِ فاكِهـةٌ

والعظمُ منِّـي رمِـيمٌ في الثَّـرى بـالِي

أنــا الفقــيرُ إلى مــولايَ يرْحَمُنــي

يـومَ القيامـةِ مـن عُنـفٍ وأهـوالِ

وأن أكــونَ بعيــدًا مــن تعطُّفِــهِ

مقطِّعًــا عنــهُ في الآبــادِ آمــالِي

أنــا الفقــيرُ إلى مــولايَ يحــشُرني

في زُمـرةِ المـصطفىَ المختـارِ والآلِ

صـلَّى الإلـهُ عـلى أرواحِهـم أبـدًا

ضَـعْفًا عـلى قـدرِ زخَّـارٍ وهطَّـالِ

* * *

٧٦- دليل الحائرين[1]

يـا مــنْ إليــهِ جميــعُ الخلــقِ يبتهلُــوا
وكـــلُّ حـــيٍّ عـــلى رُحمـــاهُ يتَّكِـــلُ
يا مـن نـأَى فـرأَى مـا في القلُـوبِ ومَـا
تحـتَ الثَّـرى وحجـابُ الليـلِ مُنْـسَدِلُ
يا مـن دنـا فنـأى عـن أن يُحيطَ بـهِ ال
أفكـــارُ طُـــرًّا أو الأوهـــامُ والعلَـــلُ
أنـــتَ المنـــادَى بـــهِ في كـــلِّ حادثـــةٍ
وأنـتَ ملْجَـأُ مـن ضـاقتْ بـهِ الـسُّبُلُ
أنـتَ الغيـاثُ لمـنْ سُـدَّت مَذَاهبُـهُ
أنـتَ الـدليلُ لمـنْ ضـاقتْ بـه الحيـلُ
إنَّـــا قَـــصَدْناكَ والآمـــالُ واقعَـــةٌ
عليـــكَ والكـــلُّ ملهُـــوفٌ ومبتَهِـــلُ
فـإن غفـرتَ فعـنْ طَـوْلٍ وعـن كَـرمٍ
وإن سَـطَوْتَ فأنـتَ الحـاكِمُ العَـدِلُ

* * *

(١) بستان الواعظين (ص:١٥٣-١٥٤).

٧٧- نحن العبيد وأنت الملك[1]

يا منْ يُغيثُ الورَى من بعدِ ما قَنَطوا ارحَمْ عبادًا أكُفَّ الفقرِ قد بَسَطُوا
عودتهُم بسطَ أرزاقٍ بلا سَبَبٍ سوى جميلِ رجاءٍ نَحْوَهُ انبسَطوا
وعُدْتَ بالفضلِ في وردٍ وفي صَدْرٍ بالجودِ إن أقسَطوا والحلمِ إن قَسَطُوا
عوارفُ ارتبطَتْ شُمُّ الأنوافِ بها وكلُّ صعبٍ بقيدِ الجودِ يرتبطُ
يا من تعرَّفَ بالمعروفِ فاعترفَتْ بجَمِّ إنعامِهِ الأطرافُ والوسَطُ
وعالمًا بخفيَّاتِ الأُمورِ فلا وهمٌ يجوزُ عليه لا ولا غَلَطُ
عبدٌ فقيرٌ ببابِ الجودِ مُنكَسِرٌ من شأنهِ أن يوافي حينَ ينضَغِطُ
مهمَا أتَى ليمدَّ الكفَّ أخجَلَهُ قبائحٌ وخطايَا أمرُها فَرَطُ
يا واسعًا ضاقَ خطوُ الخلقِ عن نِعَمٍ منهُ إذا خَطَبُوا في شُكرِها خبطُوا
وناشرًا بيدِ الإجْمالِ رحمتَهُ فليسَ يلحَقُ منهُ مسرفًا قَنَطُ
ارحمْ عبادًا بضنكِ العيشِ ما هَمُوا غيرُ الدُجنَّةِ لُحفٌ والثَّرى بُسُطُ
لكنَّهم من ذُرَى علياكَ في نَمَطٍ سامٍ رفيعِ الذُرَى ما فوقَه نَمَطُ
ومن يكنْ بالذي يهواهُ مجتمعًا فما يُبالي أقامَ الحيُّ أم شَحَطُوا
نحنُ العبيدُ وأنتَ الملكُ ليسَ سوَى وكلُّ شيءٍ يُرَجَّى بعدَ ذا شَطَطُ

* * *

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان (١/ ٤٨).

٧٨- صرفت إلى ربِّ الأنام مطالبي(١)

صرَفـتُ إلى ربِّ الأنـامِ مطَـالبي ... ووجهتُ وجهِـي نحْـوَهُ ومـآربي
إلى الملكِ الأعلى الذي ليسَ فوقَهُ ... مليـكٌ يُرجَّـى سـيبهُ في المتاعـبِ
إلى الصَّمَدِ البَرِّ الذي فاضَ جودُهُ ... وعمَّ الورَى طُرًّا بجزلِ المواهِـبِ
مُقـيلي إذا زلَّـت بي النعـلُ عـاثرًا ... وأسـمحُ غفَّـارٍ وأكـرمُ واهـبِ
فـما زالَ يُـوليني الجميـلَ تلطُّفًـا ... ويدفعُ عَنِّي من صُدورِ النَّوائـبِ
ويرزُقُنـي طفـلًا وكهْـلًا وقبلَهَـا ... جنينًـا ويَحْمينـي وبيَّ المكاسِـبِ
إذا أغلقَ الأملاكُ دوني قُصورَهُمْ ... ونهنَهَ(٢) عن غِشْيانهمْ زجرُ حاجِبِ
فَزِعتُ إلى بـابِ المُهـيمنِ طارقًـا ... مُدلًّا أُنـادي باسـمِهِ غـيرَ هائـبِ
فلم أُلفِ حُجَّابًا ولم أخـشَ مِنْعَـةً ... ولو كانَ سُؤلِي فوقَ هامِ الكواكِبِ
كـريمٌ يُلبِّـي عبـدَهُ كلـما دَعَـا ... نهارًا وليلًا في الدُّجَى والغياهِبِ(٣)
سأسـألهُ مـا شـئتُ إنَّ يمينَـهُ ... تسحُّ دِفَاقًا باللُّهَى(٤) والرَّغائـبِ(٥)
فحسبي ربِّي في الهزاهـزِ(٦) ملجَـأً ... وحرزًا إذا خيفَتْ سهامُ النوائبِ

---

(١) إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد (ص:١٢١-١٢٢).
(٢) نهنه: كفّ وزجر.
(٣) الغياهب: الظلمة الشديدة.
(٤) اللهى: العطايا.
(٥) الرغائب: العطاء الكثير.
(٦) الهزاهز: الفتن.

٧٩- عفوك اللهم[١]

يا من يُجيبُ دُعا المضْطرِّ في الظُلَمِ ... يا كاشف الضُّرِّ والبلْوَى مع السَّقَمِ
قد نامَ وفدكَ حولَ البيتِ وانتبهُـوا ... وأنــت عينُــكَ يــا قيــومُ لم تَــنَـمِ
هب لي بجودِكَ فضلَ العفوِ عن جُرمي ... يا من إليه أشـارَ الخلـقُ في الحـرَمِ
إن كانَ عَفْوُكَ لا يُدركُهُ ذو سَرَفٍ ... فمن يجودُ على العاصِـينَ بـالكَرَمِ

* * *

٨٠- يا عظيم النعم[٢]

محمود سامي البارودي

لكَ الحمدُ، إنَّ الخيرَ منكَ، وإنني ... لصنعكَ يا ربَّ السَّماواتِ شـاكرُ
فأنتَ الـذي أوليتَنـي كـلَّ نعمـةٍ ... وهذَّبتني حتَّى اصطفَتني العشَائرُ
فقرِّبْ ليَ الخيرَ الذي أنَـا راغِـبٌ ... وباعِدني الـشرَّ الـذي أنـا حـاذِرُ
فليسَ لمنْ تُقصيهِ في النَّـاسِ نـافعٌ ... وليسَ لمرء تُدنيهِ في النَّاسِ ضائرُ
ولا لامرئٍ ألهمتَهُ الرُّشـدَ خـاذِلٌ ... ولا لامرئٍ أَوْرَدْتَـهُ الغَـيَّ نـاصِرُ
فإن أدركتْ نفسي المـرامَ ولم أقُـمْ ... مقـامَ ضـليعٍ بالـذي أنـت آمـرُ
فلا لاح لي في ذِرْوةِ المجدِ كوكبٌ ... ولا طـارَ لي في قُنَّـةِ العـزّ طـائرُ

* * *

(١) كتاب التوابين (ص:١٤٩).
(٢) ديوان البارودي (٢/ ٤٩٣) الموسوعة الشاملة.

٨١- إليك أفرُّ من زللي

المقري

إليــكَ أفــرُّ مــن زلــلِي ... فــرارَ الخــائفِ الخجِــلِ

فخُــذْ بيــدَيْ غريــقٍ في ... بحــارِ القَــوْلِ والعمــلِ

وهــبْ لي منــكَ عارفَــةً ... تُعَــرّفُ مــا تنكَّــرَ لِي

وتهــدِيني إلى رَشَــدي ... وتمنعُنــي مــن الزَّلــلِ

وتحمِلُنــي عــلى سَــنَنٍ ... يــؤمِّنُني مــن الوجَــلِ

فأنتَ دليلُ مــن عَمِيَتْ ... عليــهِ مــسالِكُ الــسُّبُلِ

على جـدوَاكَ معتمَـدي ... فأنقِــذني مــن الــدَّخلِ

وألحِقنــي بجنَّــاتٍ ... لــدَى درجاتِهَــا الأُوَلِ

فأنــتَ مــلاذُ مُعتَــصمٍ ... وأنــتَ عــمادُ مُتَّكــلِ[1]

* * *

(١) نفح الطيب، (١/ ٤٨) الموسوعة الشاملة، وقد حذفنا ما في القصيدة من توسل غير مشروع.

٨٢- رأيتُ اللّه[1]

عائض بن عبد الله القرني

إلـهَ الكـونِ يُـسْعِدُني رِضَـاكا ... ومـا لي خـالقٌ أبـدًا سِـواكَا

تـراك إذا رأيـتُ الكَـوْنَ عَيْنِـي ... وأنـتَ اللهُ أعظـمُ أن نَرَاكَـا

إذا مـا الفجْـرُ في الآفـاقِ حَاكَـا ... وإذ بالطَـلِّ مُنْـسَكِبٌ تَبَـاكَى

وإذا بالمـاءِ في الأوهَـادِ يَـسْرِي ... يُتَمْـتِمُ عـن مَعَـانٍ لـستُ أدري

عـساهُ يقـولُ للـرحمَنِ شُـكرًا ... فأنـتَ اللهُ قـد أجريـتَ نَهْـري

وتنـشقُّ الزُّهـورُ بكـلِّ لـونِ ... تقـولُ لنـا أيَـا قَـوْمِي دعُـوني

أسـبحُ للـذي بالمـاءِ أسَرى ... إليَّ وكُنـتُ في هَـوْلِ المنُـونِ

وهـبَّ الطَّـيرُ لـلأرْزَاقِ صُبحَا ... تُـسبِّحُ وهـيَ في الآفـاقِ سَـبْحَا

ولـولا ربُّهـا سَـقَطَتْ خِفافًـا ... وأهـوَى نحوَهـا الـصَّيادُ ذبحَـا

إلهـي في جميـعِ الكَـوْنِ شـاهدْ ... بأنـكَ موجـدٌ للخَلْـقِ واحـدْ

ومـن جَحَـدَ الحقيقـةَ كـذَّبوه ... كذبتَ لقد خَسِرتَ أيـا مُعانـدْ

فمُـدَّ الطَّـرفَ في لَـوْحِ الـسَّماءِ ... وسـائِلْ وردَهُ بعـدَ انتِهـاءِ

أحَطْـتَ بكُنهِـه أم لمَ تُحِطْـهُ ... فأنـتَ اليـومَ في دورِ الغَبَـاءِ

تَـرَى قمـرًا فَقِـفْ حتَّـى تُفكّـرْ ... تـرى الـرحمنَ ممَّـا رُمـتَ أكـبرْ

---

(١) ديوان لحن الخلود (ص: ٤٤-٤٥).

فَمِنْ أينَ الشُّعاعُ فلستُ أَدْرِي وكيفَ البدرُ في الخضْرا تكوَّر

وطَلَّ الفَجْرُ في الدُّنيا بشَمسٍ أَبِكْرٌ هذه أم بنتُ أمسِ

فينقَشِعُ الظَّلامُ ولم يُطقْها يَكِرُّ بجُنْدِهِ في حينِ نُمْسِي

رأيتُكَ خالِقي في كلِّ معنًى كلامُكَ بين أظهرِنا سمِعْنا

ولَوْلا أنتَ ما كُنَّا وكانتْ نفوسٌ في أكنَّتِنا اجتَمَعْنا

لقد فجَّرْتَ ينبوعَ المعانِي فراعَ الكُفرُ من سِحْرِ المثاني

كتبتَ لكَ البقاءَ فدُمتَ حيًّا قديرًا مالِكًا والكُلُّ فَانِي

أأُذري الدَّمعَ أم تَكْفِي شُجُوني لغيرِ هواكَ ما سَالتْ عُيوني

فمن نرجُو سِوَاكَ ومن سَيَرْحَمْ وقد أَسْلَفْتُ ذنبًا حالَ دُوني

نظرتُ إليكَ من جُنحِ الغُيوبِ وقد كثُرَتْ على قَلبي ذُنوبي

وقد سارتْ خُطَايَ علَى طريقٍ إلى ربِّ السَّنا أبدًا هُروبي

إليكَ عَقَدْتُ بالوُثقَى حِبَالي ومن فَيْضِ الهُدَى شَرَفي ومالي

بنورِ عُلاكَ أمضي في طَرِيقي أضاءتْ من سَنى النُّورِ اللَّيالي

* * *

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

* * *

قصائد في تعظيم الله

* * *